

الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير: طه حسين

فهرس

| | | |
|--------------------------|---|-----|
| طه حسين | في الأدب الفرنسي — الوفاء | ٣٣٣ |
| محمد رفعت | سياسة الدول في الشرق الأوسط | ٣٤٧ |
| سليمان حزين | في بلاد النين | ٣٥٧ |
| بشر فارس | وراء المنظور (قصيدة) | ٣٦٨ |
| محمد عبد الله عنان | مراثي الأندلس | ٣٦٩ |
| محمد كامل حسين | كتاب سيرة الأستاذ جوذر | ٣٧٨ |
| ابراهيم عويديا | بين السياسة والأدب — هجس (قصيدتان) | ٣٨٦ |
| حسن عثمان | دائتي أليجييري | ٣٨٨ |
| هيلدي زالوشر | البناء الاجتماعي والتعبير الفني | ٣٩٩ |
| محمد عبده عزام | رحلة (قصيدة) | ٤١٢ |
| زكي يوسف سعد | الحفائر الملكية بجلوان | ٤١٤ |
| اوين ا. هولواي .. | وليم فولكنر | ٤٢٣ |
| عبد الرحمن صدقي .. | خاتمة المطاف — حلم بالموت (قصيدتان) | ٤٣٢ |
| شوقي ضيف | المهذب بن الزبير | ٤٣٤ |

من هنا وهناك (على حافظ — حسين محمد الطيب)
 شهرية السياسة الدولية — شهرية العلم — شهرية السينما
 من كتب الشرق والغرب — من وراء البحار — ظهر حديثا
 في مجلات الشرق — في مجلات الغرب



تصدرها دار الكاتب المصري
 شارع سامية مصرية
 القاهرة

أنطون تشيكوف

قصة رجل مجهول

تعريب محمد الشبلي

٤ + ١٢٢ صفحة ، الثمن ١٠ قروش



ادوات
جستلتنر
آلات نسخ الصور
أكثر من ٦٥ عامًا خبرة



أسود
أبيض
والوان

الوزعون: **الكاتب المصري** ش.م.م. القاهرة: ٥٠ شارع قصر النيل ، ت ٥٤٢٧٣
الاسكندرية: ٨ شارع طلعت حرب باشا ، ت ٢٣٨٩٩ - بورسعيد: شارع محمد محمود باشا ، ت ٤٦٨

يسير بنوا

عضو الجمع اللغوي الفرنسي

غانية أطلنطا

ترجمة رشدي كامل

لم تكن تبحث عن نشوة الحب فحسب ،
بل كانت ترمي كذلك إلى أن تنتقم من الرجال ،
فتقتلهم بحبها .

٢٩٦ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً



ظهر حديثاً

كتاب

البخلاء

للجاحظ

حقي نصه وعلق عليه

طه الحسبى

مدرس الادب العربى بجامعة فاروق الاول

٥١ + ٤٦٨ صفحة ، الثمن ١٠٠ قرشاً



ناتج قضاة الأندلس

ألفه

الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن
النباهي المالقي الأندلسي

وسماه

كتاب المراقبة العليا
فيمن يستحق القضاء والفتيا

نشر

إ. ليفي بروفسال

أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون
مدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس

٢٤ + ٢٤٨ صفحة ، الثمن ٧٥ قرشاً



عبد العزيز البشري

قطوف

مقدمة للمصنف

هي الأدب كل الأدب ، وهي الفن كل الفن ،
وهي الكلام الذي يجمع إلى رصانة الأدب
القديم وجزالته خصب الأدب الحديث وثروته

طبعة في جزأين ، ثمن الجزء ٢٠ قرشاً



محمد الصادق حسين

البيت السبكي

بيت علم في دولتي الممالك

٩٦ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً

سلامه موسى

تربية سلامه موسى

تاريخ حياة المؤلف باعتبار أن الحياة تربية
وتاريخ مصر في تطورها وانتقالها من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين

٢٩٢ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً



حَسَنٌ عِشْمَانٌ

سافونارولا

الراهب الشاعر

SAVONAROLA



٢٦٠ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً



هنري برجسون

الضحك

بحث في دلالة المضحك

تعريب سامي الدروبي و عبد الله عبد الرايم

كتاب وضعه الفيلسوف الفرنسي الكبير
هنري برجسون يدرس فيه الضحك
كظاهرة نفسية والمضحك وأنواعه المتعددة

١٣٦ صفحة ، الثمن ١٥ قرشاً



الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين
سكرتير التحرير : حسن محمود

تصدر مجلة الكاتب المصري في أول كل شهر عن دار الكاتب المصري ، شركة مساهمة مصرية ، وتطبع بنطبتها .

الاشتراك

١٠٠ قرش في السنة لمصر والسودان ،
١٢٠ قرشاً في السنة للخارج أو ما يماثلها .
يدفع الاشتراك مقدماً باسم دار الكاتب
المصري . لا تقبل الاشتراكات لأقل من
سنة كاملة .

نحو العدد بمصر : ١٠ فروش

مجلة الكاتب المصري تمنى بكل
ما ورد إليها من المقالات والرسائل
ولكنها لا تتبرم نشرها ولا ردها

أولمة الكاتب المصري

• شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

تليفون التحرير : ٤٩٢٥٤

الإدارة : ٤٥٠٣٤-٤٧٨١٥-٤٢٧٧٣



AL KATEB EL MASRI

Monthly literary magazine published
by LE SCRIBE ÉGYPTIEN S.A.E.
5 Kantaret el Dekka Street
Cairo (Egypt)

Editor-in-chief : Taha Hussein

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري

الكتاب المصري



أبريل ١٩٤٨

جاءى الأولى ١٣٦٧

مجلد ٨ - عدد ٣١

السنة الثالثة

في الأدب الفرنسى

الوفاء

هذا كتاب أتيح له في العام الماضى من النجاح ، ما لم يتح لكتاب فرنسى منذ أعوام طويلة . أجمع النقاد الفرنسيون ، أو كادوا يجمعون على الرضا عند الإعجاب به . ولعله ظفر بأصخم طبعة عرفتها الكتب الفرنسية ، منذ الحرب العالمية الثانية . وقد قدمه ناسره لجائزه خطيره من جوائز الأدب في فرنسا ، وهي جائزة النقد ، فطربها في غير مشقة ، أو قل فطربها في غير استئذان ؛ فقد صرح بعض الحكمين للصحف بأنه صوت هذا الكتاب دون أن يقرأه ، لأنه يمنح مؤلفه ألبير كامو من حبه وثقته وإعجابه ما يعفيه من قراءة كتابه قبل أن يمنحه الجائزة . ولست أدري إلى أى حد يسوغ هذا في قضية العنق ، وفي قضية النقد الأدبى الصحيح ، ولكنه على كل حال يدل على المكانة الرفيعة الممتازة التى يرق إليها ألبير كامو في ندوس نقاد الفرنسيين ، بل في نفوس الأدباء والمثقفين والمفكرين الفرنسيين بوجه عام . وسيرة المؤلف أثناء الحرب هى التى رفعتة إلى هذه المنزلة . فقد وف لوطنه أثناء احتله ، كأحسن ما يفى الناس لأوطانهم ، وكأحسن ما يفى المثقفون لأوطانهم ، واحتمل في سبيل هذا الوفاء من الجهد والمشقة والعسر ، ما لم يحتمله كثير من المثقفين الفرنسيين . ثم هو إلى ذلك نافذ البصيرة ، دقيق الفطنة ، صارم الرأى ، مؤمن بالحرية ، وبالحرية الواضحة الصريحة المستقيمة ، التى لا تحب غموضاً ولا التواء . وهو بعد هذا كله ، أو مع هذا كله ، كاتب

منار ، قد أخضع اللغة الفرنسية لسلطانها الصارم السمع معا : ويرى في الصنف إلى حب لا بكاد يباريه أحد من معاصريه ، ويرى في السر إلى حب لا يسبق فهمه على أحد . ثم هو بعد هذا كله ، أو قبل هذا كله ، ليس صاحب انباز في البنان وحده ، ولكنه صاحب اسباز في التفكير أيضا . فهو ذيب بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها ، وهو فيلسوف بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها أيضا . له محاولات رائعة في فهم أخياه وتفسيرها ، وفي استكشاف الصلة بين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه ، وفي تفسير الوجود من حسب هو وجود ، وفي تفسير المصير الذي أتيح للإنسان أن ينتهي إليه .

والمتفقون جميعاً يعرفون مذهب ألبير كامو في العجب ، وكثير منهم وراءه دون شك كتابه ارناع المسهور أسطورة «سزيف» . وأسطورة هذا النص اليوناني معروفة : فقد قضى عليه أن يظل في دار الموتى ممثلاً على صخرة عظيمة ، يرفعها من سفح الجبل إلى قممه ، يلقى في ذلك الجهد والنصب والعناء . حتى إذا ارتسب بالصخرة إلى القمة رآها تدفع إلى الانحدار بقوة لا تمت لها رداً ، حتى تصل إلى حيث كانت من القاع . ورأى نفسه مضطراً بحكم القضاء إلى أن يستأنف الجهد والنصب والعناء ، فمدح الصخرة ليرفعها إلى القمة ، وما يزال يرقى بها إلى أعلى الجبل ، وما يزال سحدر به إلى القاع . إلى آخر الدهر ، إن كان لدهر آخر . فهذا الجهد الذي يبذله ، وهذا النصب الذي يلقاه ، وهذا العناء الذي يشقى به ، عبت متصل ليسب له غاية يقف عندها ولا حد ينتهي إليه ، ولا غرض يبتغي منه . والعالم عند ألبير كامو شيء ينسبه هذا الجهد الذي يبذله البطش اليوناني في غير طائل . فليس للعالم غاية ينشئ إسيها ، ولا حد يقف عنده ، ولا غرض يبتغي منه ، وإنما هو ماض في هذا الوجود العائب إلى غير غاية ، ولا أمل ، وإلى آخر الدهر إن أدن للدهر آخر . والإنسان في هذا العالم مدفوع إلى مثل ما دفع إليه العالم ، من هذا العث الذي لا ينهي إلى غاية ، ولا يحقق غرضاً . وليس بينه وبين غيره من الكائنات التي يألف منها العام فروق إلا أن له شعوراً وعقلاً ؛ فهو يحس الجهد العنيف الذي يبذله ، ويحد النصب الناصب الذي يتعبه ، ويأسى للعناء البغيض الذي يشقى به ، ويحاول أن يفهم جهده ونصبه وعناءه ، فلا يصل إلى شيء ، أو يصل إلى ما يخيل إليه أنه حل للمشكلة ، وتفسير

لغيره ، ولكنه إذا تعمق ما يصل إليه من حل وبمسير لم يجد وراءه شيئاً ؛ فهو مضطرب في الجبل دائماً وأمامه صخرته سب ، وهو مضطرب في الجبل دائماً وأمامه صخرته سب ، وهو ينقذ الدهركه في لعمريه وتصويب تتابع أجهاله على ذلك ، رفعه بصخرته إلى القمة ، منحجرة معها إلى اتقاء . ومهم ، يعمل الانسان فلن يستطيع أن يغير من هذا العيب شيئاً . ولكنه مع ذلك حر في حدود هذا العيب ، يستطيع أن يلائم بينه وبين نفسه ، وأن يختار من أطوار الحياة والتفكير والعمل ما يريد ، وأن يحتق مما يختار ما يساعده الظروف على تحمقه . يستطيع أن يؤثر لوناً من الحياة على لون ، وضرباً من التفكير على صرب ، ولما من التصرف على فن ، ولكنه لا يستطيع أن يجعل لوجود غاية أو غرضاً ، ولا يستطيع أن يغير أنه دفع إلى الحياة غير مختار ، وسيدفع إلى الموت غير مختار ؛ فحريته محدوده بهذين النوعين من الجبر . فيصطنع الحكمة إن شاء . وليصطنع الحمى إن أحب ، فن يخرج من هذه الحلقة المفرغة بحال من الأحوال .

ويمضي ألبير كامو في الملامة بين مذهبه هذا اليائس . وبين الحياة التي يحياها الناس على اختلافها وتباين منازلهم فيها وحظوظهم منها . ثم هو لا يكتفى بهذا الكتاب ، ولكنه ينتقل بمذهبه هذا إلى القصص ، وإلى التمثيل . فقصه العريب ، ومسرحية كاليجولا ، وسوء التفاهم ، ليست في حقيقته الأمر إلا محاولات للملامة بين هذا العيب الأساسي ، وبين حرية الانسان . والكتاب الذي أتحدث عنه يعرض هذه المشككة عرضاً واضحاً جلياً ، وهو من أجل ذلك يثير الرغبة كل الرغبة في البحث والجدل والاستقصاء . ويجب أن أقول إن العنوان الذي اتخذته لهذا الحديث ، ليس هو العنوان الدقيق لهذا الكتاب ؛ فعنوان الكتاب هو «الطاعون» . وقد كرهت أن أجعل هذا اللفظ البشع عنواناً لهذا الحديث ، وكنت أريد أن أتحدث إلى اقاربي عن هذا الكتاب ، أثر عودتي من فرنسا ، في أول الحريف الماضي ، ولكني وجدت مصر موبوءة بالكوليرا ، ووجدت حديث الوباء فيها شائعاً مستفيضاً ، كما كان الوباء نفسه شائعاً مستفيضاً . فكرهت أن أتحدث عن الوباء ، وأجلت الحديث إلى فرصة أخرى ، ثم أنسيته ، ثم شغلت عن تذكره حتى كان شهر مارس ، فاذا حديثان بقيقين إلى الجمهور المثقف باللغة الفرنسية عن هذا

الكتاب . بلقيس ، جبران جيلان من أخبار المسححة الكاثوليكية . خدم
الأب روبيل . وقد ألقى حديثه في دار السلام ، والآخر الأب بونيه . وقد
ألقى حديثه في نادي الشبيبة .

وقد اسمعت هذين احداث ، قد كرت ما كنت قد أنسيت . وزيت أن
أخذت إلى فراء هذه المجلة عن هذا الكتاب . على نحو ما كنت أريد أن أكون
إليهم عنه في الخريف . وليس غريباً أن يثير هذا الكتاب اهتمام المسححيين ،
واهتمام أحبارهم خاصة . بل من الطبيعي أن يثير اهتمام أحبار الديانات كلها ؛
لأنه يصبغ موضع البحث مصير الإنسان من جهة ، وضع موضع البحث
سوفت العقل من الدين ، أو سوفت العقل من الأدب من جهة أخرى . وهو
يضع هذه المشككة موضعاً صريحاً في هذا الكتاب ؛ لأنه يطقو حراً من أخبار
الكاثوليكية برأيه في الصلة بين الإنسان وخلقه . ثم يطقو فريداً من
الدين لا يؤمنون بما يقض آراء هذا الخبر المسححي . ففي الكتاب شيء من
السحرى ، يوجه في الكسب الأخرى التي عرض فيها "بير" كادو مذهبه هذا
في الوجود .

ولاحظ من كل شيء أني قد قرأت هذا كتاب أثناء انصاف الماضي .
وأقبلت على فراءه مشغولاً بها ، مسوقاً إليها أسد السور ؛ لأنني أحب الكاتب
وأعجب بننه . ولكنني لم أكد أمتني في فراءه الكتاب ، حتى أدركتني شيء
من خيبة الأمل ، ثم أخذت أضيف به وأمتني في فراءه كرهاً للمعنى فيها .
ولو قد استجيب لسور الأدبية لم أتممت فراءه الكتاب . ولكنني لا أؤدد
أدماً كتاباً حتى أفرض على نفسي إيمانه ، مهما يكن رضى عنه ، أو سخطي
عليه . بفرض ذلك على طبيعتي التي تحب الاستقصاء . ومما سخطي التي بفرض
على الاستقصاء فرماً ، ويدفعني إلى أن أنهم نفسي ولا أحفل بما يورهم
من رضا أو سخط . ولا أجعل رضاها أو سخطها وسيله إلى الحكم للكتاب
أو الحكم عليه .

ومصدر هذا الضيق الذي وجدته أثناء هذه القراءة أن الكاتب أخلف
ظني ؛ فقد كنت أنتظر أن أقرأ آية أدبيه كالغريب ، أو كديجولا ، أو سوء
تفاهم . أو كنت أنتظر أن أقرأ دراسة فلسفية متقنة كاستورث سيزيف . فإذا
أنا أداء شيء ليس هو بالقصص الخالص ، ولا هو بالفلسفة الخالصة ، وإنما

عن محو يد سبي : بل ذلك : يريد أن يكون قصد بروع يامن الأذى فلا يسمع
من يرد ، ويريد أن يكون درسا بروع منه محب وحسن الاستقصاء فلا
يبلغ ما يريد .

وهو عرض على الأمير كاسو في كانه هذه المدينة بعينها هي مدينة وهران
في الجزائر ، تصور أنها قد استعنت ذب يوم وباء الصاعون . فهو عرض
عن ذلك استنبط المدينة هذه بوباء ساكنة فيه ساخره منه أول الأمر ،
وأنشأ استعنت هذا الوباء بعد أن اتفق بشك . وأبانت الكارثة من نفسها
في غير عروض . فكان المدعى واضح . وكان تردد الحكومة وبلكوها
ومصيرها . ثم أتت استعنت المدينة هذا الوباء حين عظم أمره . واسمه
فككه وأصبح حصره سديا . ففتعلت المواصلات منها وبين العالم الخارجي .
وحارب عليها حصار سديد . قس يجمع الخروج منها والدخول إليها ، ويعرفها
عن العالم عولا عاما . بولا البرق الذي يمتل أطرافاً من أحبارها إلى اسبها ،
وبمثل إليها أطرافاً من أحبار سبها ، وسمح لبعض أهلها في كثير من المسند
وخبه . أن يعضوا بدوى قرياهم في المواضع استعنت عنهم . وكل هذا التصوير
صادق كل الصدق ، دفع كل الدفء ، وبه شهدناه إلى حد ما في الأشهر القليلة
الناصه . وتصوير آخر حال المدينة ليس أقل صدقا ولا دقة من هذا التصوير ،
وذلك حين عرض الكاسب ما يكون من الصلة بين الحكومة وبين الشعب
أثناء الخنة . فالحكومة في أول الأمر قد فوجئت بالكارثة . لم تكن تنتظرها
ولا تكن قد استعنت لها . وهي من أجل ذلك تنكر الكارثة مخصه . ثم
متكلنه . ثم مكابره . ثم بصير إلى الاعتراف بما ليس به من الاعتراف
به . ثم سخط في مواجهة الكارثة . فكثر خطوها وقل صوابها . ثم تلجى
إلى العالم الخارجي بطلب منه المعونة والقوت ، ثم انتهى آخر الأمر إلى الخزم
الجاد حتى يزول الوباء . وهي في أثناء هذه لا تقول للناس من أمر الكارثة
ونظورها وفتكها وضحاياها إلا ما تريد هي أن تقول . وبين ما نقوله للناس
وبين الحقائق الواقعة بون شاسع . وأمد بعيد دائما .

ولست حال الشعب نفسه بخير من حال الحكومة ؛ فالشعب بشك
ثم ينكر ، ثم ينكف ثم يكبر ، ثم يدعى لتحقيق الواقعة ، ثم تختلف به المذاهب
بعد ذلك : فأما الفقراء فيدعون في غير مقاومة ويؤدون إلى الوباء ضريبته

وحدته . وأما لأغنياء فيؤثرون أنفسهم بأسباب الوباء والعلاج ما وجدوا إلى ذلك سبيلا . وأما أوساط الناس فيمدّون بين أولئك وهؤلاء بمقدار حظهم من اليسر وسعة ذات اليد . وقد حوصرت المدينة وفرضت عليها الأحكام العرفية وفتر سلى أهلها في الرزق ؛ فسفى استقراء إلى غير حد ، ونعم الأغنياء ما استطاعوا أن ينعموا . واضطرب أوساط الناس بين الشقاء والنعم . ونكسفت الأخلاق عن مكنونها ، فكنت الأبره . وكان الاحتمار ، وكان ما ينشأ عنهما من النفوس والتباغض والاحتيال إلى آخر هذه الرذائل التي تنكشف عنها الانسانية حين تلم بها الخطوب ، وتلمح عليها الكوارث . وفي أثناء هذا الشر كله يظهر شئ من خير قليل ، ولكنه قيم منج قوي ، نستطيع أن يبهز السر شيئا فشيئا حتى يحويه وحتى تطرد الوباء عن المدينة . ويرد الناس إلى ما ألفوا من حياة ، أو يرد إلى الناس ما ألفوا من حياة . فهؤلاء الأطباء الذين يعرفون الوباء ويحققون خطره ، ويصممون على مقاومته ماوسع عنهم هذه المقاومة ، لا يسخرون في سبيل ذلك جهداً ، ولا يجعلون قوتهم مهما نكن ، ولا يترددون في التضحية براحتهم وأمنهم ، وفي التعرض لخطر مصححين وممسّين . ولا يبتغون على ذلك أجراً لا في الدنيا ولا في الآخرة . لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ، ولأنهم يرون أن أجور الدنيا ليست بذات خطر ولا غناء . فهم أعداء الوباء لأنه الوباء ، وهم حماة الحياة ولصحة لأنهم الحماة والصحة . لا أكثر ولا أقل .

هذه هي الخلاصة الظاهرة للكتاب . وهي كما ترى يسيرة قريبة ، لا عسر فيها ولا بعد . وهي كما ترى لا تدل على عمق في التفكير ولا على براعة في الابتكار . ولكن هذه الخلاصة الظاهرة ليست إلا أيسرها في الكتاب ، بل قل إنها ليست إلا رمزاً ضئيلاً للحقيقة التي أراد إليها الكاتب حين ألف الكتاب . فهو لم يرد إلى مدينة وهران ولا إلى غيرها من المدن . وهو لم يقصد إلى الطاعون ولا إلى غيره من هذه الأوبئة التي تلم باناس بين حين وحين . وإنما أراد إلى ما هو أعظم من ذلك سائاً ، وأجل خطراً ، وأكثر شمولاً . فمدينة وهران رمز لفرنسا وغيرها من البلاد الأوربية التي اجتاحتها الحرب ، واحتلتها العدو وعزلها من العالم الخارجي عزلاً تاماً . والطاعون هو الحرب والاحتلال والبطش والنتكال . والشعب الذي انقسم هذا الانقسام ،

وبموجب صوائمه هذه لشرف ، وبكسفت أخلاقه عن هذه السبب الكبيرة
وحسب المصلحة . واحتمل ما احتمل ، وقاوم ما قاوم حتى انجبت عنه الغمرة .
هو هذه الأم التي اصطب نار الحرب ، وخضعت لسكر الاحتلال . والأطباء
ولسوقون الدين حادوا بأنفسهم وصحوا بجهنم حتى جلبوا هذه الغمرة ،
- ينشروا على ذلك أجراً . هم قادة المناورة وزعماء الجهاد . بل إن هذه
حسبه نفسها ليس إلا رمزاً لحقيقة أخرى أهم منها وأكبر سمولاً . فمدينته
وهران ليس في حقيقته الأمر إلا الأرض كلها . وسعب وهران ليس في حقيقته
لأمر إلا لانسائه كلها . وطاعون وهران ليس في حقيقته لأمر إلا السر الذي
يلم بالإنس في جميع المواطن ولعموم . وأطباء وهران وسطوعوها لبسوا إلا
لمفكرين والمثقفين والمصلحين والفلاسفة . ادين يبدلون ما يمكنون من جهنم
بمدينته لانسائه وحماتها لما يلم بها من السر . ويصعب عليها من المكروه .
فالكذب كما ترى سر قريب في ظاهره ، ولكنه أعمق عمقاً وأبعد مدى
ما يحس إنها هذا السر : لأنه في أبصر صورته الرمزيين ، إنما يعرض جزءاً
غير صغير من لعالم الذي اصطلى نار الحرب ، وما أم بهذا الجزء من الخبوء
والمشكلات ، وما بدا فيه من مظاهر الضعف ولقوة وألوان الجبن والبطولة .
وهو في أس صورته عمقاً وتعقيداً ، إنما يضع قصه الانسانية كلها موضع
البحث ، ويعرض قضية الخير والسر كلها على العقل . ويحاول أن يجد جواباً
لهذا السؤال التي تنبئه الانسانية العاقلة على نفسها منذ عقلت ، وهو : ما مصير

الانسان ؟

وهنا نسأل انما : هل وفق الكاتب توفيقاً
أديا حين اختار هذا الرمز الضئيل التحيل لهذه المشكلة الكبيرة الخطيرة .
وهي حال العدم الذي اصطلى نار الحرب ؟ ثم هل وفق الكاتب توفيقاً
أديا حين اختار هذا الرمز الضئيل التحيل هذه القضية الكبرى . قضية
الانسان بين الخير والسر ، وقضية الانسان بين العقل والدين ؟ أما أنا
فأعتمد أن التوفيق الأدبي قد أخطأه إلى حد بعيد ؛ لا لأن الرمز ضئيل
نحس . فمن طبيعة الرمز أن يكون ضئيلاً تحيلاً بالقياس إلى ما يرمز إليه
الكاتب من المسائل الكبرى والمشكلات الضخام ؛ ولكن لأن هذا الرمز
الضئيل التحيل قد حثج إلى تفصيل كثير لا يلائم ضآلته وتحوّلته . فمدينة

وهراة ففأفا اطاعون كما أن اءءء ففأفءءءءء . ومءءءءءءء وهراة فف ففءف بالطاعون . وأظهر هءا الشفاء ما فف نفوس أءءءا من ففصال الفءر والسر . كما أن فزءاً من العالم ففءف فالفءر الفف أءءءء . وأظهر هءا الشفاء ما فف نفوس أءءء من ففصال أءءء من الفءءء وءءزء . والفضعف والفوءء والفوءر والفءء . والأثرة والافءار . كل هءا فف لا ففك ففء . وففكن ففءفء الفرمز فف ففءءءف فف ففءاف . أءرءء من أن ففكون رمزاً . فوففء الطاعون وففناً مفصلاً . فصور أءراض العلة وبظاهرها وفطورها . وففائف علاءها وأءقباها وعقءلها . وآثارها فف نفوس الفرفففن منها والفبعففن عفا . كل ففك ففبعءنا عن الفرمز لففرقنا فف ففائف الففاء الففاء . ففءفن فف ففءءءء فف أءم بها الطاعون وأفء علفها . وففن مشفولون ففءء الفءءءء البافءة المءءءة . وبهءا الوباء الفف فففصل ففائفء فففصفا . عن الففكفر فف أورب المفلوبء علف أسرها . الففءءة بالفعض والعسف والافءلال . بل ففن مصروفون فف هءء المءءة البافءة المءءة . وما فلفف من هءء الأوءال الفوففء الفف فففصل ففءفءها فففصفا . عن الففكفر فف الأففاففءة ففن ففم بها السر وففءم من فوففا الففطوب . فولا أن الكافب ففءفءنا فف هءا الففكفر بما ففءفر فوف بعض الأشفاص من فوفار ففءافز افءة الففاءة فف الشرءام . وما ففسل فوف من ملافءف ففءافز مءءءة وهراة وففءفها . فف فففعءة الففاءة الأففاففءة وما ففءفء علفها من الكوارف والأءاء . فلفقارف فف فف ففمضطرب مفرءء لا ففءرف أءو بازاء رمز ففم ففشر فف أءاء ففطفرة وفففا فف عوفصءة . أم فوف بازاء ففصءة بعففا لا ففرفء الكافب أن ففبعء فف عفا . وإفما ففرفء أن ففعمفها معه ففعمقاً وفف افءعان وهراة ففءا الوباء .

ففك فف أن الكافب أراد أن ففكون موفوعفا ك ففقال . ففعل فففسء فافففا ففرف أءافاً فففلها أففاء هءء الففءة . وفف ففأ فففسء من الففاففءة الفف ففمفل للوفافف والأءواء والمفول والفن أنراً أف أثر فف ففرف من الأفءاء . وهءا الففوع من فكلف الأفراض عن الفن والافءاف فف الفوافءة الموفوعفء . فف ففكون فف فففسء فففاراففا . وففكن الكافب لم فففسء . ففقصءه فمفل فف كفففر من الموافع كأءه ففكلف فففا لا فففقء . وهوف من أءل هءا فففل علف الففارف بعض الشف . وما أءب أن أفظم الكافب ؛ ففء ففففى أن أسجل أنه ففرع

سراعه فيها في القسم الأول من كتابه ، فأنسأ البيئه الفنية أحسن إنشاء وأحوذه . وقد تحدث إلى غير قارى من الفرنسيين في باريس عن هذا الكتاب حين سأل قراءه . فقال لي غير واحد منهم : لن نستطيع أن نمنع بالكتاب قبل أن تفرغ من ثلثه الأول . ولكني فرغت من ثلثه الأول ، والثاني والثالث ، ونظرت فإذا أنا مفتون بثلثه الأول دون ثلثيه الآخرين . ذلك لأن الكتاب أرسل نفسه على سجنها حين ابتدأ كتابه : فهذا طبيب يخرج من منزله في طابق من الدار الكبيره التي يسكنها ، فيرى في الدهيز فأراً مبناً ، ويلفت البواب إلى مكانه ؛ فيغضب البواب لأن داره نظيفه لا يمكن أن يوجد فيها فأر ميت . ثم تمضي الأحداث في يسر يسير على هذا النحو ، حتى يعود الطبيب ذات يوم ، فإذا البواب يعترف بكثرة الجرذان التي تموت . ثم يعود ذات يوم فإذا البواب نفسه غليل ؛ فيحاول علاجه ؛ حتى إذا نقل نقله إلى المستشفى ، فمات في أثناء الصريق ، كل هذا يصور ابتداءً رائعاً لكتاب يريد أن يصف إلام الطاعون بمدينة من المدن ، وأسر هذا الضبيب والبواب ليس إلا مثلاً ؛ ففي المدينة قوم آخرون يمرون بالجرذان الميتة ، فينكرون ثم يرتابون ثم يذعرون ، والحكومة تنبه شيئاً فشيئاً . فتتكر وترب وتذعر ، وتحول أن تهدى الشعب ، ثم ترى نفسها أمام الحقيقة الواقعه ، فتأخذ الشعب بالقوه والحزم . وهذا كله يذكر القارى بما كان من ندر الحرب الأخيره حين كانت الأحداث اليسيره تحدث فيلقت إليها أصحاب الأنظار البعيده ، ويعرض عنها أصحاب الأنظار القصيره . ويكون الحكومات بين هؤلاء . ولكن الأحداث الصغيره تكثر وتنتشر ، كما تكثر الجرذان الميتة وتنتشر ، ويكون السك ، ثم يكون الخوف ، ثم يكون الذعر ، ثم تكون مواجهه الحقيقة الواقعه البشعة .

ولو أن الكاتب مضى في سائر كتابه على النحو الذي مضى عليه في أوله لأهدى إلينا كتاباً رائعاً ، ولكنه لم يحدث أن يعثر في التفاصيل والدقائق الخاصة ، فأفسد الكتاب على نفسه وعلينا جميعاً . . .

وأخرى لا بد من تسجيلها ، رعاية لما ينبغي من الانصاف ؛ فقد صور الكاتب جماعة من أشخاص الكتاب تصويراً دقيقاً صافاً حق . فهذا الطبيب الذي رأى الجرذ الميت ، وسبق إلى الانذار بوباء الطاعون ، واستقبل الجهاد في ثبات

وأناه ، ووضعية وديوان لا يسطر أجراً ، ولا يريد إلا أن سهر الوباء وسند الحياة من شره . وهذا الصحفي الذي لجأ الوباء في المدينة ، وعلم أن يخرج منها للحق بمن يحب . واحداً في هذا الخروج وبذل فيه الممكن وغير الممكن من الجهد ، فلم أسأس من ترك المدينة أقبل على الضييق ، فتطوع للجهاد وأبى فيه أحسن البلاء . وهذا الشاب الطموح إلى مثل العليا ذو الآمال المعيدة والأمانى العراض ، والذي أقبل متطوعاً فأساع الجبهة من حوله . ونظم جهنم فأحسن تنظيمه ، ومضى بعد الانتصار ضحبه أخيره للوباء . وهذا المؤلف المتواضع الذي يداعب الغرور الفني ، ويحاول في سذاجه أن يكون كادياً يضع قصته غرامية يتعرض بها عما أصابه من الحزن ، ويتنمها حتى يرقى بها إلى أرفع منازل الفن ، والذي يترك هذه القصة في يسر وفي غير تحف ليعنى بالجهاد حتى يبني فيه أحسن البلاء ، لا يشعر بأنه يجاهد ، ولا بأنه يضحي ، ولا أنه يتعرض للخطر ، وإنما يشعر بأنه يؤدي واجب انضمامه إلى الأجمعين في أسر اليسر — كل هؤلاء الأشخاص وأشخاص آخرون قد صورهم الكاتب فأجاد تصويرهم وبرع فيه . ولكنهم يظهرون في أثناء هذا الكتاب ، كأنهم الواحة التي يروح إليها القاري بين حين وحين ، وكأن القصة من حوهم طريق وعرة مضنية ، لا يمضي القاري فيها إلا متكرهاً يحتاج إلى أن يسرع . هذه هي الناحية الأدبية لهذا الكتاب ، وهي أيسر الناحيتين بالقياس إلى الكاتب من جهة ، وإلى القاري من جهة أخرى ، وإلى اسفكر الفلسفي من جهة خاصة . فقد يمكن أن يقال إن الكاتب لم يرد إلى إنشاء قصة بدعني الذي ألفه اليسر . وقد يمكن أن يقال إن القراء جميعاً ليسوا من اليسر بحيث يحسبون الكاتب حساباً يسيراً أو عسيراً ، على ما أنصح له وما لا ينصح له من التوفيق . فأما الناحية الفلسفية فهي الفنية التي من أجلها كتب الكتاب . وعلى لا تخجل بساطة ولا تهوياً ولا مغريصاً . فالدقة فيها هي الأصل ، واستقامة التفكير شرط أساسي لكل فلسفة . وقد قدس أني ليست منتقياً ، بل إلى بعيد كل البعد عن الانقضاء بالمذهب الفلسفي اعام لأبهر كدس ، وهو مذهب العبت . ويخيل إلى بعد ذلك أنه لم يوفق في عرض مذهبه في هذا الكتاب . وأحب قبل كل شيء أن ألاحظ شيئاً من التحكم دفع الكاتب إليه حين أراد أن يبين موقف الانسان بين العقل والدين .

فهو قد أنسا سخصا جعله حبراً من أحبار اليسوعيين ، وأنفقته بما ضن أنه
 حضور مذهب أصحاب الديانات في يلم بالإنسان من السر ، ثم مضى بعد
 ذلك سكر ما فله هذا الحبر اليسوعي ، مخيلاً أو معتقداً أنه بالرد على هذا
 الحبر يرد على أصحاب الديانات جميعاً . وهذا الحبر اليسوعي قد أنساه أبير
 داسو نفسه بالطبع ، وأبطنه بما أراد أن يبطنه به . وأكاد أسقد أنه لم
 يخلص من بعض الظلم حين صنع حبره على هذا النحو ، وحين أظفقه بما
 أنفقته به من القول . وآية ذلك أن أحبار المسيحيين أنفسهم ينكرون هذا
 الحبر الذي صعه أبير داسو ، ويراه بعضهم مسرفاً على الدين ، ويراه
 بعضهم خارجاً على الدين . وحاصله ما يقوله الحبر للمؤمنين الذين أميلوا
 لسمعون إليه في الكنيسة ، أنهم يتحنون بكثرة خطيئة مبيره ، وأنهم
 أهل لما ألم بهم من هذه الكارثة : لأنهم أسرفوا على أنفسهم بمعصية الله
 وإحلاف عن أمره ، فهو يعاقبهم بما يصب عليهم من الهول ، ويجب عليهم
 أن يتنقوا هذا العقاب راضين به مدعنين له مطمئنين إليه . فاثبتين إلى الله مما
 أسرفوا على أنفسهم في الخطايا والموبقات . قلالة عند هذا الحبر الذي صنعه
 أبير داسو سيد متكبر متجبر عزيز منتقم ، يضع الإنسان أمام سيئاته دون
 أن يفسح له باباً من أبواب الرحمة ، أو يمسسه بجناح من الرفق ، وهو يأخذ
 البرى بذنب المسي ، ويعاقب الصغار بذنوب الكبار . كذلك صور هذا
 الحبر موقف الإنسان من إلهه موقف العبد الخاضع المذعن الذي يجب أن
 يمعن في الخضوع والاذعان ، من السيد الكبير المتجبر الذي يستصع أن
 يمعن في الحرية والكبرياء . وواضح أن الذين لا يؤمنون من المصحدين
 ينكرون هذا الاله الكبير المتجبر ، ويرون أن في كبريائه وجبريته قسوه
 عنيفة ، ونسطة غسطة ، وتحافاً عن العدل . في ذنب الأطفال الذين عذبهم
 الطاعون وهم لم يعصوا لاله أسراً ولم يخالفوا عن قانونه ؛ لأنهم لم يعرفوا
 هذا القانون ولم يبيعوا من التكليف . ومن يكفل أن يكون الشواب الذي
 يدخره هذا الاله لمن يدخره له من الناس قائماً على العدل ، مادام العقاب
 فيما يرون ليس قائماً على العدل ! فلتكبر المتجبر قادر على أن يتحكم فيما
 يدخر للناس من مشوية ، كما يتحكم فيما يصب عليهم من عقوبة . وهم من أجل
 ذلك لا يؤمنون بهذه الصلة التي لا تقوم على العدل ، ولا على الحرية . وإذا

آدموا لا يعرفون طريقا إلى الآله غير هذه الطريق التي رسمها الله . كما
 صورته هذا الخبر . فممن لا يؤمنون بشئ آخر الضميمة . وهم من أجل ذلك
 يعملون لا يسطرون على عملهم أجرا في الآخرة ؛ لأنهم لا يعرفون الآخرة .
 كما أنهم لا يخافون عقوبه في الآخرة إن لم يعملوا ؛ لأنهم لا يعرفون الآخرة .
 وهم من أجل ذلك تضيئون في محاوره حشر إلى أقصى غاية ممكنة . حتى يقول
 بعضهم لبعض : أليس من الممكن أن نحير بعض الناس فندنس مدنس . دون
 أن يؤمن بالله الذي يسمى الفديسين . بما أعد لهم من أجر ومشويه . فيقول
 رجال الدين ؟

كذلك عرض ألبير كامو هذه المسئلة عرضا يظهر فيه المحكم والسيد حده
 كما يرى . فأما المحكم فلأن خبره هذا ليس من الضروري أن يكون من
 نظري بلهات أصحاب الديانات . فأحسن الاعراب عنهم . وأية ذلك أن رجال
 الدين أنفسهم ينكرونه . وأية ذلك بوجه خاص أن الديانات السماوية ذهبا
 لا تحسد عن الآله الكبير المنجبر المسقم الباطن لحسب . ولكنها تحسد
 كذلك عن الآله الرحمن الرحيم العمى المغفور الذي يقبل الحسنه . وينوب على
 المذنب . وتسع رحمته كل شئ وكل إنسان .

فمن التحكم إذن والتعسف أن يقال إن صله الآله بالإنسان هي صله
 السيد المنجبر المنكبر . بالعبء الذي يجب أن يدعن ويستكين ليس غير .
 وإنما الديانات تقول إنها كذلك صله القوى الرحيم بالضعيف الذي يحتاج
 إلى الرحمة .

وأخص ما يؤخذ به ألبير كامو من استحكمة في هذه القضية أنه ما زال
 يفكر بعمل القرن التاسع عشر حين كان هذا العقل ملاما مغرورا لكبره
 ما استكشف من العلم وابتكر من اختراعات . حتى ظن أنه قد عرف كل شئ .
 وأحاط بكل شئ . وأصبح قادرا على أن يحكم على كل شئ . ويقول كنهه
 في كل شئ . ولكن العقل في يظهر قد ثب إلى شئ من الرسل والتواضع
 منذ أواخر القرن الماضي . وقد استبان له أنه ما دام يعترف بأنه مجهل من
 حقائق هذا العالم أكثر مما يعلم . ويأنه يستكشف حقائق هذا العالم قليلا .
 ويستكشفها في كثير من الخذر والاحتياط . فمن الجراءه أن ينكر ما عدا
 هذا العالم . وأن يقول في ليس له به علم . وما ليس له سبيل إلى القول

فيه . فهو : يعرف الله . ولا يستطيع أن يحيط الطريق إلى معرفته من طريق
الحس وسجريه والملاحظة . كما يعرف ما يعرف من حقائقه العلمية . وسكنه
بلا حظ في غير سلك أن من الناس من نسبت إلى معرفه الله طرقاً غير طرق
الحس وسجريه والملاحظة . ونجد في سبوك هذه الطرق رضا وأمثاً ونفسه
وطمأنينة : فأيسر ما تعرضه عليه أسوة أن ينفذ موقوف الانتظار . لا يجاوز
إلى الجحود والإنكار . فصلاً عن أن يجاوز إلى موقف الحكم على ما يوصف
به الله من صفات . وما يصدر عنه من أعمال . فكل هذا تجاوز لتقصيد
وحروح على قوانين العقل نفسه . فالعقل لا يحكم إلا عن علم . ومتى أخطأ
العلم وحجب عنه أن يتفكر . فلدين يعدون أطوارهم . ويصفون الله بالتسوية
والعنف أو بالغنصه وظلم . لا يسرفون على أنفسهم فحسب . وإنما يدفعونها
إلى السخف والهذيان : لأنهم يقولون عن غير علم . ويحكمون عن غير
بصرة . وما من سلك في أن الدين يعملون الصالحات لا يبنفون بها إلا الخير .
ولا يمتطرون عنها أجراً في الدنيا والآخرة . قوم أخيار من حق الانسانية
لنفسها أن يكرههم ويستخدم أسوء وقصوه في حب الخير والسعي إليه
والجد فيه . غير مبنفبه عليه جزاء ولا سكوراً . ولكن ليس من سلك في أننا
لا نعلم مصير هؤلاء الأخيار ، كما أننا لا نعلم مصير الأشرار بالعقل ؛ لأن
العقل لا يعرف عما بعد الطبيعة شيئاً .

وإذا كان الأمر كذلك بالناس إلى هذه القضية ، فمذهب العبت منه
معرض لهذا التفتة نفسه ؛ لأن من الجراء والاسراف في الكبرياء والغرور
أن يقول إنسان لسب أعرف لهذه الوجود غاية ولا حكمة ولا غرضاً . فحجب
أن يكون هذا الوجود عبثاً . وإنما الذي يجب أن يقال لسب أعرف هذا
الوجود غاية ولا حكمة ولا غرضاً ، فيجب أن أنظر لعلى أستكشف أن . أو
لعل غيري أن يستكشف لهذا الوجود حكمة وغاية وغرضاً .

والسبب الحق هو أن مذهب العبت هذا ، لون من ألوان اليأس الذي
تدفع الانسانية إليه ، حين نشدت عليهم الأزمات ، وتأخذها الخطوب والأحوال
من جميع وجوها .

وقد عرفت الانسانية هذا اليأس في كثير من عصورها المختلفة التي
عرضت فيها لأنواع الهول ، وعرفت ما نشأ عن هذا اليأس من مذاهب النسك

واسسافم والجموح . ومهما يكن من شئ فلو لم يكن لهذا الكتاب إلا أنه
يدعو فارئه إلى أن يفكر ويطلب التفكير في مسائل ليس هي من هذه
اهتمام المومة ، التي تمت عليه أسره وفسده على حياته ، كان خليقاً أن
يتدبر ويفرأ في إعجاب بصاحبه واعتراف له بالجميل . لأنه يرفعا من طور
الحياة اليومية السخيفة ، إلى طور التفكير في المسكلات العليا . وما أقل ما يرقى
بنا إلى هذا الطور من التفكير الرفيع في هذه الأيام .

ط حسين

في أفق السياسة العالمية

سياسة الدول في الشرق الأوسط

لعل أخرج مراكز السياسة في العالم الآن هي منطقة الشرق الأوسط ؛ فقد تحول مركز أثقل السياسي بعد الحرب الأخيرة من أوروبا إلى سواحل شرق البحر المتوسط وخليج فارس وما بينهما من بلدان الشرق الأوسط ولم يبق على مسرح السياسة في أوروبا سوى بعض المناظر الجانبية لأوربييه . أما الدواية التي سحذب إليها مدارب السياسة العالمية وملتقى فيها المصالح الكبرى للدول أو تصطدم فقد تحركت شرقاً من المحيط الأطلنطي إلى مياه الشرق الأوسط . وليس غريباً بعد أن أصبحت الحرب ظاهرة عالمية يشترك فيها الشرق والغرب ويتحالف عندها دول العالم القديم والجديد أن نتجه سياسة الدول نحو المركز الذي تتجمع فيه أهم خطوط المواصلات في العالم برية أو بحرية أو جوية . وقد دلت الحرائق العالمان على ما لهذه المنطقة من أهمية حربية حظيره امتازت بها على سائر الميادين الأخرى . ففي الحرب العالمية الأولى كانت يوره العرب ضد الترك في الحجاز وبلاد المشرق وهزيمة الترك ومعهم حلفاؤهم الألمان على فناء السويس عندما حاولوا غزو مصر في فبراير سنة ١٩١٥ — كان هذا وذلك من أهم الأحداث التي حولت مجرى الحرب لصالح الحلفاء . وكانت معركة العلمين في الحرب العالمية الثانية الحمة الفاصل بين الهزيمة والنصر فقد ارتدت على أبرها قوات المحور عن شمال أفريقيا . وأصبح نصر الحلفاء بعد تلك الموقعة وشيكاً قريب النال .

وما نحن أولاء نرى في فيم جامعة الدول العربية ومساعدتها لسخلص من نير الاستعمار لأجنبي وفي النزاع القائم بين العرب والصهيونيين في فلسطين وفي تنافس الدول بشأن ليبيا وبسنعمرات إبيصاليا القديمة . نرى في كل هذا وفي غيره ما يندرج بأشد الأخطار على قضية السلام لا في الشرق الأوسط وحده بل في العالم أجمع . ولم يكن هذا أول عهد الشرق الأوسط بتنازع القوى العالمية في مياهه

وعلى أديم سهونه وعضاياه . فقديمًا نضاحت في مباديته جيوش الفرس والاعراب
وانصر الاعراب بفناده الاسكندر الأثبر فصصق السرى الأوسط بالصغ
الهيبنه ثم ورثه الصامه فالرومان وبعدهم البيزنطيون . وظهر العرب في العصر
الوسيط فانتصروا على دوتى فارس وبيزنطه وسرعان ما طبعوا شعوب السرى
الأوسط بلسانهم وعاداتهم وغرسوا في صوب أهله ذلك الدين الخفيف فأسموا
ثم أصبحوا مسلمين يتكلمون العربية وكأما قد قطعوا كل صله بماضيهم القريب .
ثم قام من أوربا إلى بدران السرى الأوسط حملات الصليبيين التى بدأت
في أواخر القرن الحادى عشر واستمرت إلى قرب نهاية القرن الثالث عشر
وكانت الحرب سجالا بين المسلمين وطوائف الفرنجه حتى جمع المسلمون كلمتهم
في عهد الأيوبيين أولا ثم في عهد سلطنة المليك فانتصر المسلمون وسقطت
عكا آخر حصون الصليبيين عام ١٢٩١ ويسقطها زالت دولة الصليبيين
اللاتينية من الأراضى المقدسة ولم يبق لهم في تلك الأصقاع إلا بقايا ورسوم من
حصونهم وفلاعهم التى بنوها وإلا فصرات من دمائهم لا زل تسرى في
شرايين بعض أهل البلاد المسيحيين .

وظهر الأتراك العثمانيون في بلاد الشرق الأوسط في أوائل القرن
السادس عشر بعد أن كشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح وتحوّل
إليه تجارة الشرق فتمدهورت الصناعة والتجارة في بدران الشرق الأوسط
وقل فيها الانتاج وأوت شعوبه إلى سبات عميق لم تصح منه إلا على صيحة
الثورة الفرنسية وطلقات مدافع نابليون بوناپرت في الشرق .

ويظهر بوناپرت على رأس حملته في مصر نهبته إنجلترا إلى الخطر الذى
تعرض له مصالحها وممتلكاتها في الشرق إذا رفض عدوها في تلك المنطقة
الحيوية التى اعتبرتها منذ ذلك الوقت الرقبة التى تصل بين الرأس في إنجلترا
وبين جسم مستعمراتها في الهند والشرق . فأخذت تعمل كل ما وسعها لاحتياط
مسعى الفرنسيين من جهة ولتثبيت نفوذها على طول الطريق إلى الهند من جهة
أخرى . ومن أجل ذلك نشبت معركة أبو قير البحرية سنة ١٧٩٨ وفيها دمر
نلسون أمير البحر الإنجليزي أسطول بوناپرت وقضى على الحملة الفرنسية في مصر
وفى سوريا بالاخفاق والخذلان . ومن أجل ذلك أيضاً احتل الإنجليزي جزيره
مالطة سنة ١٨٠١ كما احتلوا ميناء عدن سنة ١٨٣٩ . وخشى الإنجليزي أن

بمقتضى سلطانهم على في بلدان الشرق الأوسط فيقوى بذلك نفوذ فرنسا حديثه فجعلوا ينادون به وينصرون تركيا عليه حتى انسحب بهم على من بلاد العرب وبلاد المشرق وانكمش داخل حدوده في مصر والسودان .

وتحدد سكفاح ثانية على أثر افتتاح قناة السويس وظهور ذلك الانقلاب الخطير في عالم السياسة والمجاري في الشرق الأوسط ، فقد كان انشاء القناة عملاً فرنسياً عظيمًا وكان النفوذ الفرنسي في شركة القناة هو الغالب ولذلك أخذت الحكومة الإنجليزية تعمل بمختلف الوسائل لمنع فرنسا من استغلال حاله في مصر والقناة لمصحتها وسارع الوزير الإنجليزي دزرائيلي إلى شراء أسهم الخديو اسماعيل في القناة فأصبح من صالح إنجلترا بعد ذلك أن تكون لها فائدة قريبة تشرف منها على الماء من جهة وتوقب منها نساط السياسة الروسية التي بدأت تهدد مصالح إنجلترا في الشرق فأعتمدت فرصة انعقاد مؤتمر برلين ١٨٧٨ ووصلت إلى تركيا أن تنزل لها عن جزيرة قبرص لتتنا لمعاونتها ضد روسيا . وما فتئت إنجلترا تواصل سياستها حتى أمكنها التغلغل في شؤون مصر المالية ثم التدخل في شؤونها السياسية وأخيراً استصعبت أن تتدخل بقوة بمفردها وتعمل مصر سنة ١٨٨٢ بدعوى مناصره الخديو بوفى ووقع الثورة العربية . وم يكن احجام فرنسا عن الاستمرار مع إنجلترا في احتلال مصر بسبب ردها في مجال السيطرة والاستعمار ولكن فرنسا كانت حديثة عهد باهزم أمام ألمانيا وكانت بحاجة سديدة إلى موالاة إنجلترا وعدم انفرادها صدها لتكون إلى جانبها إذا فسب عليها الظروف . وكانت فرنسا ترنو بعصرها إلى شمل أفريقيا وبلاد المغرب يريد أن تؤمن منها دولة استعمارية قريبة إلى بلادها بعوضها مما فادته في ميداني الحرب والاستعمار ، زالت مساهمة الخلف تضيق حتى تم بينهما لاساق الودي في سنة ١٩٠٤ وفيه انجلت فرنسا عن ميدان لسياسة في الشرق الأوسط ولم يبق لها غير الأثر الثقافي والديني في بعض أرجائه . وكانت لروسيا أيضاً مقام في الشرق الأوسط حول إيران وحلب ، رس فعصفت بها هزيمتها المتكررة على أيدي اساطل برا وبحرا سنة ١٩٠٥ ، وعاقبت روسيا وبريطانيا سنة ١٩٠٧ فحصر الخضر الروسي وحل محله الخطر الألماني بعد أن أعلن الامبراطور وليم الثاني صداقته نحو تركيا واعتزله ربط الامبراطورين بالخط الحديدي بين برلين وبيداد . وعند ذلك أخذت إنجلترا تسعد لمرء الخطر

عن سبب المستقاة بواسطة سياستها وخبراتها وصناعاتها حتى دبت ساعده الحرب العالميه الأولى فلم يهون في إعلان حمايتها على مصر وعزل خديومها الذي اتهمه بمؤامره الألمان. ودارت المفاوضات بين السريف حسين أمير مكة وبين رسل الإنجليز فانفق الجانبان على أنه في مقابل قيام الثورة العربية ضد الأتراك ستعطي الحكومة الإنجليزية باستقلال البلاد العربية وقد حددتها اسريف حسين بهذاك محدود تدخل في نواحيها سوريا والعراق وفلسطين فضلاً عن سبب حزيه العرب ما عدا مسعمره عدن. وكان إعلان الثورة العربية فحة عهد جديد في بلاد طبت خاصه للحكم العثماني مع ما انطوى عليه من ضعف واختلال وركود قومي سبب طوال أربعة قرون فأوقفت شعوب الشرق الأوسط من سياستها وسارت كسائها تحت علم الثورة نافره إلى الحرب في صفوف السنين منوعم بالخرية والاستغلال فم انتهت الحرب بهزيمة الألمان وطرد أتراك خارج حدود العالم العربي حتى تنكر لهم حشودهم القدماء ودخل الشرق الأوسط في طور جديد من حياته ثم كفاح وبلاد وجهاد في سبيل الإصلاح ناره وشلاً ضد المستعمرين الذين استمروا الحياة مع الغنم في تلك البلاد.

وكان الخلفاء في أثناء الحرب العالميه الأولى قد قطعوا على أنفسهم العهود بأنهم لا يرومون من الحرب أن يوسعوا رقعة بلادهم أو أن يصفوا إلى ممتلكاتهم ومستعمراتهم أقليم جديد. ولكنهم ما عموا أن رأوا أن الحرب قد قصت على أربع من امبراطوريات العالم الكبرى وعلى روسيا بعد ثورتها الكبرى في سنة ١٩١٧، وألمانيا واتسوا وتركيا وأنه قد انسلخ عن برلمان وألمانيا ولايات ومستعمرات لا سبيل إلى عودتها إليهما ناسه فنك الخلفاء بعهدهم وداروا أظرعهم تحت سنار رفيع من نضام الانتداب الذي ابدعوه في ميثاق عصبة الأمم. وكان لبريطانيا وفرنسا بحكم تفوقهما بعد الحرب وخاصة بعد انسحاب الولايات المتحدة وانسحاب روسيا بثورتها أن تقسم مناطق الشرد ويعتبرا في بينهما حدودهما. وكانت فرنسا تسعى لنفسها مركزاً ممتازاً في الشرق الأوسط منذ كانت أولى الدول الأوروبية التي تعقدت مع سلطان تركيا في القرن السادس عشر وبسبب حمايتها للشعوب الكاثوليكه داخل الدولة العثمانية وخاصة في لبنان وما كان ها من ثقافة لائنيه فرنسيه بثتها إرسالياتها اديبيه وكلياتها ومدارسها المنتشرة في أنحاء بلدان الشرق الأوسط لذلك طالبت فرنسا

عقبا في لاسدب على مصفحة سرو البحر المتوسط هذه. ولكن السياسة الانجليزية كانت على حدود من مضامع فرنسيين في السرو فاتفق رأى على أن يكون لفرنسا الانتداب على سوريا ولبنان واحتفظت انجلترا لنفسها بالانتداب على العراق وفلسطين وسرو الأردن ولا يبتى بعد ذلك مستفلا من دول السرو الأوسط غير بلاد لعرب بيد الملك حسين شريف مكة. وكانت انجلترا تعلم أن أمام النهضة العربية في السرو الأوسط مستقبلا سيعيج بالأحداث والاحتلات وأن مصالحها في تلك المنطقة تقتضي أن تكون بيدها قواعد استراتيجية ترقب منها تطور الحركة العربية من جهة ونسرف منها على مصالحها في القناة من جهة أخرى متى أذن الوقت مجلائها عن مصر استجابة لروح الوطنية التي بدأت تنأجج في مصر منذ ثورتها في سنة ١٩١٩، فصمم على أن تملك بمنطقه نفوذها في فلسطين وشرق الأردن، وهي لا تزال على رأيها فيما يخص شرق الأردن على الأقل. وبكاد الخلفاء يوزعون على أنفسهم أسلاب الحرب باسم الانتدابات حتى ظهر في ميدان السرو الأوسط عامل جديد هو في خطوره اليوم أبعد أثرا وأسا وفعلا من إنشاء القناة - ذلكم هو نفجر عيون البترول قرب الموصل وكركوك بالعراق واختزان كميات هائلة منه في جهات متعددة على طول المنطقة التي تمتد من خليج فارس إلى ساحل البحر المتوسط وشمل الكويت وجزيرة البحرين وبلاد العرب السعودية وسوري ومصر. ولما كان زيت البترول هو عصب الحروب الحديثة والقوة الحركية للطائرات والدبابات والسيارات والسفن الحربية لذلك كان السباق على استغلال آباره في الشرق الأوسط من أقوى العوامل التي ركزت اهتمام الدول هذه المنطقة. وليس أدل على ذلك من جهود ألمانيا الجبارة في أثناء الحرب الأخيرة للوصول إلى موارده سواء في رومانيا أو القوقاز أو خليج فارس. والدول في معركة البترول بنساي جهودها سواء منها المحروم كبريطانيا وفرنسا أو المتخوم كروسيا وولايات المتحدة. فمحروم حاجته إليه طبيعيا وأما المتخوم فتدفعه إلى السباق بشأنه عوامل مهمه أخرى. فروسيا مثلا لديها موارد البترول التي سكتنها في حالي السلم والحرب وهي ثانية دول العالم إنتاجا للبترول بعد أمريكا ولكنها تلبى على منافستها أو أعداها أن يوافر لديهم ذلك السائل السحري التي فيستخدمونه ضدها إذا قامت الحرب، والولايات المتحدة تحس أن ينضب معين بترولها المدفق في بلادها

فتريد أن تأمن على مستقبلها في السلم والحرب وذلك بالاستحواد على بعض موارده الغنية في الشرق الأوسط .

لذلك ما كادت شركته لتتروى اعراضه سأل من الاجنيز والغربيين واهولنديين حتى طالب الولايات المتحدة بصحبها في سهمها فكان لها مقدار ٢٣,٧٥ في المائة من أسهمها . وكان هذا أول تدخل من جانب أمريكا في الميدان الاقتصادي بالشرق الأوسط .

ولما كشف الملك عبد العزيز آل سعود عن مياح البترول في شبه جزيرة العرب حسي أن يؤدي ذلك إلى تدخل الدول الاستعمارية في شؤون بلاده وبذلك رفض أن يستمع إلى عروض بريطانيا أو فرنسا وأخبار بعض شركات الأمريكية فأعطاهما سنة ١٩٣٣ حقوق الامتياز في مساحات واسعة من بلاده وقد أفادت بلاد العرب السعودية من ذلك فوائد اقتصادية واجتماعية على جانب عظيم من الأهمية . وفي سنة ١٩٣٦ حارب الولايات المتحدة أيضا بامتياز البترول في البحرين . وأما بريطانيا فقد لها أسهم في شركته لايريه لايجيرية وهي أسهم شركات البترول في الشرق الأوسط عموما وأوفرها إنتاجا ولها في شركته البترول العربية مقدار نصف أسهمها كما أن لها إنتاج الكوبت وبعد بريطانيا من نفودها السياسي في الشرق الأوسط ما عنها على المحافظة على مصالحها الاقتصادية . أما الولايات المتحدة فتركز جهودها في الناحية الاقتصادية وتأتي بريطانيا طواعية في الناحية السياسية .

وحرص المجلس على مصالحها في البترول حرصا شديدا فبعد في سنة ١٩٤٦ في إرسال قوة حربية لاحتلال ابصره عندما سبب بعض الاضطرابات العنيفة وخشيت على مواردها في إيران من احتلال . ولم حاولت روسيا عقب الحرب الأخيرة مد أجل حلها لئلا يبرأ من يده أهل أذربيجان لسيوره والاستقلال عن إيران وأحسب بريطانيا أن اختار الروسي يغرب رويداً رويداً من حقول البترول الإيرانية بدخول بريطانيا فقدمت إيران بسكوها إلى مجلس الأمن ومازال المجلس يدرس روسيا الخطة حتى اضطرت إلى مغادره إيران واستخفى عن أذربيجان فأجند فيها الثورة وبقب معصاح بريطانيا في البترول سليمة ولو إلى أجل موقوف .

ولما كان اسامح البترول الإيراني تفس إلى بريطانيا في خزائن حاصه عن

طريق مياه السوس كما أن بيروت اعراق يمر في أنابيب خصه تحت أرض العراق وسرى الأردن وفلسطين إلى مئذى حيفا بفلسطين وطرابلس بلسان لذلك كذل اهتم بريطانيا عظم بالفتورات السيسيه انى لازم نهضه بلدان لشرق الأوسط في السنين الأخيره . فسابوت اجلثرا روح النهضه الحديثه نى يد بين اسعوب العربيه ووقت بقدر الامكان بن مصاخها وبين مطالب هذه السعوب فى الخريه والاستقلال وعلى ذلك نزلت عن حمايتها على مصر وأقرب استقلالها كما نزلت عن انبائها فى العراق واستعاضت عن الحماية والاستداد بمعهديين مع الملدين أو شكنا أن يستندا موضوعهما . وبقيت مشكله فلسطين نى عقدتها انجلترا وسعها الحلفاء فى سنة ١٩١٧ بإعلان نصريح بلفور فم أفادت انجلترا بن انبائها عليها سوى الحوادث الداميه وثورات التعاقية وبيام النزاع لسانها بين العرب واليهود حتى أصبحت مشكله فلسطين بن أعقد وأسده ماواجهه العالم الحديث من مشكلات الشرق الأوسط .

فما فرنسا فقد سارت فى سوريا ولبنان وفق سياسها الاسعمره العتيقه انى روى فى خدمه مصالح فرنسا الكبرى وادماج العناصر الوطنيه داخل دائره الجنسه الفرنسيه المرتة فمقديهم بثقافتها وتغذى بهم جموسها لتخرج فرنسا من ذلك هذه قويه عربيه اجنوب دون أى اعتبار لبادى الخريه نى ورنه بن اسوره افرنسيه ونى م سمح بها بقليل أو كثير لسعوب انى انبها . ومع أن نظام الانداب قد غيّر الأسس التى كانت تقوم عليه سياسه الاسعمر وديما فجعل واجب الدوله صاحبه الانداب هو العمل على مساعدته السعوب المنبديه له وتهينه حكم نفسه بل أن مثاق عصبيه لتقص صراحه على الاعتراف باستقلال الشعوب الرافيه التى كانت خاضعه لى ليا فان فرنسا لم تحط حصوه واحده فى سبيل تخلى استقلال هذه السعوب أو تهينها لحكم الذات . وذل أول مبدأ راعده فرنسا فى دائره انبها هو مبدأ لمرقه بين المداعب المنبديه والحقايق الوطنيه فأوجدت دويلات محله مسقله عن سوريا ولبنان كجيب اليروز وإقليم العلويين وسنحق اسكندرونه . كل ذلك لأن السعور بالاستقلال وبالموحده العربيه فى سوريا كذل قويا وجارفا وكما فرنسا تخسه بدرجه جعلها نفسى وسعوت فى مساعدته المصالح الوطنيه لأهل البلاد كافة حتى قدمت فرنسا المكنه المسزده التى كانت لها فى الماضى لآى سوريا وحده بل وفى لسان أيضا .

لذلك لم يكن غريباً أن ينهز البعثيون فرصه اندحار فرنسا أمام ألمانيا في الحرب الأخيرة فعملوا على تحقيق أمانيهم في الاستقلال والخلص من آثار الأساب الفرنسية جميعاً دفعة واحدة . وكانت الحكومة الانجليزية مدرك أهمية سوريا ولبنان من الوجهة الحربية مد كانت دولتا المحور مهددان مصر من جهة حدودها الغربية . وكان الحلفاء يسمعون بترول العراق في أنابيب حيفا وطرابلس فما كادب تلمح آثار المعاونة التي كان يقدمها أعوان حكومة فيسي للمحور في دولتي السرو وفي العراق حتى أجمع الحلفاء أسرهم على تحرير سوريا ولبنان من فوات حكومة فيسي وبألفت قوة من الجنود البريطانية وجنود فرنسا اخره بقياده الجنرال ولسون ومعه القائد الفرنسي كاترو لمزحف على بلاد السرو في خريف عام ١٩٤١ فلم تجد القوة صعوبة في كسر مقاومة جنود حكومة فيسي . وقد سبق قيام الحملة وأعقبها إعلان من حكومة فرنسا اخره ومن الحكومة الانجليزية بموافقتها على استقلال سوريا ولبنان واعتبار كل منهما دولة ذات سيادة فاطمان الوطنيين في الدولتين ومهدوا للحلفاء طريق النصر على أعوان المحور .

وبدخول الانجليز منتصرين بلاد المشرق بدأت في البلاد سياسة جديدة فقد أصبح للانجليز المكانة الحربية الأولى وتأخرت منزلة فرنسا على حين اتسع دائرة المعاملات بين الانجليز والبلدين . وكان إعلان الاستقلال الذي أصدرته حكومة الجنرال ديغول يشير إلى ضرورة تسوية الروابط بين الطرفين في معاهدة حرة تعقد بينهما بعد الحرب . ولكن الوطنيين أبوا الاعتراف بحق الانتداب نفسه على أساس أن حكومة فيسي قد انفصلت عن عصبة الأمم في سنة ١٩٤١ ولم يعد للانتداب على بلادهم أصل قانوني وهم لذلك خبيثون أن يتمتعوا بالاستقلال التام ويكل مظاهره من حكم نيابي ديمقراطي وتمثل أجنبي وجيوش وطنية دون أي اعتراض من جانب فرنسا . واضطرت فرنسا إلى الخضوع في أول الأمر وانضم الدروز والعلويون إلى سوريا وجرى الانتخابات فاخير الزعيم سكري القونى رئيساً للجمهورية السورية كما انتخب الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية اللبنانية . ولما كان الحزب الذي يزعمه الرئيس اللبناني يناصر حركة الوحدة العربية ويؤيد استقلال لبنان التام فان فرنسا لم تستطع الصبر طويلاً وحنق السدوب الفرنسي ذاب ليله وقبض على رئيس

خسبهم ورجال حكومته واعينهم حارج بيروت في نوفمبر ١٩٤٣ فكان ذلك إيذاناً بميلاد روح وطنية جديدة جعلت اللبنانيين يتعاونون جميعاً ضد لأجنبي . وغلب جمهوريه السنه من جانب أمريكا احكومته الانجليزية ومن جانب مصر وأخواب من الدول العربيه أكبر عون على فرنسا فلم يسع المجبه الفرنسية الحرة إلا الرضوخ لمطالب الوطنيين .

ولما ترددت فرنسا وتباطأت في اجلاء عن البلاد ما لم يعرف لها الوسطيون يمر لزمها لخاص جأت سوريا وسن شكوه إلى مجلس الأمن سنة ١٩٤٦ وطالبها بجلاء الانجليز والفرنسيين جميعاً عن بلادهم واضطرت فرنسا أخيراً إلى قبول رأى مجلس تحرس أمرها ومساعدتها واتحدت عن بلاد المشرق بأركانها برضاها وحدهم أمام أخطر القويه العربيه من جهة ومناقضه أمريكا وروسيا لها في هذا الميدان الجديد من جهة أخرى .

ورأى المحتلرا أن خير علاج للموقف يشتمل أن يحبي فكره الجامعة العربيه الى ازدهرت ربحاً من الزمن في عهد سلطان عبد الحميد باسم الجامعة الاسلاميه وأكثت بريطانيا إذ ذاك كعادتها متحيره متردده بين تحييده بفكره وانكارها فقد كانت تحض على الفكرة لمعارضه النفوذ الروسي الذي كان يهدد ممالك الدولة كما أنها كانت تخشاهم خوفاً على ولاء مسلمي الهند نحو الامبراطور المت . أما بعد انتصار الحلفاء في الحرب الأخيرة واضطلاع الروس فيه يدور الضوطة العالميه فان الخطر الروسي قد تجسم أمام بريطانيا بدورجه جعلتها تنضم على إخراج فكره جامعه الدول العربيه إلى حيز سياسة الواقعيه دون أن يمالى بما قد يترتب على تألف الجامعة من نتائج قد تضر بمصالحها قبل أية دولة أخرى . وكان أول إيذان بفكره الجامعة الحديثه في صيف عام ١٩٤١ إذ وقف مسنر ايدن وزير خارجية انجلترا بعض في قصر محافظ لندن عن سياسة الحكومه الانجليزيه بشأن مستقبل الشعوب العربيه ويقول « إن روابط الصداقه التي تجمع بيننا وبين العرب ترجع إلى عهد بعيد فلنا بينهم أصدقاء حديدون كما أن لهم سناً أصدقاء جميعين . . . وقد كان من أعز أماني عدد كبير من مفكرى العرب وهدفه الرأى فيهم أن تنعم الشعوب العربيه به حدة أوسع مدى مما تمنه الآن . . . ونحن لا نسعنا إلا الاستجابة إلى هذا النداء لأن تقويه اربوط الاقتصاديه وثقافه والسياسه أيضاً بين الدول

العربية أمر اعتبره في الحقيقة طبيعياً وعادلاً . وهذا فإن حكومة جلالة الملك تعلن أنها ستناصر كل مشروع يرمي إلى تحقيق هذه الأغراض متى كان المشروع حائزاً لرضاء الجميع . " ولم تكن أمريكا حين أعلنت انجلترا ذلك التصريح قد انحازت بعد إلى جانب الانجليز في الحرب كما أن فرنسا كانت قد أقصيت عن الميدان مهزومة مهينة الجناح . أما روسيا فكانت لا تزال مربوطة بألمانيا وتوسك أن تنقلب عليها حليفها بغزواتها المروعة . لذلك ولده مشروع الجامعة العربية بمسأى عن أمريكا وروسيا وفرنسا وعلى أيدي برصاها وحدها وهي إذ ذاك مثقلة بالهموم وفادح المسؤوليات . وكأما أرادت انجلترا أن تترك للشعوب العربية إرثاً يذكرونها به بعد الحرب فكانت أن أعلنت ذلك التصريح الذي يقف في مرماه البعيد في الشرق الأوسط على مشروع قناة السويس أو كشف منابع البترول . وكانت الشعوب العربية منذ وقت مسكله فلسطين تتوالت لتحقيق فكره الجامعة العربية ولذلك سرعان ما قنع مصر ببنى المشروع وقامت على نفقة مع أخواتها بمقتضى بروتوكول الاسكندرية في أكتوبر سنة ١٩٤٤ تم وفق ميثاق الجامعة في مارس سنة ١٩٤٥ .

وإذا كانت بريطانيا قد ظلت أنه باسء اجاعة الدول العربية قد أوفيت حاجزاً في وجه التنافس الدولي بشأن الشرق الأوسط . أو إذا كانت الشعوب العربية قد نوهت أن هناك اجاعة ببعضها من استعمار المسمعين فقد أخطأت بريطانيا وأخطأ العرب جميعاً . لأن الاستعمار لا يشترط فيه أن يكون مقصوراً على الحكم والسياسة بل إنه ليشمل الثقافة والاقتصاديات أيضاً وهيئات أن يجد الشعوب العربية في ثقافتها وصناعاتها واقتصادياتها ما يغنيها عن التعاون الأجنبي . ثم إنه ما دامت الحروب أمراً محملاً الوقوع فإن الدول التي تقطع في مكائنها العالمية سترنو دائماً بصورها إلى منطقة الشرق الأوسط حيث توجد أهم القواعد الاستراتيجية في العالم .

وسيطل اهتمام الدول الكبرى بهذه المنطقة فائماً إلى أن تستكمل شعوب الشرق الأوسط أسباب نهضتها أو يلقي مادة الحرب من القاموس الدولي .

في بلاد اليمن

عرف الناس عن بلاد العرب أنها بلاد صحراوية حارة ، يدور بها المطر ولا سقيم سطوة ، وتقل فيها النداب ، ويصعب استنامها إلا حول العيون والآبار ، ويشغل أهلها بالرعى والانتقال وراء الابل والأنعام ، سعيًا إلى مواطن اسكلا' والرعى ، ويعمل فريق منهم في النقل التجاري على طرق التوافر ، حسب تباعد المسافات ، ويسبق السر والانتقال إلا على الجمال وحدها من رجال البادية الأسداء . والصوره العامة التي تحضر الذهن عندما نسمع اسم الجزيرة العربية أنها بداء ساسعة ، تنتشر مواطن السكلا' في بطون أودسها القسلة ، ولا تشر ربيها الرملية غير السخيل وقليل من الحب أو النمر ، ويعيش أهلها عشه البدو والأعراب ، في بيوت من الشعر أعدت لينتقل بها أصحابها خفيفة فوق ظهور الجمال ، ولا نستقر الحياه فيها ولا نتركز إلا في واحات قليلة هنا وهناك .

ولكن انشى يدرس الجزيرة العربية يجد أن هذه الصورة لا تصدق إلا على مناطق معينة من تلك البلاد الشاسعه . وهي تصدق بصفة خاصة على المناطق الداخلية والوسطى من شبه الجزيرة . أما في الشمال فهناك ما يعرف بالهلال الخصيب ، وقد اشتهر بأنه موطن المدنية المستقرة منذ أقدم العصور ، ويشمل بلاد العراق والشام بمعناهما الأوسع . وأما في الجنوب فهناك عمان وحضرموت واليمن ، وكلها من مواطن المدنية والاستقرار القديم . واليمن وحياة أهلها هي موضوع هذا المقال .

ولا بد لنا إن نحن أردنا أن نتفهم الحياه في بلاد اليمن من أن نعرف سببا عن ظروفها الجغرافيه العممة . فالبيئة الجغرافية كما نعرف هي مسرح النشاط البشري . وكثيراً ما سكف حبه اناس وأعمالهم بظروف هذا المسرح الطبيعي . ولذلك وجب علينا أن نشير إلى عوامل البيئة الأساسه التي

ترب . ولا تزال تؤثر في حياه الناس وماريحيهم في ذلك الرأى من الجزيرة العربية .

وتختلف بلاد اليمن عن بقية البلاد العربية بأشور أساسيه . وهما أنها هضبه عذله بسبب في الأصل عن انكسار البحر لأجر وارتفاع حافته في بلاد العرب من جهه . وفي الحسمه ونسرو إفرسيه من جهه أخرى . وكان الارتفاع طاهراً في بلاد اليمن بصننه حاصه . لأن السطح أضعب منه طبقات من اللافا والسكريات البركانيه . التي زادت من سمك الطبقات وارتفاعها . ويتراوح متوسط ارتفاع هضبه اليمن اعلا من ١٥٠٠ ٢٠٠٠ متر ، وإن زانب بعض جبالها ، كصقله جبل النبي شعيب الواقعه إلى العرب من صعبه . تزيد على ٣٥٠٠ متر : وربما كان هذا اجبل أعلى القمم في بلاد العرب كلها ما عدا بعض اجبال غير المعروفة في بلاد عسير . وقد ترتب على ارتفاع بلاد اليمن أن استازت بمساخها المعتدل ، رغم أنها تقع في منطقه حاره . فصلا عن أن هذا الارتفاع أدى إلى ازدياد الأمطار الموسميه الحسميه . التي تزيد في بعض جهات الهضبه ، لاسيما ركنها الجنوبي الغربي ، على أكثر من .٥ سنينتراً في العام . ولا يقل عن الحسمه في مختلف جهات الهضبه اعلا عن .٤ سنينتراً ؛ وهو قدر يوازي عسر أمثال متوسط الأمطار في الجهات الصحراويه الحارزه من سبه الجزيره ؛ بل هو قدر يكفي نمو النباتات والأشجار التي تكسو معظم الهضبه ، ما عدا أطرافها السريبه الداخليه ، حب نفس مصر . وما عدا منطقه تهامة . وهي سهل ساحلي صق يمتد على طول شاطئ البحر الأحمر ، ويختلف في مظهره الطبيعي وحماه سكه عن الهضبه المنمسه بالمعنى الصحيح .

وهناك عامل جغرافي آخر ميز اليمن من غيرها من جهات اجريه العربيه . وذلك أن معظم صخورها من المواد البركانيه التي تسرب من باطن الأرض في سطوح عده حتى بلغت السطح فقصته بطبقات سميكه مما يسميه الجيولوجيون باللافا الغصائيه ؛ أو التي ظهرت في هيئة براكين مخروطيه الشكل مكوون في آخر الأعصر الجيولوجيه . ولم يزل بعضها ثائراً مضطرباً حتى خلال العصر التاريخي . ولقد نفتت هذه المواد البركانيه بفعل العوامل الجوية والأمطار . فكونت تربه صالحه للزراع والانباب . بل صالحه للاحتفاظ بالرطوبه وغذنه

لسببها . حتى بعد أن يقضى موسم المص . ويبت لحره اعليه شبه التربة الى بوحه في الحطب المتعاقلة من احضبة الحبيبه . بل بسبه إلى حد ما اتربة الغنيه التي يحيط بها البيل إلى مصر ؛ وفي ذلك يمتاز اليمن من معظم البلاد عربيه . حسب نسود التربه الرملية أو الجيرية أو الغريه المتلوره الجرداء . ما عدا مناطق قليلة هنا وهناك .

فحصب اليمن وإيناعه وغناه بالنبات وخضره والخيرات الزراعية يرجع إلى ارتفاعه وارتفاعه أمطاره وتربته الصاخده . ويبت كلها قد جعلت منه « بلاد العرب سعيدة » كما كان يسميه قدماء الكتاب من الجغرافيين في عهد الرومان . ولقد ساعد على تميزه بصفة خاصة سقوط أمطاره في الصيف أى في الفصل الذى يسد فيه القطر وتقسو الضبعه على ما قد يكون بالأرض من نبات . فأى المضر ليسعت النبات بالماء في الوف النسب ؛ وذلك بخلاف الحال في شمل بلاد العرب مثلاً حيث تسقط الأمطار في أشهر الشتاء . ويمتاز الحبيب بارتفاع حراره واستدائ الجفاف في آن واحد . فضلاً عن أن التربة في بلاد اليمن كانت كما ذكرنا من النوع الذى يحنط بالرطوبة . وغترتها بين ذرايه من فصل إلى فصل . ولذلك لا يكن غريباً أن يمتاز هذا الركن المصير الحبيب من الجزيرة العربية بأنه كان موطن حياه زراعيه مستقرة منذ أقدم العصور . تختلف عن تلك الحياه الرعوية المتغله ، والتي عرفت عن معظم أنحاء الجزيرة العربية . بل لم يكن غريباً أن يصبح اليمن موطناً للحضارات والمدنات القديمة والمستقره ؛ والتي عرفت منها حتى الآن الحضارات المعينه والسبئية والحيمرية . وقد استمرت كلها خلال ما يقرب من ألف وخمسمائة سنة قبل أن يظهر الاسلام ؛ كما بقى اليمن خلال العهد الاسلامى موطناً لحياه مقدسة ، ومدنه لا نقل عما نعرفه من بقية العالم الاسلامى العربى السامى . ونباع السميون حياتهم ونشاطهم في استغلال يبتهم وتربة أراضيمهم ؛ فاستقروا على سفوح الجبال ، وأنشأوا على منحدراتها مدرجات منتظمة تحفظ التربة وتمنع الأمطار من أن تجرفها في انحدارها إلى الأودية ، وغرسوا أشجار البس والعاذية ونباتات الحبوب المختلفه التي أهمها الصمغ والشعير والذره ؛ وارتبطت حياتهم بالأرض ارتباطاً قوياً . واستمرت كل قبيلة من قبائلهم في بقعه من الأرض بفتح تربتها وتستمسك بها وتتخذها موطناً ومستقراً . وذلك كله

اسازف حماد اليمنيين على مدى العصور بأما ذلك حماد مسوطيه مسفره
سمندنه . بن كانت حماد فرى وحضر أكثر مما هى حماد رعى وسمل .

وكان هناك عامل جغرافى آخر ميز الحياة فى بلاد اليمن ؛ ذلك هو

موقعها الجغرافى فى ركن من الجزيرہ العربیة ، محط به الصحارى والمناطق الحارة
الوعرة فى الشرق . أى فى اتجاه تراء الربع الخالى حسب الشمال والجنوب
والأرض الملحة الجرداء . وفى الشمال أى فى اتجاه بلاد مصر والحجاز حسب
سود الصخور البلورية القديمة وشمال الأستار كما انجهد بعداً عن الركن اليمنى .
ولقد ساعد موقع بلاد اليمن واختلافها عما جاورها من أرض الجزيرة على أن
تحفظ ثبات البلاد بظان وكان خاص . فصلاً عن ن وفوقها فى أقصى الجنوب
الغربى . وفى مواجهه بلاد الحبشة وشرق إفريقيا من وجهها بوجيهاً خاصاً .
فاتصلت حبشاً ببحر الأحمر وتجاره منذ أقدم العصور . وكانت تؤلف جزءاً
تسميه بلاد بونت . وهى البلاد القديمة التى اتصل بها قدماء المصريين
والتي يرى باحثون أنها تشمل إلى جانب بلاد اليمن بلاد الحبشة والصومال .
ولقد توثقت الصلات القديمة بين اليمن وشواطئ أرض الحبشة . وناصب
الآن أن كثيراً من عناصر اليمن القديمة قد هاجرت إلى شرق أفريقيا واستقرت
هناك ؛ وأن الساميين القدماء إنما هاجروا إلى الحبشة وسكنوها عن
طريق بلاد اليمن وباب الشعب ؛ وأن بعض مدوك اليمن الأميين لاسي فى
العهد الحميرى قد وسعوا ملكهم فى الشواطئ الإفريقية المقابلة ؛ كما أن
الأحماس بعد ذلك عزوا اليمن واستقروا هنا قبل أن يظهر لاسلام . ولا تزال
صلات التجارة والثقافة والمهاجرة قوية بين السواضى اليمنية والإفريقية على
جانبى البحر الأحمر وخليج عدن .

كذلك تمثلت قيمة الموقع الجغرافى لبلاد اليمن فى أنها كانت تسرف على
المدخل الجنوبى لبحر الأحمر . وعلى صلات البحرية التى تربط بين أهل
الشمال والبحر الأبيض المتوسط والشواطئ المعتدلة من جهة . وأهل البحر الأحمر
وبحر العرب وما يليهما من المحيط الهندى والمناطق الحارة من جهة أخرى . وكان
ذلك الموقع مصدر خير للبمن وموانئه القديمة فى الأعصر التى كان اليمن فيها
قوية . فخرج ملاحوه إلى البحار ونقلوا المتاجر بين الشرق والغرب . وأفاد اليمن
من ذلك إلى حد كبير . كما حدث فى أواخر العهد الاغريقى الرومانى . وفى

مضى دوار أعهد الاسلامي . ولكن هذا الموقع حسه كان مصدر بلاء في
 أعصر ضعف اليمن . عند ما طمع العدم الخارجي فيه أو في بعض موانئه على
 الأفق . ولقد حاول الرومان أنفسهم أن يغزوا قلب اليمن ؛ ولكنها كانت غزوه
 قصيرة محدودة النجاح . كما طمع الغزاة في بعض الموانئ والنقط الساحلية
 في الأعصر القديمة والحديثة على حد سواء . وكان آخر الأمثلة استقرار البريطانيين
 في عدن ؛ لأنها تقع على طريق الهند ويصلح قاعدته للاستطول في تحكمه وحمايته
 لتصرف أسجاره مع الهند من جهة . ومع شرق إفريقيا من جهة أخرى . لذلك
 طمع البريطانيون واستقروا في بعض الجزر الهامة التي تواجه سواحل اليمن
 وأهمها جزيرة بريه . كما طمع الفرنسيون في نفوذ الشيخ سعد الواقع في
 ركن باب المندب اليمنى بالذات .



إلى هذه العوامل الجغرافية اختلفه . وحتى لم يكن الموقع الجغرافي إلا واحداً منها ، نستطيع أن نرجع ما اصاب به بلاد اليمن من بنه الأقطار العربية من أمها . سكن صحراء ولا منطقة مدوورعه ؟ وإنما كانت غصبه عدله . تزييرة الأسطار الصيفية عمة التربة ، مكسوة بالنباتات القصبية . يعيش أهلها عيشة الاستقرار بقلحون الأرض وينسئون المديبات العريفة المستقرة . وسرفون من عضبهم وموانيم على طرف النخل والتجارة . ويهاجر ملاحوهم بعداً عن بلادهم ، يفلون معهم ثقافتهم الساسية أول الأمر . ثم ثقافتهم العربية الاسلاميه بعد ذلك . إلى بلاد نائية بعده في تسرى الآسوى الأقصى أو في شرق أفريقية .

على أن هذه العوامل الجغرافية قد سبب بلاد اليمن من ناحية أخرى : فأعطتها طابعاً خاصاً من الحضارة . تختلف حضارة في بعد أرض الجزيرة ؟ بل أضحت عليها شخصية إقليمية مميزة . تمثلت على الخصوص في ميدان الثقافة . وعلى الشخصية التي احتفظ بها اليمن حتى بعد أن دخل إليه الاسلام . وبعد أن صار للجزيرة العربية كلها دين واحد وبلغ واحد وثقافة موحدة إلى حد كبير . وليس من شك الآن في أن اليمن قد استمتع بمورده العظيمة وتراثه العربي في الثقافة أن يؤثر في بناء اشقافة الاسلام نفسها قبل ظهور الاسلام بعده . ولكن اليمن وقد أعطى بلاد العرب ما أعطى من ألوان الثقافة قبل أن يظهر الاسلام . أبى في العهد الاسلامي إلا أن يحتفظ بحياته الخاصة . وشخصيته التي كانت في واقع الأمر مستتقة من بنه الجغرافية المميزة . ومدنيته التي ارتبطت منذ أقدم العصور ببنك البيئه . ولذلك فإن اليمن لم يلبث أن أصبح قاعدة لجماعة الزيديين ومذهبهم الذي اشتهر في الأصل من المذهب الشيعي . ولكنه سرعان ما اتخذ صبغته الاقليمية الظاهرة . فأصبح يتميز حميه السنيين ومذهبهم في الدين والسياسة حتى يومنا الحاضر .

ولقد نشأ المذهب الزيدي أول ما نشأ في أوائل القرن الثاني للهجرة . أي في أيام زياد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : فأسس مذهباً الذي ينسب إليه أتباعه الزيديون حتى الآن . وقد توفي في عام ١٢٢ هـ فاجرى وخلفه . مع فتراب انقطاع . عدد متلاحق في الأئمة من أهل الشيعة والريود من سلالة علي رضي الله عنه . واختار أغلب هؤلاء الأئمة بلاد

اليمن مقاماً لهم حتى يزدر المذهب وأبباعه في بلاد اليمن . واضمر علمها
بسدريج . وأصبح الزيود في اهصه المسمد مختارون إمامهم وبياعونه ، كما
عصى به السرعة الاسلاميه ، وكجري عليه اليمن في عهد الخلفاء الراشدين ؛
وبرشرون في سنة السلفيين الروحيه والمدرسه . ولا يزال العمل جارياً على هذا
التقليد في بلاد اليمن حتى الآن .

وقد انتشر المذهب الزيدى في بلاد اليمن . لاسيما المناطق الجبلية العالية
سهم . ويبعد الآن أكثر من مئتين ونصف ميلاً من سكان اليمن الذين
يلعون حوائ ثلاثة ملايين . ويركز الزيود ونشده عصيتهم لمذهبهم في
الجهات الجبلية ، لاسيما في شمال اليمن وقلبه . ولكن الزيود أقل تركراً وأقل
اسمياً كما بمذهبهم كما اتهم نحو الشرق أو الغرب أو الجنوب . ويسع باقي
سكان اليمن . وشرون بسحو نصف مليون أو أقل . المذاهب السنية ، وأهمها
مذهب الامام الشافعى ، الذى تنتشر على الخصوص في منطقة تهامة المنخفضة ،
التي تقع على ساحل البحر الأحمر بما فيه ميناء الحديدة ؛ كما يوجد أيضاً في
بعض أطراف اليمن الجنوبية الشرقية .

على أن السني' المهم والظريف أن اختلاف اهضبة السنية وتميزها من
بقية الجزيرة العربية في الحياة والفكر والثقافة والسني كان في يبدو صورة
مستعكسه من تميزها واختلافها من الناحية الجغرافية الطبيعية ؛ ذلك الاختلاف
الذى مدت آثاره وبرزت نتائجه واضحة جلية في حده اليمن في العهد الحديث .
فقد اسد سدقان الخلافة العباسية إلى الشرق العربي كله ؛ ولكنه كان في
اليمن ضعيفاً متضاثلاً . رغم ما يمازى به تلك البلاد من غنى ونزوه وجوده في
انصبغه والمناخ . ولقد تمت سلطة الخلافة العباسية اسمية على اليمن ؛ وكان ذلك
بالقطع راجعاً إلى بعد تلك البلاد وضعوه الوصول إليها عن طريق الحجاز البحرى
لشوق ، أو عن طريق البحر الأحمر الذى لا تمتد تركبها القوة البحرية للاسراف
عليه ؛ ولكنه كان راجعاً أيضاً إلى نفور أهل اليمن وهصه من نظام الخلافة
السني . واسمى' كهم بمظالمهم الزيدى بل تعصبتهم له . وقد احتفظ أهل
اليمن خلال العهد التركى باسمهم الخاص ؛ وإن كان نموذبه لم يتعد الناحية
الروحيه ، وبعض شؤون الدنيا في جهات خاصه ومحدودة في هضبة اليمن .
وقصده كفاح الامام الراحل المغفور له يحيى بن حمد الدين هى صورته مصغره

من كنفاح اليمن ليحتفظ بكيانه وسيخصبه الميزة : بل لم يحبط باستقلاله ونيسر على طريقه الخاصه مهما احتلف في ذلك عن بقيه اجزاء العالم لعربي وأفئذه .
 وقد ولد رحمه الله في صنعاء سنة ١٢٨٦ هجرية أي سنة واحد وثمانين عمداً هجرياً ؛ وأخذ فتون العلم والدين بقت السنيه حتى اضطر أن يهجرها مع والده الامام المنتصور بالله محمد بن يحيى في سنة ١٣٠٧ هجرية . ولا توفي المنتصور بالله في سنة ١٣٢٢ هجرية بايع العلماء الامام يحيى . واخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين الامام المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن حميد الدين .

وكانت مسابقة الامام يحيى في ظرف تحفزه إلى أن يزعم الحركه الدينيه والقوميه في البلاد ضد الأتراك ونظامهم في الخلافة واحكم . فلم يلبس أن ألب القبائل وجمعها من حوله ، وناصب الأتراك اعداء ، واستنماع سرباً أن يدخل صنعاء بالنداب وأن يستقر بها إلى حين ؛ واضطر الأتراك إلى أن يفلوا مركز قوهم ومعسكرهم وسلطانهم إلى قلعة مناخة في الجبال الواقعة في الغرب من صنعاء . على أن الأتراك ما لبثوا أن جمعوا قواتهم وأخرجوا الامام من صنعاء ؛ فراجع نحو الاشمل واتخذ مركزه وقاعدته بين الجبال لاسيما حول صنعاء في سهل اليمن . حتى إذا ما شبت الحرب العالميه الأولى ، وسغل الأتراك بكفاحهم في الشمال من جهة ، وانقطعت مواصلاتهم في قارب الجريه وفي البحر الأحمر الذي يشرف عليه البريطانيون من جهة أخرى . نجح الامام وأنشاعه من الزيدون في أن يدخلوا صنعاء مرة أخرى في عام ١٣٣٧ هجرية أي في أواخر تلك الحرب . ومنذ ذلك الحين مهدت السبيل لأن تستتب الأمر بالدريج للامام وفوائه في المناطق الجبلية والداخلية . حيث يسود المذهب الزيدي ؛ في المنطقة الساحلية حيث يسود المذهب الشافعي .

ومع ذلك يمكن أن نقسم جهاد الامام الراحل في سبيل إقامة دولة اليمن الحديثة إلى مراحل ثلاث : أولاها مرحلة الكفاح ضد الأتراك ؛ وقد بدأت بتولية الامام يحيى في أوائل القرن الحالى . واستمرت حتى أوائل الحرب العالميه الأولى ... وكان ختامها أن طرد الأتراك وحل الامام محلهم على رأس السلطة المدنية المركزيه في صنعاء . ولكن السبب الحقيقي أن جهاد اليمن في هذه المرحلة كان جهاداً قائماً بذاته ، ومستقلاً إلى حد طاهر عن جهاد بقية الأفطار العربيه ضد سلطان الأتراك ؛ وفي ذلك صوره معكسه من

سجنه اسمن ومقوماتها الخرافية التي أنشأ إليها . ولمرحلة السبب في احياء
 هي التي مضاعفا الامام ورجاله ومعاونوه في توجيه البلاد داخلها والقضاء
 على العناصر السوءة والقبائل التي اعتادت الفوضى والتي أفسدت وحشتها نظم
 احكامهم لأمم لأبراك . وقد استمر بعد المرحلة ثمانية عشر عاما . جاء
 في أعقابها المرحلة الثالثة التي أراد فيها الامام أن يحدد مملكته . وأن ينظم
 علاقاته بالعالم الخارجي . ولكن في أصيق نفاق تمكن . وكان الامام في
 هذه المرحلة مثالا صادقا لروح اسمن الذي عانى أهله أجيالا سلاحته خلال
 العهد التركي بمعزل عن العالم . بما في ذلك البلاد الاسلامية العربية نفسها .
 وكان طسعي مع ذلك أن يحث الامام الراحل أول ما احك بيرطانيا التي
 كانت قد وطلت أودامها خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين
 على سواحل بلاد العرب الجنوبية ، واتخذت عدن قاعدته لأسطولها ومبانيه
 استنفها التي تجري بالتجارة بينها وبين الهند وشرق إفريقيا ، كما وسعت نفوذها
 في أصبح يعرف بمناطق الحميات ، وهي التي تقع إلى شمال عدن وتمتد إلى
 أراضي سلطنة الحح وسلطنات حضرموت . ولم يعترف جلاله الامام بنفوذ
 بريطانيا في تلك المناطق أول الأمر ؛ واستمر الخلاف قائما حتى وقعت بين
 اليمن وبريطانيا معاهدة صداقة في عام ١٩٣٤ ، نصت المادة الأولى منها
 على اعتراف بريطانيا « باستقلال جلاله ملك اليمن حضرة الامام ومملكته
 استقلالاً كاملاً مطلقاً في جميع الأمور مهما كان نوعها » ، كما نصت المادة
 الثالثة على أن « يؤجل البت في مسألة الحدود الجنوبية اليمنية إلى أن تتم
 مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء مدة المعاهدة (٤ سنة) . وإلى أن تتم
 تلك المفاوضات يقبل الفريقان المعاهدان الساميان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما
 يتعلق بالحدود في تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة » . وبذلك كان اعتراف
 بريطانيا باستقلال اليمن في مقابل تسليم اليمن بالحل النهائي على الحدود بينه
 وبين الحميات ، ولو إلى حين . كذلك كان الامام قد عقد معاهدة مع إيطاليا
 جددتها بعد المعاهدة البريطانية بعامين ؛ وكان فصيحه أن يوازن بين بريطانيا
 وبين الدولة المحفزة ذات المصالح امكانه إذ ذاك في جنوب البحر الأحمر .
 ولقد توثقت الصلات بعض الوقت بين اسمن وإيطاليا قبل الحرب . ونجحت
 اسنانيا في أن توفر ثلاثة مندوبين من الأطباء المستعدين بالسياسة أقاموا في

صعاء ويعر إلى أن حاء الحرب وتغيرت لأمرور . لذلك قام خلاف على حدود اليمن لسمانه بن السن والملكه العربيه السعوديه بسبب إسره عسير واسلاك واحد بحران التي تعتبر مر درا من مراكز الاتصال القديم بين اليمن وداخلة لبلاد العربيه وسرفها . ولقد قامت بالفعل حرب قصيره . باسم الحسن احظ . ولما اسار به العاهلان لعربان العظمان من حكمه وعصره ونقدير صادق . أن انتهت بمعاهده سنة ١٩٣٤ . اسرف فيها اليمن بحول نجران ضمن الدوله العربيه السعوديه . وتم الاتفاق على أن يسه احمدود اليمنيه بين ميدى وجيزان على الساحل في جنوب عسير .

هكذا انتهت دوله اليمن من تخطت حدودها . ولم يصبه وفه . وفي بعض حدودها الجنوبيه . وكان ينبغي أن تنو هذه المراحل الثلاث من تسامح اليمن وجلالة الامام الراحل مرحله رابعه هي مرحله الاصلاح الداخلى . واخروج باليمن من أعقاب القرون الوسطى ومفاسد حكم الاتراك . إلى الحياه المعامله والنهضة التي تجارى العصر الذى نعيش فيه . ولكن جهود اليمن جاءت ضعيفه مباطئه في هذه المرحله الرابعه . كما جاءت خطواته متقلبه مررده . وكان الجهود الجباره التي قام بها جلالة الامام الراحل في عهد سابه وعنفوانه . لم تترك فضلا من قوته وإقدامه لتتحه نحو الاصلاح الداخلى ؛ بل كان حذره وخوفه الشديد على استقلال البلاد من أن يمسد شئ . ود جعله يكفى من الحياه العائمه بأن يشاهد ما يجرى خارج اليمن من بعده . ولا سك أن تجاريه الطويله القاسيه كانت من وراء حرصه وحذره وخوفه من مجاراه العالم والاندفاع في التيار الدولى . ولكنما إذ سمس المعذره لبيمن في حذره وتخوفه ينبغي أن نذكر ان الاستقلال لا يؤق ثماره إلا إذا جاءت في أعقاب نهضة تجدد الحياه بما يسبق والعصر الذى نعيش فيه . وقد انقضى العهد الذى كانت الأمم الصغيره تستمتع فيه أن تتابع حماها الخاصه من وراء ستر و من خلف حجاب ؛ كما انقضى العهد الذى كانت الأمم التي لم تأخذ بتصميم من الحياه الحديثه تستلج فيه أن تنطوى على نفسها أو أن تعيش بمعزل عن انعم . وإتضح الآن نعيش في عالم شابكب أجزاؤه وسعت فيه الأمم بعضها إلى بعض . وخير لايمى وهو مهد النسيه لعربيه . بل وهو الذى جمع في يديه الغنى وسوقته الجغرافى القريب مقومات الحياه الحديثه

... حيرته أن يخرج إلى النور، وأن يسارع الخطي ليعوض ما فات،
وأن يعمل بالعالم فتعلم عنه ما ينتقل به وأبناؤه إلى الحصة الجديدة العاملة
الثمرة، وما يؤهله لأن يتبوأ هذه اللائحة بين أخوانه أم السرق
العربي الجديد.

رعى الله اليمن! ووفق أبناءه فيما هم مقبلون عليه من جهاد
لا شك طويل!

سليمانه مزين

وراء المنظور

[إزاء صورة تمثل حافة ، والشمس فيها
إلى الزوال ، في الحانة فتاة وأعوانها .]

صحراء بثت الرمال
تقتدى الأفق
شعاع تنفث الملال
وتحنس
صفراء هاجها الزوال
حتى الحلق
هبت تناوش الظلال
تحمي الرمح

ظبي يناديه السراب
فبعس
شعاع وراق الشباب
فيحترق
تكلؤه مجرب الذئاب
حمر الحديق
تصب نهمه اللعاب
على المحرق

بشر فارس

باريس أكتوبر ١٩٣٦

* للشاعر رأى في الاستحداث في الأوزان ميعرضه بعد حين .

مراثى الأندلس

لشعر الأندلسى خواصه التى تميزه من بقية تراث الشعر العربى . وليس من الصعب أن ندرك أسباب هذا الامتياز ؛ ففروع الأندلس فى مسارف أوروبا الجنوبية وشرقها جغرافية وسكانية والاجتماعية ، واستزاجها سمات التفكير واحضار الأوربية ، وصراعها الطويل مع أسبانيا النصرانية . هذه العوامل كلها أسبغت على الشعر الأندلسى ألوانه وخواصه التى يمتاز بها .

وكما أن شعر الأندلسى يبدو فى مواضع الوصف والمديح والغزل فى ألون روعة شفىق رقة وطرافة وابتكاراً ، فهو يبدو فى مواطن الأمل والشفج مياض سكاك وحزن . ويمتاز المراثى الأندلسية السائدة بروعة خاصة ، ويميل فيها كل ما فى ربح الأندلس من احس . ولم يصل المراثى القومى فى مجتمع اسلامى مدر ما وصلت إليه المراثى الأندلسية من روعة التعبير وروعة النوعة وعمق الشفج . وإن منها ما دال بحفظ حتى حفرها يكبر من روعة ، ويثير فى النفس بالغ الأمل والأسى .

وقد بدأت هذه الصبغة الحزينة تغلب على الشعر الأندلسى منذ أواخر القرن الخامس الهجرى . أى من بعد بناء دول الطوائف فى أطوارها المزججة . ومنذ بدأت أسبانيا النصرانية تسرع الفواعل الأندلسية العظيمة ، وأخذت الأمة الأندلسية تسعر بألمها أصحبت على المنحدر بواجه حضر الامهبار القومى . وكان مقصود طائفة فى يد الأسبان فى سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) أول ضربة مؤلمة أصابت الأندلس ، وكان أول محنة قومىة حتمية أثارت لوعة شعر الأندلسى . وما قيل يومئذ فى رثائها قصيدة طويلة هذا مطلعها :

لشكلك كيف تيتسم الثغور سروراً بعد ما يستت نفسور
أما وأبى مصاب هد مشه بيز الدين فبصل النبور (١)

(١) تراجع هذه القصيدة بأكثرها فى نوح الصب ح ٢ ص ٥٩٣ - ٥٩٤ .

وسوه الشاعر في مراثيه بصائغ من المعنى ، سبب هم بعد من المعنى
الساعة في المراثى الأندلسية ، تردد فيها بصور مختلف ، منها المكاء على عصى ،
وبأصابع نور الاسلام من انقطاع ، وخويل المساجد إلى كدس ، وعلى نسريد
المسلمين من أولادهم ، وفقدتهم لحربهم ، ووفوعهم في أعلال مله والمهاج ،
وسبى نسبتهم وأولادهم ، وغيرها من المعنى المؤثرة التي تتعلق غصه الوطن
والدين .

وكن من أشهر المراثى الأندلسية في ذلك العصر المدي اصحروست فيه
أحوال الأندلس وظهرت عليها أسبنا النصرانية ، وعراها المرابضون بعد أن
نظاهروا بانقاذها ، واستوعوا على فواعدها ووعورها ، وقضوا على دول الطوائف .
وقتلوا وأسرؤا ملوكها ، فصيده ابن عبدون السهيرة في رثاء دولة بني الأفطس
ملوك بطليوس ، وكانت دولتهم من أزهي دول الطوائف ، وفيها اردهرت
دولة الشعر والأدب ، وكان زعيمها وآخر ملوكها محمد بن الأفطس الملقب
بالموكل من أكابر العبد والأدباء . ولما استولى المرابضون على مملكته سنة
٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م) قتلوه وأولاده الثلاثة ، ووضع فيهم ورير دولتهم عبدالحيد
ابن عبدون المتوفى سنة ٥٤٩ هـ وهو من أهل يابره مراثيه السهيرة التي
مطلعها :

الدهر يفجع بعبد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنياك لا آلوك موعظة عن نومة بين قاب الليث والظفر
ومنها :

فلا تغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينها سوى السهر
مالليالي أقال الله عثرتنا من الليالي وخانتها يد العبر
في كل حين لها في كل جراحة منا جراح وإن زاغت عن البصر
تسر بالشيء لكن كي تغربه كالأيام تار إلى الجاني من الزهر
كم دولة وليت بالنصر خلستها لم تبق منها وسل ذكراك من خبر (١)

ونعتبر قصيدة ابن عبدون من غرر المراثى الأندلسية . وقد وضع لها ابن

(١) راجع قصيدة ابن عبدون بأكملها في كتاب المعجب للمراكشي ص ٤٢٠ ٤٦٠ .

مدون المدي في نحو سنة ١٠٠٠ هـ وقد من أهل سبب . سرها قيم دمع غير
مرة ، وهي تردد كثيرا من المعاني التي حرب عليها المرو الأندلسية في السوية
غير وندره : من أنها جلبت من المباح على مصير الإسلام ؛ لأن دولة
في الأندلس - لم يبق في يد نصارى ولا مسلمة في يد دولة إسلامية أخرى .
ولما أحدثت دولة الموحدين في سبب بعد المرابطيين على بلاد الأندلس
في الضعف والاضلال منذ أوائل القرن سابع الهجري ، وأخذت انقواعه
لأندلسية الكبرى بسطت بها في أمسى لخصارى ، ذلك دولة اسعروا وظرومت
لوعب . وقد سقطت قاعده أندلسية هناك في سببها الفصائل المؤثرة . ويجمع
في هذه الفترة بالذات معظم لمراي لأندلسية جامعها ، ولها بها مكي بمحنة الأندلس
ومصير قواعدها في بلاد رابعة ، وسبب ينسب بالآلاء والخسرات .

فمن ذلك قصيده ابن الأبرار الفطحي الأندلسي وهو نظمها حين دهم
النصاري بلنسية (سنة ٩٣٥ هـ ١٥٣٧ م) وأوفده أميرها أبو جهيل زيان
مشيراً إلى أن زكربا احتضنى سلطان تونس يستغيث به ويستنصره ، فأئند
ابن الأبرار قصيدته من يدى السلطان . وفيها تعرض عن الأندلس وصرخها
بأسلوب رائع يتفد إلى سويداء القلوب ، وهذه بدايتها :

| | |
|-----------------------------|----------------------------------|
| أدرك بخيلك خيل الله أندلساً | إن السبيل إلى منجاتها درسا |
| وحبها من غرر الحصر ما انقسم | فم بزل منك عر النصر منقسما |
| وحسب ما بعثته حسانتها | فطال ذاهب أبلى صبح مسما |
| بالجزيرة أضحي أهلها جزراً | للحادثات وأمسى جدها تعسا |
| في كل شارقة إمام بائقة | يعود مأثمها عند العدا عرسا |
| وكل غارة أحوال سائبة | بنى الأمان حصاراً والسرور أسى |
| نفس الروم لا تلب مقاسمهم | إلا غفائهم الخجسوة الأنسا |
| وفي بلنسية منها وفرة | من ينسب النفس أو ما ينزف النفسا |
| مدائن حلها الأشرار ميثماً | جدلان وارتحل الإيمان ميثماً |
| وصيرت العسواذى لعائشاتها | من حرس الطرف بها ضعف ما أنسا (١) |

(١) رجع هذه القصيدة بالآتي في فتح الطب ج ٢ ص ٥٧٨ وما بعدها . وفي
أزهار الرياض ج ٢ ص ٢٠٧ وما بعدها .

وفصله ابن الأثير رحمه من أشهر القضاة الأندلسية أسبانية . وفي
مصلعها يردد المغني السارني الذي من أحفاد جمع من الأندلس والمغرب .
وتؤكد مدينتها من وسائل الترفق والمضامين ، كما يؤيد حتى لا يس في صلب
العون والغوب من إحداهما في ورة البحر ، في عدوه المغرب . ثم لاح لها
شبح حصر الداهم على من عدوها أحقاد أسبانية القرائنه . وبها لب عد
التضامن شعار السياسة الأندلسية منذ سمر الأندلس بصعف كتبها في الخبر به
الأسبانية . ولما انهارت دولة الموحدين وقامت مكانها بالمغرب دولة بني مرين
انجذبت ملكة غرناطة الأندلس بأفكارها إلى بيت الدولة المغربية الجديدة . وسب
أكثر من قرن كثر إليها الصرخ كلما سمعت عليها وطأ العدو . واستحب
بنو مرين لصريحها فعبروا البحر إلى الأندلس لانجادهها مراراً .

ولما سقطت بنسبه في يد الصاري (ص ٦٣٦ هـ) عاد صرخ الأندلس
يتردد علناً بطلب الغوب والنجمه من سلطان تونس ابن زكريا احتضني ، وعاد
الشاعر يردد معنى ابن الأثير في مرثيه أخرى لكي بها سقوط بنسبه ومضانب
الإسلام بالأندلس ، وإليك مطلعها :

نادتك أندلس قلب نداءها . واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوك العلية فاجيب . من عاطفائك ما بقي حواءها
واشدد بحبك جرد خيلك أزرها . تردد على أعقابها أرزاءها

ومنها :

بيت الجزيرة لا يفاء لها إذا لم ضمن الفتح العرب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جدها . واعقل بأرسته الجاه رضاءها
أسقى على طرف الحبسه ذمها . فاسمى لدن الخيف دماءها
حالك أن نغني حسنت وه . فصر غنت دماء ورجاءها (١)

وكان سقوط بنسبه نذرا بتهيار قواعد الأندلس اسرفه ديا وسقوطها
بأساً في يد الصاري . فسقطت سطبه ودابته في سنة ٦٣٨ هـ . ولنت وأردوله

(١) راجع هذه القصيده في فتح الصيب ج ٢ ص ٥٨٩ وما بعدها .

ودعا محمد في سنة ٦٦٠ هـ ، ومرض في سنة ٦٦١ هـ . وأمر في الولايات السرفدية
فقد سبقت قرطبة عاصمة الخلافة القديمة في يد النصارى في سنة ٦٣٣ (١٢٣٠ م)
وسنة وأسجدة والمدور في سنة ٦٣٤ هـ ، وجيان في سنة ٦٤٤ هـ ، وأشبيلية أعظم
له حدة الأندلس في سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٦ م) . وهكذا لم يأت مستصف
اعرن سابع هجري حتى كانت معظم بسائط الأندلس وفواغدها اسلمة وقد
سبقت في يد أسبانيا النصرانية في وائل من الهزائم والحقن المتجعة ، واستسب
رفعة اوطن لأندلس التي كانت حتى أوائل القرن لسابع نظم نحو نصف
اجزيره الأسبانية . إلى حيز حيوي يقع في أواسط جنوبي الأندلس في بين نهر
الوادي الكبير والبحر . وهو الحيز الذي استطاعت مملكة غرطة الصغيرة
التيه أن تستقر فيه وأن سوطه . وقد ساءت العناية الإلهية أن تسبق بقيام
هذه الدولة الاسلاميه الصغيرة على الأندلس حياه جديده استصابت أكثر
من قرنين .

وقد لبثت مملكة غرناطة التي نسأت في كيف أخيه وفي غمر اعتوضى قبل
أن تتوصل دعائمتها ، مدي حين مطمح أنظار أسبانيا النصرانية ، وكان القضاء
عليه يلوح أمراً مسوراً محتقاً ، حتى إن زعيمها ومنشئها محمد بن يوسف النصرى
المعروف بابن الأحمر لم ير مناصاً من الخضوع لمك قسناله والاعتراف بطاعته ،
وأداء الجزية له استبقاء لسلسلته ، واحتفاظاً بأراضيه . واضطر ابن الأحمر أن
يجرح الكأس المره إلى الثالثة ، وأن يعاون النصرى وفقاً لتعهداته غير مره
في الاسلام على القواعد والثغور الاسلاميه الخارجة عن حوربه . فعاونهم في
الاسيلاء على أسبيليه وعلى فادس وسذوة وغيرها ، واضطر بعد ذلك في سنة
٦٦٥ هـ أن يشتري شهادته مك فستنه ومسئله بالتزول له عن عدد كبير
من بقواعد والحصون ، منها نرسس والمدنيه واقبلعه وغيرها . وقبل إن ماعطاه
ابن الأحمر يومئذ من البلاد والحصون المسوره للنصرى بيع أكثر من مائه
موضع معصدها في غربي الأندلس . وادان لهذه المواقف والمستحبات المؤله
أحق وقع في لأمه الأندلسيه . وكانت ترى يومئذ نذر السقوط النهائي مائه
في الأفق تكاد تنقض عليها في أية لحظة .

وقد أدركت هذه الحى التي سالت على الأندلس في تلك الفتره المظلمة
من تاريخها ، أعنى أواسط القرن السابع الهجري ، لوعه اشعر والأدب . ونظم

سافر العصر أبو اسناء صالح بن شريف الرمدي ورفقه اسبهره الى سارات
عبر حتى السود من أرواح المرى التوسه وألعبها أوراى اسفيس . وفيها
بيكى فواعه لأندلس الداعمه . واستمبقت هم المسلس أهل اعموه لانجيد
الألس ونوبها . وإسك بعض ما حدث فى هذه المرمه السبهره التى حدثت
ذكر فاعلمها على كمر الأحقاب :

لكل شئ إذا ما تم نقصان
هى الأمور كما شاهدتها دول
وهذه الدار لا تبقى على أحسد
يمزق الدهر حتما كل سابغسه
فلا يفر بطيب العيش إنسان
من سره زمن مساءته أزمان
ولا يدوم على حال لها شان
إذا نبت مشرفيات وخرصان

فجائع الدهر أنواع منوعسة
وللسودات سلوان يهونها
دهى الجزيرة أمر لاعزاء له
فاسأل بلنسية ما شان مرسية
وأين قرطبة دار العلوم فك
وأين حمص وما تحويه من نزه
قواعدكن أركان البلاد فإ
تبكى الحنيفة البيضاء من أسف
على ديار من الاسلام خالية
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة
وللسزمان مسرات وأحزان
وما لما حل بالاسلام سلوان
هوى له أحسد وانهد ثلان
وأين شاطبة أم أين جيان
من عالم قد سما فيها له شان
ونهرها العذب فياض وملاّن
عسى البقاء إذا لم تبق أركان
كما بكى لفراق الالف هيمان
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
فبين إلا نواقيس وصلبان
حتى المنابر ترثى وهى عيسدان

أعندكم نبأ من أهل أندلس
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم
فقد سرى بحديث القوم ركبان
أسرى وقتلى فإ يهتز إنسان
وأتم يا عباد الله إخوان (١)

(١) راجع هذه التريشة البالغة بأكثرها فى نفع الطب ح ٠ ص ٥٩٤ و ٥٩٥ وأردر
الرياض ج ٢ ص ٤٧ - ٥٠ .

١٥٥. الب مرسية أى البقاء رسم بوالى العصور عنواناً صحة الأندلس . بيد
 أن هناك خطأ شائعاً حول العصر الذى عاش فيه صاحبها ، وحول الظروف
 التى قبت فيها . ونعكسه الذائع هو أنها قبلت فى سقوط الأندلس التهاى
 أو على الأقل قبل مهنة الأندلس بقليل . وقد وقع التقرى صاحب نفع الطب
 فى عهد ختاً ، ووصف ناطمها صالح بن شريف فى كتابه أزهار الرياض بأنه
 حاتم أديب الأندلس (١) وذكر فى نفع الطب أن أسماً أخرى أضمت إلى
 القصيدة لسمى على ذكر بسطة وغرناطة وغيرها ، وهى ليست من نظم صاحبها
 لضعف يلم به بروحه القصيدة ، ولأن أب ابقاء بوفى قبل سقوط غرناطة (٢)
 وهو ما يدل على اعتقاد المقرى بأن أبى البقاء عاش فى أواخر أيام مملكة
 غرناطة (أواخر القرن التاسع الهجرى) . بيد أننا عرفنا فى كتاب « الذخيرة
 سنه فى تاريخ الدولة المرينية » على ما يبدد هذا الخطأ الشائع . وقد وضع
 كتاب « الذخيرة السنه » مؤلف مغربى مجهول عاش فى عصر السلطان
 ابن سعد التبرى (٧١٠ هـ - ٧٣١ هـ) وأورد فيه قصيدة أبى البقاء بمرثتها
 وذكر أنه وضعها لمناسبة نزول ابن الأحمر ملك قشتالة عن عدد كبير من القواعد
 والحصون الأندلسية فى سنة ٦٩٥ هـ (١٢٦٧ م) (٣) . وإذن فقد كانت مرثية
 أبى البقاء معروفة دائمة منذ أواخر القرن السابع الهجرى ، وقد عاش أبو البقاء
 فى هذا العصر أو قريباً منه ، فى أوائل أيام مملكة غرناطة . ويبدو فوق ذلك
 من سياق القصيدة وذكر القواعد الأندلسية التى تندبها وهى بلنسية ومرسية
 وشاطبة وجيان وقرطبة وأسبيلية . وهى القواعد التى سقطت كلها فى يد النصارى
 بين سنتى ٦٣٥ هـ و ٦٥٠ هـ أنها قبلت فى المحنة الكبرى التى فقدت الأندلس
 فيها معظم قواعدها القديمة . والظاهر أن المقرى لم يطلع فى عصره على كتاب
 « الذخيرة السنه » بالرغم من اطلاعه على كثير من المصادر والوثائق
 الأندلسية الأخرى التى كانت معروفة فى عصره ولم تصل إلينا .

وعاشت مملكة غرناطة بعد ذلك زهاء قرنين تحمل بقية التراث الأندلسى ،
 بيد أنها عاشت ضعيفه مهيشة يهتز مصيرها فى مهب الريح ، وترقب المصير

(١) أزهار الرياض ج ١ ص ٤٧ .

(٢) نفع الطب ج ٢ ص ٥٩٥ .

(٣) راجع كتاب « الذخيرة السنه » (الخبراء سنة ١٩٢٠) ص ١٢٧ .

الخمسة بلوح لها بين آونه وأخرى . و كان سقوط خرابطة آخر عوائد الأندلس
 في يد نصارى في سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٣ م) حاتم حصار طوبى الأسى .
 ومع ذلك فقد كانت محبة الأندلس المؤلدة ومهاجها آخره ومع حتم في حجاب
 العام الاسلامى ولاسى في أم المغرب في الصنف الأخرى من البحر . ثم أن
 هذه المحنة الغامرة لم تثر وحى الشعر كما أثارته من قبل سقوط الثغور والقواعد
 الأندلسية أيام أن لدولة الاسلام بقية من القوة والأمل . ذلك أن
 دولة الشعر الأندلسى كانت قد انتهت منذ بعيد ، وغضب المحنة الغامرة كل
 لسان . ومع ذلك فقد صدرت في راء الأندلس نجات مؤررة . ومن أشهر المراثى
 التى نظمها عقب احداث قليل راء مؤثر لساعر أندلسى محمول بسوء أنه عاصر
 حوادث المحنة من بدايتها إلى نهايتها . وإليك بعض ما جاء فى تلك المراثية
 المشجية التى رتبت وفقاً للوقائع والتواريخ :

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| أحقا خبا من جورندة نورها | وقد كسفت بعد الشمس بدورها |
| أحقا أخلاى القضاء أبادكم | ودارت عليكم بالصروف دهورها |
| فوا حسرتاكم من مساجد حولت | وكانت إلى بيت الحرام شطورها |
| وكم طفلة حسناء فيها مصونة | إذا سقرت يسبي العقول سفورها |
| فأضحت بأيدي الكافرين رهينة | وقد هتكت بالرغم منها ستورها |

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| لأندلس ارتجت لها وتضعضعت | وحق لديها محوها وثورها |
| منازلها مصدورة ويطاحها | مدائنها موتورة وثغورها |
| تمائمها مفجوعة ونجودها | وأحجارها مصدوعة وصخورها |
| وقد لبست ثوب الحداد ومزقت | ملابس حسن كان يزهر حبورها |
| فألقه الحساء ثكلى أسيفة | قد استفرغت ذبحاً وقتلا حجورها |
| وبلش قطت رجلها يمينها | وفى سريان الداء بان قطورها |
| وبالله ان جئت النكب فاعتبر | فقد خف ناديا وجف نصيرها |
| الا ولتلف ركب الأسى بمعالم | قد ارتج ياديا وضع حضورها |
| عمل قرار الملك غرناطة التى | هى الحضرة العليا زهتها زهورها |
| تردى الأسى أعلامها وهى خضع | ومتبرها مستعبر وسرورها |
| وبسطة ذات البسط ماشرت بما | دهاها وأنى يستقيم شعورها |

وما أنس لا أنس المرية إنها قتيلة أذجال أزيل عذورها
معسر أهل الدس عموا لصغفه وصغفه وارى الجسوم ظهورها
أصابت منار الدين فانهد ركنه وزعزع من أكتافه مستطيرها
بأنفس صدق موقنات بأنها إلى الله من تحت السيوف مصيرها
تروم إلى دار السلام عزائماً على الله في ذاك النعيم مهورها (١)

ونلاحظ أن الشاعر لم يذكر المرية وهي أول قصيدة أندلسية
سقطت في حرب غرناطة لأخيرة ، وكان سقوطها في يد المصاري في سنة ٨٩٠ هـ
(١٤٨٥ م) ، كما نرى الفوائد التي ورد ذكرها في القصيدة ، كما
يلاحظ أنه يردد كثيراً من المعاني التي وردت في مراثى أبي اسقاء الرندي ،
من القصيدة نور الاسلام في الفوائد الذاهمة ، وسي المحصنات بصور مشيرة ،
وأما من المعاني التي لا يكاد تخلو منها أيدي مراثي أندلسية .

هذا وقد صدرت عن أدباء المغرب في الضفة الأخرى من البحر طائفة
كثيرة من المراثى المليغة في نعي الأندلس والاسادة بفضائلها ، ولبكاء على
محبتها وفداحه الخطب الذي نزل بها . وكان شعراء المغرب لقرينهم من مسرح
الحوادث ، ويوفوهم على كثير من الأخبار والسير الفاحشة عن إخوانهم في
الأندلس ، منهم شعري بأمرًا باحسنة وآذره في إفاضة في ندب وصلاحها (٢)

نظم عبد الله عناية

(١) سر هذه المرية وهي في أكثر من مائة بيت أحد أدباء الجزائر مقروبه بترجمه
فرنسية تحت عنوان *Une élégie andalouse sur la guerre de Grenade* ود كذا الناشر أنه
نقلها عن مخطوط محفوظ بمكتبة الجزائر ومؤرخ في شعبان سنة ٨٩٧ هـ (بونيه سنة
١٩٣٠ م) أعنى بعد سقوط غرناطة بضعة أشهر . والظاهر أنه حينما وضعت هذه القصيدة
كان الإسبان قد بدأوا محاولاتهم الأولى لتتصير المسلمين .

(٢) نقل إلسا المقرئ في أزهار الرياض بعض هذه المراثى المغربية ، ومن ذلك قصيدة
أحمد بن محمد الصنهاجي المشهور بالدقون (ج ١ ص ١٠٤ وما بعدها)

مخطوطات فاطمية

كتاب سيرة الأستاذ جودر

وقع بين يدي أخيراً أربعة كتب خطية من كتب الكتب العديدة التي ألقت في عصر الدولة الفاطمية في مصر ، والتي لا يزال الاسماعيليه يحفظون بعضها إلى اليوم ، ويحافظون على سريتها ويحرضون أشد الحرص على ألا يقع في أيدي غير الاسماعيليه . ومن هذه الكتب « كتاب سيرة الأستاذ جودر » الذي بعد حلقه من حلقات « فن السير » . ذلك الفن الذي كان له شأن كبير في الحياه الفكرية في مصر الاسلامية . فتمد وجه كتاب مصر وعلمائها عنايتهم إلى كتابه سير عظمائهم وأبطالهم ومجتهديهم . وقد وصلنا بعض هذه الكتب مثل سيرة عمر بن العزيز لعبد الله بن الحكم ، رئيس المدرسة المالكية بمصر في القرن الثاني من الهجرة ، وسيرة أحمد بن طولون وسيرة ابنه أبي الجيش للمؤرخ المصري ابن الدايه ، وسيرة الإخشيد ، وسيرة ابنه ، وسيره كافور . وسيرة المعز لدين الله ، وسيرة العزيز ، وسيرة سيويه المصري لمؤرخ مصر ابن زولاق ، وسيرة جعفر الحاجب لمحمد بن محمد اليماني ، وسيرة المعز لدين الله لقاضي النعمان ابن محمد بن حيون المغربي . والسيرة المؤيدية للمؤيد في الدين هبة الله بن موسى داعي الدعوة . ويطول بنا الأمر لو أحصينا في هذا المقال كل ما وصلنا في فن السير مما كتبه المصريون مما يدل على كلف المصريين بهذا الفن . ويحيل إلى أن مصر منذ أقدم عصورها اهتمت بهذا الفن اهتماما خاصا ، نراه مثلاً فيما تركته مصر الفرعونية من سير ملوكها وأمرائها منقوشاً على جدران معابدهم ومقابرهم . ونراه في مصر القبطية فيما تركه الآباء البطارقة من سير من سبقوهم من الآباء والتدبيين ، وفي مصر الاسلامية ظهرت هذه الحلقات المتتابعة في فن السير . ولعل أولها ما قيل من أن ابن إسحاق الأنوسي صاحب السيره النبويه وقد على مصر وروى بها سيرته . وجاء ابن هشام فروى أكثرها عن المصريين على نحو ما نراه من سلسلة رواته . وبلغت عناية المصريين وكلفتهم بفن السير أن

المصريين وضعوا لسعبد ، سيرا « عن أبطال أحبيهم المصريين وأحد السعبد في برديه هذه سير في اجتماعه ومغامراته مثل سيره عمدة بن سعاد وسيره لخلامه وسيره ذات الحمة وسيرة الظاهر بيبرس وغيرها من السير الشعبية التي لا تزال تدور إلى اليوم بين الشعب المصري وقبل المصريون على سمعها ، كل ذلك يدل على كلف المصريين بفن السير .

و« ذات سيرة الأستاذ جوذر » كتاب صغير الحجم في نحو مائة وخمسين صفحة من القبط المتوسط ، يتحدث عن حياة رجل من رجال الدولة الفاطمية العظيمة الدين أغصن المؤرخين ذكروهم ، ولكن حفظ التاريخ ذكرهم . فلا يزال اسم جوذر يضيء إلى الآن على سائر وحارة وعطفة بالقاهرة كلها تنسب إليه هي سائر الجودرية وحارة الجودرية وعطفة الجودرية (١) ، أما جوذر نفسه فلم يتحدث عنه مؤرخ واحد من مؤرخي مصر الإسلامية . ولو لم نعتز على هذا الكتاب الذي نتحدث عنه اليوم لظلت سيرته مجهولة غامضة .

صنف هذه السيرة أحد كتاب الدولة الفاطمية هو منصور الجودري العزيزي . ونحن لا نكاد نعرف شيئاً عن هذا الكاتب إلا ما ذكره هو عن نفسه في هذا الكتاب بقوله : « لما استخدمني مولاي الأستاذ جوذر — رضى الله عنه — كاتباً بعد وفاته كاتبه رسيق ، وكان ذلك في سنة خمس وثلاثمائة . وأتقن بما أنانيه من حرب الرنبة وشرف المنزلة عنده . وجعلني واسطة بينه وبين الخدام تحت يده ، واستحققتني على ما يجري بينه وبين مولانا وسيدنا الامام المعز لدين الله من الأسرار ... » وقوله أيضاً في آخر الكتاب : « ثم ساعدني الله بحديثي به ، وأدركني من بركاته ما أوجب لي في قلب وهدى مولانا وسيدنا فدى الله روحه — أرفأه والرحمة قصيرتي مكنه مقدسا على أسيابه وجميع أئمنه ... وإلى الله أرتب نخاص الطيبة أن يعظم لي بمثل ما ختم له . وأن يعين على تفرغ من طاعة والده وأبى نبيه وخيريه من خلقه وخالصه من عباده عبد الله ووليه نزار أبى المنصور الامام العزيز بالله أمير المؤمنين صاحب العصر والزمان . »

(١) هذه خطه في قسم الجمالية بالقاهرة وينظمها القاهريون بالذال المهملة ، وورد ذكرها في حصص الفريرى (ج ٣ ص ٦) بالذال المهملة أيضاً مع أن اسم جوذر في كتاب سيرة جوذر ورد بالذال المعجمة ، وورد اسم جوذر في كتاب الدخيرة لابن سنام بالذال المعجمة أيضاً .

فمصنف الكتاب إذن دخل خدمة الأستاذ جوذر سنة ٣٥٠ هـ ومثل في خدمته إلى أن توفي جوذر سنة ٣٦٢ هـ ، فانصل هو بالمعز - بن الله - بآفته العزيز بالله . وعلى نحو ما ننضح من كلام المصنف أن العزيز بالله جعله في مرتبه رفيعه هي نفس المرتبه التي كان فيها جوذر . ومصنف يخبرني أن أباً علي منصور الجوذري زادت مكانته في عهد - احتاكم - بأمر الله فأنصب إليه مع الأحباس الحسبة وسوى الرقيي ونسواحل وسوا ذلك (١) . هذا كل ما نعرفه عن مصنف هذا الكتاب أبي علي منصور الجوذري . وهو - ذكر المصنف سبب تأليف هذا الكتاب بقوله : « وسنذكر ما سمعناه منه (أبي من جوذر) في هذا الكتاب أولاً فأولاً . ولما توفي رحمه الله عليه وقد طوَّق من الاحسان وقدر من الامتنان ما أعجزني بما ترادف على شدة عن سكر بعضه أيام حياته ، وأوجبت المروءة الوفاء به بعد وفاته . أن أذكر في هذا الكتاب جميع مناقبه وما شرفه به مواهب الأئمة الأطهار . وما جرى له في عصر كل واحد منهم من مكرمة أناله بها ، ، وفضيلة اختصه بها . وأحكى ذلك وأثله على حسب ما جرى بتوقيعات ومشافهات فعل من صدق الله ربه وأدى أمانته ولم يغير شيئاً مما سمعته ولا زاد فيه ولا نقص منه لسأئل ذلك من تأمده . » أما تاريخ تصنيف هذا الكتاب فنحن نستدل من نصوصه أنه صنف في عصر العزيز بالله الذي ولي الخلافة الفاطمية سنة ٣٦٥ هـ وتوفي سنة ٣٦٨ هـ . ولكننا لا نستطيع أن نحدد السنة التي صنف فيها ، ولا السبب الذي من أجله تأخر المصنف في وضع كتابه هذا حتى عهد العزيز بالله ، مع أننا نعلم من الكتاب أن جوذر كان في ركب المعز لدين الله من المغرب إلى مصر . وأنه توفي بالقرب من مدينة برفه في مكان يعرف بماسر . ونحن نعرف أن المعز دخل الاسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢ هـ . ومع ذلك لم يصنف الكتاب إلا في عهد العزيز بالله .

ذكر المصنف كيف دخل العهد الصفلي جوذر وهو وصي في خدمته عند الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب ، وأن المهدي أهدى هذا العهد الصغير إلى ولي العهد أبي القاسم النقايم بأمر الله . ولكن المؤسف أغفل السنة التي

(١) خطط القريزي ج ٣ ص ٦ .

انصل فيها جوذر بمولاه أئمة الفاطميين ، وإن كنا نستنبط من الحوادث التي وردت في الكتاب أن جوذر انصل بمواليه في العام الأول لظهور الدولة الفاطمية بمغرب أي في سنة ٢٩٦ هـ . وقبل أن يبنى المهدي مدينة المهدية سنة ٢٩٧ هـ . أتى الفقيه المهدي مقر حكمه وانتقل إليها هو وأسرته . فالمؤلف يذكر قصة طريفة حدث لجوذر عقب انتقال المهدي إلى عاصمته الجديدة مما يدل على أن جوذر كان من عبدة الفاطميين في « رفاده » ، وجرباً على سنة الفاطميين في تقييد عبيدهم بالأستاذين فقد لقب العبد جوذر « بالأستاذ » شأنه شأن غيره من العبيد .

استند صلبه جوذر بمولاه القائم بأمر الله لم اتصف به جوذر من استقامته وأمانه وإخلاصه في ولاءه ، حتى إن القائم بأمر الله — وكان لا يزال ولي العهد — عندما خرج لغزو بلاد المغرب سنة ٣٠٠ هـ . استخلف جوذر على قصره وجميع من فيه من حرمة وأهله ، ولا توفي المهدي سنة ٣٢٢ هـ . خص القائم عبده جوذر دون سائر أهله ورجال الدعوة بمربية الاستبداد للإمام المنصور بن القائم ، فظل هذا السر بين القائم وجوذر سبع سنوات حتى أعلن القائم ولايته عهده لابنه المنصور . وفي خلافة القائم بأمر الله أصبح جوذر صاحب بيت المال ووكيل بخزائن الكساء ، كما كان سفيراً بين الخليفة وسائر الناس . وهكذا ارتفعت منزلة جوذر وأصبح له نفوذ قوى في الدولة الفاطمية قهايه الناس ، ولجبه الخير وعطفه على الشعب أحبه الناس . وهكذا استطاع جوذر بحكمته وعقله أن يكتسب حب وعطف مواليه والشعب معاً ، وبلغت علاقة جوذر بالقائم درجة لم يبلغها أحد من رجال عصره . حتى إن القائم عندما أراد أن يوصي ابنه المنصور قال له : ولكنني يا بني استودع عندك وديعة أحب ألا تضيعها بعدى . قال المنصور : قل يا مولاي وأرجو أن ينسى الله في أجلك ويهب لنا ولكافة أمة جدك عليه الصلاة والسلام عافيتك . قال القائم : هيئات قد بلغ الكائنات أجله . وديعتي عندك جوذر المسكين ، فاحفظه فلا يذل بعدى . قال المنصور : يا مولاي هل جوذر إلا واحد منا ؟ ومعنى هذا أن مكانه جوذر عند الفاطميين هي مكانة ذوى القربى والحمم ، أو مثل مكانة سلمان الفارسي في أهل البيت لما يرويه الشيعة عامة أن النبي قال : « سلمان منا أهل البيت » . وتوفي القائم بأمر الله سنة ٣٣٤ هـ في وقت كانت المغرب فيه مرجلاً يعلى

بأسواراب على الفاطميين ، وكانت أكبر هذه السوراب وأسدها هي سوربه محمد
ابن كنداد الخارجي ؛ لذلك أثار المنصور بالله بن ائقائه أن يحيى موت أبيه
فلم يعلم أحد بموته إلا جوذر ، وخرج المنصور لحرب الخارجي فاستخف جوذر
على دار الملك وسائر البلاد وسلمه مفاتيح خزائن الأموال وحكمه في كل شؤون
الدولة ، وكان المنصور يرسل خطابات من القيروان وسبها عنوان القائم لموضع
الناس بأن القائم لا يزال على قيد الحياة ؛ فكانت هذه احتياطات تصل إلى
جوذر فتستعرف بمقتضى ما فيها . وقد حفظ مصنف سيره جوذر حور بعض هذه
الخطابات في كتابه هذا ، ومنها نسدل على هذه المكنة الرفيعة التي بلغها جوذر
من نفس المنصور ، فقد جاء في أحد هذه الخطابات : « يا جوذر . أحسن الله إليك ،
وأني وأسبغ رحمه عليك ، الذي ينصل في عنك من الضبط والشماء والكفاه
هو أحسن الفطن بك والرجاء فيك ، وذَكَر لي إفراط في الوحنه والاستم للرقا
ولا تضعف قلبك لبعدها عنك ، فانك معي ومنى وإني ما فمت بتمريض عليك
وعملت لوبك ورغبت في عهده » .

وبعد أن أحمده المنصور فتنة مغلده الخارجي ، عاد إلى المهديه ونعى أباه
ائقائه . وأراد أن يكفى جوذر فأعنته من رقه ولقمه « بمولى أمير المؤمنين ،
إمعان في سريره ، وأمره أن يجعل مكائباته لمن كبر قدره وصغر من جميع الناس
من جوذر بمولى أمير المؤمنين إلى فلان ... » وألا يكن في رسائله أحدا
ولا يقدم على اسمه إلا الخليفة ومولى عهده المعز لدين الله ، وأن يرق
اسمه بالذهب على ملابس الخليفة ومولى عهده ، وأن ثبت اسمه على الخضر
وانبسط بأن يكسب على ذلك كله « مما عمل على يدي جوذر بمولى أمير المؤمنين
المهديه المرحيه » وذلك كله سريفا وتقدير لجوذر لما قام به في سبيل مواسه
حتى بلغ منزلة رفعة في نفوسهم حتى قال المنصور : ما أدري أين أخي جوذر
من الموت ، ولو أن الشباب يشتري لبذلنا له فيه النفيس مما تملكه .

وبقي المنصور سنة ٣٤١ هـ وكانت فتنة ابن واسول على أندلس . فأخفى المعز
بدين الله بموته إلا على جوذر ، وظل جوذر مع المعز لدين الله كما كان مع أبيه
المنصور وحده الدائم ، وكان جوذر موضع سر مولاه الذي أسر إليه اسم وفى
عهده وهو ابنه عبد الله ، فلم يعلم بأمر ولايه العهد أحد سوى جوذر في الوقت
الذي كان فيه الناس يتحدثون عن ولاية العهد للأمير تميم أكبر أمجاد المعز .

وما سمع مصر خلق المعز على جوهر القائد لقب موسى أمير المؤمنين
وحتى سمع وبن جوذر ، أى إن جوذر ظل وحده يحمل هذا اللقب إلى إن
فتح مصر ففتح لجوهر أيضاً ، ومن يتبع تاريخ الفاطميين يجد أن هذا
اللقب قد سرف به عدد كبير من الوزراء والدعاة ولاسيما في عصر
المستعصر ومن بعده ، ولا يعرف أحداً من رجال العهد الفاطمى لقب به
قبل جوذر .

ولما أراد المعز الانتقال إلى مصر ذهب الناس إلى أن أمر المغرب سيئول إلى
جوذر ، ولكن جوذر أثر أن يكون مع مولاه وإمامه المعز لدين الله ولا يعرف
سبه . فسمح له المعز بأسير معه في ركبته ، فتوفي جوذر في الطريق سنة ٣٦٢
على نحو ما ذكرناه من قبل ، وواصل أتباعه وحاشيته السير إلى مصر مع المعز
إلى أن استقروا في هذه الحظرة من خطط القاهرة التي لا تزال تحمل اسم
مولاهم جوذر . ونقول المقبرى إنهم كانوا أربعين شخص .

لا تنفأ أهمية كتاب سيره جوذر على هذه الناحية التاريخية من ترجمه أحد
رجال الدولة الفاطمية الذين كان لهم أثر قوى في هذه الدولة منذ نشأتها ، وما
هو بوضوح لنا بعض نواح تاريخية هامة أغفلها المؤرخون القدماء أو مروا بها مرا
سريعاً ؛ ففى كتاب حديث عن تلك الثورات العبيقة التي نشبت بالمغرب عقب
فناء لدولة الفاطمية ، نبت الثورات التي كادت تقوض أركان هذه الدولة .
اننا نسته ، كما بطلنا هذا الكتاب على العلاقة التي كانت بين الفاطميين وصقبة .
وعلى ما كان يعانسه الفاطميون من رجال هذه الجبهة ومن قرصانها ، ويظهر سبب
الجماء الذى كان بين المنصور وبين بنى عمومتهم من أولاد المهدي وكيف طلب
إلى جوذر أن يسند في نأديهم ورصد حركاتهم . وبهذا الكتاب بعض آراء
تخالف آراء المؤرخين القدماء ومن تبعهم من المحدثين . فمثلاً ذهب القدماء إلى
أن القائد جوهر الصقلي اتصل بالفاطميين في عهد المعز ، ولكن جاء في سيره
جوذر أن جوهرأ كان كاتباً من كتاب المنصور بالله ، وأنه ضل بين الكتاب في
عهد المعز إلى أن عهد إليه بالفتوحات . وذكر المؤرخون أن العزيز بالله كان
أكبر أبناء المعز لدين الله ، وأن الأمير تميم الشاعر المعروف كان ثانياً أبنائه ،
ولكن مصنف السيرة ذكر ما يدل على أن الأمير تميم كان الأكبر ، وأن العزيز
هو الثالث ، وأن المعز صرف ولاية العهد عن تميم لما عرف عن تميم من خلعه

ومجون ، وأنه جعل ولاته العتيد إلى اسم الثاني عبد الله : فلما توفي هذا بمصر جعلها لابنه الثالث نزار العزيز بالله .

وهنا تقع وقفة قصيرة لنبدى عجبتنا من تصرف المنعز ابن الله في هذا الشأن . فعقده الاسماعيليه في سلسل الاسماء ندعب إلى أن الامامه لا تنقل من أخ إلى أخ بعد احسن واخس . وإند ينقل من واحد إلى ابن . وهذه العقده أصل من أصول مذهبهم ، وهي دسبهم التوحيد في حصوهم مع السعه الاثنى عشرية الذين قالوا بامامه موسى الكظم بعد جعفر الصادق ، فقد ذهب الاثنى عشرية إلى أن اسماعيل توفي في حماه أنه فاستب الامامه إلى أخيه موسى الكظم على حين قال الاسماعيليه إن النص لا يرجع العفري . وسادام جعفر الصادق قد نص على إمامه اسماعيل فيجب أن ينقل النص بعد وفاته إلى ابنه محمد بن اسماعيل ولا ينقل إلى أخيه ، واخذوا الآية القرآنيه اكرمه « وجعلها كله نافية في عقبه » دليلاً لم على انقال الاسم . من أب إلى ابن ، وعلى هذا النحو تسلسل الامامه فهذه العقده التي كانت سبباً في انقسام أتباع جعفر الصادق إلى اسماعيلية وموسوية . ثم لما المنعز لدن الله وزناً ؛ فقد نص على ابنه عبد الله واسودعه الأستاذ جوذر أولاً وبعد سبعة أشهر أعلن هذا النص لبعض الدعاة . فحسب عقده الاسماعيليه يجب أن ينقل النص إلى ابن عبد الله ولكن المنعز جعلها لابنه نزار مما يدل على أن العقده الأولى صورت ثم نرى الابتعاد عن العقده الأولى في قصه نزار ابن المنصور وفي توليه عبد الحميد الحافظ ومن بعده من ملوك الفاطميين . وبلغ التهاون بهذه العقده إلى أشدها في عهد العاصم عندما أراد ساور أن يجعل الامامه لدعاة الين . وهكذا نستطيع أن نستخلص من هذا الكتاب بعض حقائق تاريخية وبعض نواحي نظم الحكم عند الفاطميين مما لا نجده في كتاب آخر .

كذلك نستطيع أن نخذ « كتاب سيرة جوذر » من المؤلف الأندلسي ؛ فقد جمع مصنفه جميع الموقعات التي خرجت من المنصور والمنعز إلى جوذر ورسائله إليهما ، وقد بلغ عددها في هذا الكتاب نحو المائة ؛ فالكاتب أسبه بدوان بوفعات للفاطميين . ولا أكاد أعرف كتاباً جمع بوفعات الفاطميين سوى هذا الكتاب وكتاب « المجالس والمسايرات » للقاضي النعمان الذي جمع فيه سؤاقد بعض بوقعات

المعز إليه . وكتب السجلات المستنصرية الذي جمع فيه رسائل المستنصر إلى
 المستنصرين الذين . وتمار ما في سيرة جوذر من نوافع أنها تطلعنا على بعض
 انوار حي المجتمع والباريخه . أما في النجاس والمسارات فهي في العتائد وآداب
 السيرة . وكذلك ما جاء في السجلات المستنصرية . كما أجد في سيرة جوذر بعض
 مقلع من سيرة المنصور بالله وحقبة المنصور في نعي القائم وخطبة المعز في نعي
 المنصور . وهكذا نستطيع أن نستفيد من هذا الكتاب الصغير من انجيه
 الأمانة والباريخه والاجتماعه في العصر الناطمي . ولا سي في تلك القتره
 الغامضة فترة الدولة الفاطمية بالغرب .
 وأرجو أن أوفى لتقديم هذا الكتاب قريباً لمطبعه . ولا سي بعد أن
 استطعت الحصول على نسختين منه .

محمد لائل حسين
 بكلية الآداب

بين السياسة والأدب

نبذ الفنون ذور السياسة فانتحى
وتمتعوا باسم التخصص بالذى
بحسوا حقوق المخلصين وناووا
حتى إذا ما أسكتوهم عنوة
فرشوا له بالياسمين طريقه
نصب لأغراض السياسة ما درى الغ
يا طارئين على السياسة ، إنها
إن الفنون لك السياسة من حيا
لم يفهم المستهترون عراهما

عنهم رجال الفن فى محراب
شاءوا يسيرهم نظام الغاب
ما هب الأحرار من أسباب
بعثوا بكل مشعوذ ومحاب
فاختال وهو مطية الآراب
رض الذى يُبغى من الأنصاب
فن الحياة ؛ تراض بالآداب
ة الناس زاد الناس فى الأحقاب
إلا وآل مصيرهم الخراب

ابراهيم عويديا

هجس

من أنا ؟ ما الوجود ؟ ما وطري
 مال شكى وكاد يقذف بي
 فكأنى على شفا جرف
 لست أدري - وقد تربص بي
 تتوالى على في فكبرى
 قد تحاذلت فأنجرفت فلم
 غير أنى وجدت لى أملاً
 هجس الشك بي فضلتى
 كلك قلب : غائى وضحت
 فى حياة تموج بالفسق ؟
 فى مهاوى العذاب والقلق
 والدجى مطبق على أفق
 شبح الشك - أين منطلقى !
 صقعات الظنون فى حنى
 ألف لى مهرباً من الغرق
 مستسيفاً ما ليم من خلقي
 فرأيت الدهاء فى الحمق
 ضيعتنى مجاهل الطريق

ابراهيم عربديا

دانتى أليجيرى

حياته وشخصيته

دانتى أليجيرى من أعظم رجال الباروخ . وقد عرف بدوره أهل العرب . فترجموا مؤلفاته إلى لغاتهم ، ووضعوا عنه مائة غنية من الكسب والسروح والتعليقات . ويصل كثير من أهل الغرب على علم اللغة الإيطالية لى يقرأوا دانتى فى لغته الأولى . ولكننا نحن أهل الشرق العربى لا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن دانتى خاصة ، ولا عن الثقافة الإيطالية عامة ، وهى تعد من أسس الحضارة الحديثة منذ عصر النهضة . وجدير بنا أن نسيقظ من هذا السباب ، وأن نشارك أهل الغرب فى معرفتهم بالثقافة الإيطالية ، وألا نقصر دراسنا على الثقافة الفرنسية أو الانجليزية . ونحن فى هذا الدور من حياتنا أحوح ما نكون إلى التوسع فى معارفنا ، والأخذ عن كنوز الحضارة الانسانية . والعلم من للناس جميعاً .

يعتبر دانتى خاتم العصور الوسطى وواضع أساس العصر الحديث على السواء . عاش فى مفترق الطرق ، وتمثلت فيه آثار العصور الوسطى مع تراث العصور القديمة وثقافة العصر الذى عاش فيه . ولا تمثل هذه التباراب جمعاً فى حياة رجل وشخصيته وفى مؤلفاته ، كما تمثلت فى دانتى .

إن معلوماتنا عن حياته قليلة ، وربما جهلنا كثيراً من التفاصيل ، وواجهتنا فجوات ومتناقضات فى حياته الصاخبة العنيفة . وقد خلق حوله بعض الكتاب جوا من الخيال والأساطير ، ونعسفوا فى دراسته ، وجعلوا منه تمثالا ضخماً . ومع هذا فقد وجد من الكتاب من حاولوا فهمه على حقيقته ، ووصلوا بقدر المستطاع إلى معرفة دانتى الحقيقى الحى ، الذى نطلق بحقائقى سريرة قاسه عن الأحياء والموتى ، وصور المجتمع الانسانى أصدق تصوير .

ولد دانتى من أسرة طبية فى فلورنسا عام ١٢٦٥ . وعاش فى حى أرستقراطى

يوجد . وسلك أسرته بعض الأرض في برف . وفيه أنه في سن مكره .
 وب أنه انتى أن يعمل مسجل عقود ، وهو مكمل بعد دور السواب .
 وأحب دانتى بالتوسى في سن مكره ، ووزوجت - برفه ، وب في شرح أسباب .
 وب أحب غيرها من النساء ، إلا أنها صلت عنده في أخيه ، وب مكره .
 ابوحى والأهم . واحتفظ دانتى باجتماع الرى ، واصل بروتو لانتى وجوسو
 لانتى كنى الدين فذاه في حده المجتمع وفي الثقافة . وبنى دانتى اسعير
 الدند في عصره ، واختلف إلى جامعتى بونونى وبادوا ، وعرف باب اللاتى
 وألم بأدار اسونان والشرى القديم ، ودرس راث العصور الوسطى وثقافة العرب .
 وسرف غسمة والسريخ والسياسة واللاهوت والطبيعه والجغرافيا والفن ،
 والكيمياء . . . ك أدرك آثار الأدب الايطالى الوليد . وكان دانتى يحبه
 لده كبيره في هذه الدراسات المتنوعة ، التى اسمعان بها على نسيان كثير من
 المصاعب والحقائق واجهته . وتزوج دانتى وأنجب بعض أولاد ، وعاش
 في أسرته حياة معقولة . ثم أخذ يهتم بمسائل فلورنسا العامة . وانترك في
 حرب الجلف أنصار البابا بزعمانه فلورنسا ، ضد الجيبيين أنصار الامبراطور
 برسمه أريتزو في موقعة كاسبالدينو في ١٢٨٩ . وكان دانتى في طليعة قوات
 فلورنسا ، وأبدى شجاعة في القتال ، وانتصرت فلورنسا .

دخل دانتى في سن مهنة الأطباء والمشفلين بالعقاص . وإن لم يمارس
 هذين المهنتين . ثم انتظم في وظائف الحكومه ، وأصبح عضواً في مجلس
 السيناتور في صف . . ١٣٠٠ . وأبدى دانتى وطنية واستقلالاً في الرأى في الوظائف
 والحقائق التى سترك فيها . كان قد حدث صدام مسلح بين فرعى حزب الجلف
 من البيض أنصار فلورنسا والسود أنصار البابا ، فاسترك دانتى في قرار نقى
 بعض رعماء الجانبين . ومن بينهم صديقه كالفالكاتى ، وغلب دانتى في ذلك
 امصلحة العامة على الاعتبار الشخصيه . وحدث أن طلب البابا بونيفاتشو
 الثامن . كعادته الباباوات من قبل . أن يقدم حكومه فلورنسا . . . فارس
 خدمه البابا على الحدود السكانية . فاتجهت حكومه فلورنسا كالعاده إلى
 إحمده طلب البابا . ولكن دانتى وقف معارضاً الكثره . وحاول أن يضم
 إليه أهل فلورنسا للدفاع عن مصالحهم في وجه المصاعب البابويه . واتسعت
 شدة الخلاف بين روما وفلورنسا : فأرسلت حكومه فلورنسا وفداً لموصول مع

البابا إلى اتفاق يصون المصالح ، وكان من أعضائه دانتى . وجه دانتى ابابا بشجاعة ولم يذعن ولم يسلم بمصالحه . وأحفظ الوفد في أداء مهمته . وكان البابا قد صلب إلى شارل دى فالوا الأمير الفرنسى أن يسير إلى فلورنسا لكي يعيد إليها السلام . ووصل سارل وانضم إليه أعوانه من حزب السود ، وهزم البيض المخلصون بقضية فلورنسا . وسوهد أخوف والجبن والخنوع ، والتحول السريع لارضاء السيد الجديد ، وسيطر السود على الموقف ، وصدرت أحكام للتنكيل بالمعارضين ومن بينهم دانتى . اتهم دانتى في يناير ١٣٠٢ بـ بلغتى والسرقة وباستخدام سلطة وظيفته في ابتزاز أسوال فلورنسا ، وصودرت أسواله ، وعزل من الوظائف ، وفرضت عليه غرامة ، وبقر نفسه من فلورنسا مدة سنين ، وطلب إليه أن يحضر أمام الحكومة في زمن وجيز ، فلم يستجب دانتى . فصدر عليه بعد قليل حكم بقضى باحراره حيا إذا ما وقع في يد حكومه فلورنسا . كان ذنبه الحقيقى أنه عارض ابابا بونفاسسو وحاول الدفاع عن مصالح وطنه ، فلقى جراء ذلك حكم النفى والنيل ، وحرم عليه أن يرى وطنه إلى الأبد ، الشئ الذى هو بمثابة نصف الحياة لمن له قلب .

انصل دانتى بالمنفيين من فلورنسا ، الذين حاولوا أن يتجمعوا ويهاجموا فلورنسا . ولكن دانتى وجد أن هؤلاء المنفيين بسودهم الاضطراب ويعوزهم الوحدة اللازمة للنجاح ، فنأى عنهم وجعل من نفسه حزبا هو العضو الوحيد فيه . وبعد سنوات لاحت بارقة أمل أمام دانتى للرجوع إلى وطنه : إذ قدم إلى إيطاليا هنرى السابع إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وبدأ أنه سيحقق السلام العالمى . كتب إليه دانتى وقابله داعياً إياه إلى تخليص إيطاليا من ويلات الصراع الداخلى ، وإلى تحقيق فكره الامبراطورية العالمية . فامهنرى ببعض المحاولات السياسية والحربية ، ولكنه أخفق في الاستيلاء على فلورنسا ، ومات هنرى في ١٣١٣ ، وأخفقت فكرة الامبراطورية . وبعد قليل كان من المحتمل أن يعود دانتى إلى فلورنسا . إذ وافقت حكومتها على رجوعه بشرط أن يعود معترف بالخطأ ونائباً يصب الصنح والغفران . فرفض دانتى هذا العرض وقال إنه لن يعود إلى فلورنسا أبداً ، وإنه سيرى الشمس والقمر والكواكب خارج جدرانها ! فحكمت عليه فلورنسا بقطع رأسه إذا وقع في يديها ، في الوقت الذى كان لا يزال يأمل فيه أن تضع فلورنسا نلى رأسه إكليس الغار .

فضى دانتى سنوات طويلة فى حياه السفى ، وعاش بعض لزمين فقيراً مسرداً
 وحاح وطلب المأوى ، وما كان أنسى على نفسه أن يرتقى سلام اناس ضبا
 لموت ! وما كان أسد ما يجد من مراره فى الآخرين . استيقظ دانتى وقد خدعه
 السراب اجميل ، ورأى العلم على حقيقته . وأحس نفسه وحيداً مخففاً . وسعر
 بمراره اهزيمه ، وفقد الأهل والأصدقاء والمال والوطن . وعمول معاملة اللصوص
 والمرشيين والشحادين ، وسخر منه أهل فلورنسا . وكان سفينة بغير شراع
 تدفعها الريح العانية من شاطئ لآخر ، ولسمع ألسنة النار أفضالعه ، وأصبح
 روحاً ضحياً دخل هيكل هش . ولم يبق فى يده سوى حفنة من رماد . ولكن
 هذا الجزاء تقاسى الذى لقيه ، وبث الآلام واخن التى انصبت عليه ، كانت
 عنده بونقة العبقريه . فقد دانتى كل شئ ، ولكنه كشف عن خبيثة نفسه .
 وبعد أن منى بمراره اهزيمه ووحشة الحياه ، وبعد أن عاش بين الظلم والأحقاد
 والمطامع وحقارة النفوس وضعة الأصول ، أحس بحاجته إلى أن يجيب على ذلك
 كله بالخلق والابداع . وعمل ليل نهار ، وضرب وطوى ، وكتب ثم مزق
 اسورق ، وتصيب منه العرو ، وبكى ، ونفث روحه فى كتب . وبذلك خلق
 الكوميديا ، وانتم لنفسه الأبيه العزيزه المتكبره ، المشخته بالجراح .

انتقل دانتى فى شمس إيطاليا ، وبقي أحياناً الترحاب وحسن الوفادة عند
 الأمراء ونبلاء ، وعمل سكريراً ونديماً ودبلوماسياً لى يكسب القوت .
 ولكنه لم يستطع دائماً أن يمتضى فى خدمة الأمراء والأغنياء فكان يباى عنهم .
 وعاش بعض الوقت فى فيرونا ومانتوا ، واستقر به المقام أخيراً فى رافنا . حيث
 لقي الترحاب عند أميرها جويدو نوفلو . وقام فى آخر حياته بسفارة بين رافنا
 والبندقية لازالة بعض أسباب الخلاف بينهما . وفى طريق العوده أصيب دانتى
 بالمalaria ، ولم يتحمل جسمه المرض فمات فى سبتمبر ١٣٢١ . ودفنته رافنا
 باحتفال لائق وكرمت ذكره وأقامت له نصيباً .

بعد وقت غير طويل أدركت فلورنسا ما ارتكبه فى حق ابنها العبقري ،
 وأرادت أن تكفر عن خطيئتها ، فعهدت إلى بعض الأساتذة ومن بينهم أحد
 أبناء دانتى ثم بوكاشو فى إلقاء محاضرات عامة عن دانتى وآثاره ، وطبعت
 كتبه وداولها الناس ، وجرب أشعاره على ألسنة الناس ، وغنوا بها ، وكشفوا
 فيها عم خاج نفوسهم واضطرم بين جوانحهم . وحاول فلورنسا أن تنقل

جذب الشاعر سكى نفسه فى وصفه باحتشاد مهيب . ولكن رافداً عريضاً أسد
المعارضة . وندبت فلورنسا جهوداً طويلاً فى ذلك السبيل . ووسطاً ما يسعى
مكلاً لجلو فى ذلك . ولكن بغير دون . وخشى أهل رافدا أن سحق جهود
فلورنسا فى المستعبر للحصول على جذب دانتى ، فأحقاه أحد القسوس فى مكان
مجهول . ولم يكشف عنه إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وسببت
فلورنسا فيراً رمزياً لدانتى فى تليسه الصليب المقدس ، مكون من بابو فارغ .
يعلمه تمثال جالس لدانتى وقد توج رأسه بكنس اغار . وعلى يمين ساوته
تمثال سبده ترمز إلى إضلاله . اتى تشير إلى الكلب الخنثورة بأسفل تمثال
دانتى قائده « مجدوا الشاعر الأعظم » . ذلك ككتاب التى قامها دانتى فى فرجل .
وأرادت فلورنسا أن تقوها الآن فى دنتى . وعلى سسر الديوت تمثال سبده
أخرى ترمز إلى فلورنسا . وعلى منحنيه على التابوت تيكى . وستظل دائماً تيكى .
جزاء ما ارتكبت فى حق ابنها البار من نكران للجميل .

إن شخصيه دانتى من الشخصيات النادرة . وإذا ما فسرنا على وجوهها
واولسها بالمبحث والدراسة . وجدنا فى بناءها ما يعجب على التأمل وتفكير .
وما يثير فى النفس الاعجاب والتقدير . ولنتس فى تفصيلاتها مرآة اخده
وصورة الانسان العبرى .

كان دانتى رجلاً متعدد الملكات . وسدو عبه مظاهر اعراض : كان
يخطط بجماعات الشباب المرح وسخبر ويعنى ويعزف الموسيقى وسكى ويقول الشعر
ورسم . ويزهد فى الحياه ويمسح بالذنب . وسدو خجولا وذليلاً صامناً .
ومع ذلك فهو جرى سجاج لا يرهب سبت . سدو أحياناً وثنياً وأحياناً مسجحا .
وسارة بابويا وأخرى إمبراطوريا . والمرأه عنده نصف إله يتوده إلى لتضيه
وإلى لله . وهى بضاً صخره أذلت كبرياءه وقدمه إلى السيطن . وسدو
فى أوقات كبيره صدم المظهر جدى الملايح . ويلوح شامخاً متكبراً مستغولاً
أفكار عاليه ومسائل حصيره . كان يحارب ويستغل بالسياسة ونقصى السحاب
القويده عدا كماً على القراءة والدرس . فإذا ما نعب حرج إلى أحضان الطبيعة
الساحره . فتظن إلى سمء الصافيه وإلى السحاب المتغير وإلى المرح الأخصر .
ويجلس تحت السحرة العلية وقف الأزهار الجميلة . والتهم المآذيه الناضجة
وارتشف انبيد المعنى . وعطف على الأطفال والمرضى والمحبين . ونشر فى

احسح إلى موائد الحسابات وتروى اعدارى فى الكنائس . إن ما يبدو
عنه من اعراض ما هو إلا مظهر خارجى . واعبارة فوق التفسير والعرض
ويعود آروغهم وثافتهم وإحساساتهم على خلق عبقرتهم . هذه لا تجدها
المسيرة موجودة فى الحصة الواقعة ، وهى من خصائص التدريس الفنية الخاصة .
فى دانتى مختصر من كل شئ . وجمع فى ذهنه الماضى والحاضر والمستقبل ،
وستتبع أن يجعل من نفسه ومن آدبه رمزاً رائعاً للبشرية كلها .
استاز دانتى بالكبرياء وروح النفس . كان معتزاً بنفسه إلى درجة
تجعله لا يكاد يحد على الآخرين . وارتفع إلى المستوى الذى جعله لا يرى
فى البشر ما يحسد عليهم عليه . وكل رجال نفس الذين أهينوا وجرح نفوسهم ،
عملوا لما كبد ما سمع عنهم . وكسبوا نعمة هائلة بتقوسهم واعتزوا بتكلمهم .
وأعدوا عنها بالقول والعمل والابداع . وكان الفنان يقول من أساءوا إليه :
إنكم لا تريدوننى ولا تحبوني ، وإني أبعد أمانكم شخصاً تكرهه ، وليس عندي
مال ولا سلطان وليس من أسرة بارزة ، ومع ذلك فسألقى اليوم الذى ترغبون
فيه على تدبيرى ولتسعون إلى سعة ، وسوف أقوم بخلق ما تعجزون عنه جميعاً .
وإذا كنون أى رسالة انطوت عليها نفسى . هكذا أحس دانتى عندما عاش
فى المبنى وعندما أحدى وجاع وطلب المأوى ، وعندما أخذ كسب الكوميديا .
أحس دانتى بعدم المناسب الهائل بين عبقرته وبين حياته الواقعة . وأخذ
تمسح نفسه بنفسه . وإن كان قد اعترف بأن ذلك لا يرضيه كل الرضا . قال
دانتى إنه نابغه ، وإن أسلوبه الجميل يضعه فى مستوى هوميروس وفرجيل .
وإن كتمانته سمح غداء للناس ، وإنه صلب لا يعبأ بالمصاعب . وإنه
سيفر بجده المثنى . ونعت الكوميديا بالمقدسة ، وسمى نفسه بالحمل وسط
المصاعب . كما تكلم عن شجاعته فى معركة كامبالدينو . كان دانتى يضع
في أن سموه دورنما بتاج الشعراء . ويدا كأنه نبي أعز وبعث بغير عرس .
دون يحس أنه أعلى من الملوك والبابوات الذين عجزوا عن أداء واجبه
وأصبحوا لا يصلحون لتعليم بالمهام الحظيرة التى ألتفت على كواهلهم المداغية .
تكلم دانتى كإمبراطور وبابا . ولعن البابوات والملوك . وتكلم باسم إيطاليا
والعالم . فعل ذلك لايمتد انطلق بأنه شاعر عبقرى ، واعتبر أن مجد الشعراء
أعظم من مجد الملوك والبابوات . واعتنى رأى أرسطو القائل بمساده من له

التنوق العفنى . وجعل نفسه مساوياً للتدبسين . وأراد فى الكوميديا أن ينير السبيل أمام الإنسانية ، وأن يضع كتاباً مقدساً جديداً يعلم البشر . اساز دانتى بحساسية مرهفة ، جعلته شديد التأثر قدراً على البكاء حتى ينفق الوعي . وعنده غرفة الدموع . ويقول إن البكاء يجعده هشا متهاكاً لا يكاد يعرفه أحد ، ومن فرط الحزن يتحرك رأسه كأنه شئ ثقيل لا حياة فيه . وتنعب عيناه من البكاء حتى تعجزان عن البكاء . وبكى عندما أحب بياترينسى ، وبكى عندما فقدوها بسرعة . وعندما تقدم فى السن لم يقطع عن البكاء ، فكان يبكى فى كهولته كما يبكى الطفل . وبكى عندما أهين شرفه ، وعندما جاع وطلب المأوى ، وعندما عجز عن تحقيق أمانيه . وبكى بكل حواسه عندما كتب الكوميديا . يبكى باولو فى الجحيم ولا يسلم ، فكان بكؤه هو الكلام . وبكى دانتى عندما شارك المعذنين فى آلامهم . وبكى عندما عذبت بياترينسى فى الأعراف . استخدم دانتى حساسيته المرهفة ودموعه المنهمرة فى خلق الكوميديا . والبكاء ميزة ونعمه . ولا يمكن أن يكون البكاء غير جدير بالعطاء . وما أقسى بكاء الرجل المتكبر !

أما الحب عند دانتى فهو الحياة . وما كان يستطيع أن يعيش بغير الحب . أهم حب عنده هو حب بياترينسى . أحبها فى سن مبكرة . ولم يبادلها الحب . لم يستطيع بياترينسى أن تساركنه فى سعوره لحسن الخط . وم تقرر هذا الشاب النحيل المرفف الاحساس انهمك فى دراساته ، والذى لا يكن من أسرة بارزة ذات جاه أو سلطان ، ولم تنكح بفتى صغير لعظيم الذى ينتظره ، وسخرت من صدقه وإخلاصه ، وكانت تقول عليه مع أترابها من بنات الأسر الأرستقراطية . كانت بياترينسى تعتن الألسنة عندما نحى الناس بايماءة من رأسها . ولا تجرؤ الأسير على النظر إليها ، وتبدو كأنها مك جاء من السماء إلى الأرض لكي يفعل المعجائب . قال دانتى فى الحياة الجديدة إنه سيقول عنها ما لم يفقه رجل فى امرأة من قبل . وقد بر دانتى بوعده . بعد حياه المني والجوع والسرور لم يجد أمامه سوى ذكرى الشباب السعيد ، وبنت أمامه بياترينسى كمنجمة الصبح فى صحراء الحياه ، فهي تهب لتجده فى الكوميديا وترسل إليه فرجيل وترجوه أن يسارع لانقاذها من الصعوبات التى عترض طريقه . ويذكره فرجيل بها دائماً ، لكي يسجعه

على حساب الخجيرة والأعراف . وسدو بياترسى دانتى فى الأعراف اسراه مكتله
دسحه . وسدد به لاه كان فى سياهه يمتد بالصناب النبيله والعادات الطيبة ،
سم الخرف عن الدبيل السويج واتبع الهوى . ونعقه لأنه خنها وأحب نساء
أخراب . بصورها غاضبه دثرة كما يرسمها ضاحكه مسرورة . يقول إن حينها
الضاحكين أفتاه فى أفكار متلاحقه . وإن ابسامها جعلته سعداً وهو فى
النار ، وإن كلماتها صاحكه وصوتها ساحر يصدق كآله موسيقية . وهى امره مسوفة
الموام فارعة قد مضى إلى الأفق فيضطرب عند مرآها . وهى تظهر نفسه
من أدون الجسد وسهيه بتيارها وتقوده فى السموات ، وتجعله قادراً على رؤية
الله . وبذلك يحله إلى عابد مصوف عاشق يقرب من الحب الأول .

ومع هذا فقد أحب دانتى غيرها من النساء . بكى دانتى عندما مات
بياترسى ، ولكنه كزن فى حاجة ملحة إلى الحب . التقى عن طريق دموعه
بغيرها من النساء . ولا شئ يؤدى إلى الحب كما تؤدى الدموع مع الدموع
والرفراف مع الرفراف . يقول عن قولنا إنها جعلته يشوق ويتنهى عند مرأى
الورود . وأحب المرء الصخرة وارتمى تحت قدميها ، وظلت يارده أماسه
كالصخر يدى بفرقه فى أعماق البحر بعد التوء الشديد . وكان دانتى بذلك
يعشى الجبال أين وجد ، ويسجيب لنداء القلب . وما قلبه إلا جزء من
الطبعة يقير مع الرياح ، ويهتز مع النسيم ، وينساب مع منحدرات المياه ،
ويشارك الثلج فى نصاعه فوق قمم الجبال العالمة . ويستيقظ مع الربيع
الضاحك المزدهر .

كان دانتى سجعاً جريئاً لا يرهب شيئاً فى الدواعى عن رأيه ووطنه .
عارض سياسة بونفانثو الثانى وحاول الدفاع عن مصالح فلورنسا . وضع
دانتى نفسه بذلك أمام قوة هائلة ، كان يستطيع إنسان أن يقف فى سبيلها .
ولم تكن هناك مقارنة بين قوة الرجلين فى المجتمع . ومع ذلك فقد وقف
الرجلان وجهاً لوجه ، ونظر كل منهما للآخر محولاً تغليب فكره . وقف البايا
غاصاً مكبراً ، ووقف دانتى جريئاً سجعاً . قال البايا : «لماذا أنتم معاندون ؟
اخضعوا لى ، إتنى لا غرض لى سوى توطيد السلام فى فلورنسا . » ولكن
دانتى كان يعرف أنه يريد توطيد السلام البابوى ، فلم يسلم ولم يدعن .
نشابه الرجلان فى اصلاية والنود والضموح والكرداء ، ولكنهما اختلفا

فى لىبر من منصفلات . كان يونيفاشو وجلا فوف بتريره وسفاده سنا
 بالعب . وحوله لأمره واسبله ، فى حين - يكن - حى بروه ولا مراكو
 ولا سقان على الأمر . كانت قوة دانتى لا رال خافه فى فمه وعمله وفته .
 أراد يونيفاشو أن يستمر على الملوك والأمره ، على حبس سحره دانتى فى غسائه
 على الملوك والأمره والبايوت . وكان كل منهما خالدا : أراد يونيفاشو
 أن يحقق المائدة الذهبية التى مهي إلى شخصه ويجعل فى يده اسلحه اديسه
 وارمته على السواء ، على حين كانت مبالغه دانتى ترمى إلى جعل الامبراطور
 صاحب لسلطه ازمنيه ولبايا صاحب اسلحه الذهبية . وسعر كل منهما أنه
 ملهم من الله ، يونيفاشو كلبا ودانتى شاعر . واحقر يونيفاشو رجل
 ادين والسياسه والمال صفة الشاعر فى دانتى . ولم يعترف دانتى لالبيا الرئيسى
 بصفته الدينية . لم يعترف دانتى بغير قوة الروح والن . واحتفظ كل منهما
 بصفا موطنه . فامناز يونيفاشو بالجفاف والصرامه واغلقه والمعصب السائد
 فى روبايا . على عكس دانتى الذى استاز بصفا النبورسى رجل الأدب
 والعافه والذوق واس . وكذلك اختلف الرجلان فى المظهر : فكان يونيفاشو
 شيخا فوف الستين ، ملىء الجسم طويل القامه ، فى حين لم سجاوز دانتى
 السادسة ولثلاثين ، وكان دائما ممتوصه وجسم نحف . على أن كليهما امتاز
 بجمه عريضة وعيون براقة لامعه . وانهم الاسان بالرسوه والاحلاس . وإن
 كان يونيفاشو وحده هو المتهم . ولم يصور البايا أن دانتى سصعه فى
 الحميم وسفول عنه إنه السيس الأعظم وبأنه مغتصب الكرسي لباوى
 وبأنه رجل جسع منافق . هكذا وفف دانتى أسام يونيفاشو بعزم لابلين
 وسجاعة لا يوصف . ولقى دانتى جزاء ذلك النفى والفاقه والشريد ، ثم كسب
 الخلود .

ونجد دانتى ساخطا أشد السخط على المجتمع الذى عاش فيه . وكثيرا ما
 بدا له العالم ملبئا بالأخطاء وخلوا من كل فضيلة . واعتبر أعمال أكثر
 الناس مؤدى إلى انهيار المجتمع . حتى أعمال الملوك ورجال الدين أدرب فى
 نفس السخط والاشمئزاز . اعتبر دانتى الرجال متغيرين متفلين . وهم حيوانات
 بهيمه وأسبه يأنق . والميسرون والوعاظ حيوانات . ونفس تلاتون لظونهم ،
 والبايا منهم وخارج من نعايم اكسسه . والانبامون لصوص سفه وعبيد

داتى . و تفرستون مسعوديون والاسان بخلاء . . . و ذلك . سى يرمسه
 فى زمانه . و حضر عنده شمر و قوشى و مسعوده لفتح . و كان داتى يفتح
 إلى سبجا من فى روبا الدسى و ثوبا لمسيل . و برض سبجا رجال عن
 الرابع لآهم . و در ذوا باحه سمهم المرفه ما . يدركه العبر . و رأوا بعينهم
 انصافه ما عجز أهل العصر عن رؤيته . و ليس من الانصاف أن نعبر داتى
 مسأله . هو فوق السؤم والتأول . وجهلاء أولئك الدين ينشرون المساحقين
 على الجميع . إهم يريدون أن يرضى البعض بما تقعون عم به . و بكن سخط
 داتى سؤماً و بأت من الحياء ، ولكنه كان حافراً للاصلاح والعبر .
 وسبحان داتى أسأمر فى الناس عن صرب اشعر الرثع والفن لرفع .

واعطيه من صفات داتى الواضحه . كثيراً ما نعلم عن إيطاليا : عن
 مسنها و فراها وأهبارها وجبها و ذكسها وأبراجها وأهلها . وأصى صوره
 جغرافيه كثير من أمم كنه ، وحدد ارتباط الأشخاص بيت لأما كن . ولم يحب
 داتى مكناً فى لأرض ك أحب إيصانيا وفلورنسا خاصه . فبصله عنده
 حاضره الامبراطوريه و مر ذك اعلم . وفلورنسا هى اسوطن النيبيل والمدينه العظمه
 على نهر الأرو اجيل . وهى المكان الجميل الذى نام فيه كالحمل . وسع
 ذلك لم ينحلم داتى نفسه و سنف ك تكلم عن فلورنسا وإيصانيا . قال عن
 فلورنسا إنها عابده حرسه بانسه ، وإنها مليئه بالחסد والكبرياء والبخل ،
 وحكومتها سيئه مضطربه . وأهلها نفوس ووحوش . وقد أحبوا الذهب إلى
 درجه أن فلورنسا أصبحت جديره بأن تسمى مدينه لسيطن . ويقول إن نساء
 فلورنسا الذاجراب يخرجن ولا حياء لهن لأغراء الناس ، ببرز نسبين التى يجب
 أن يحط لأرصاع أبنائهن الأرياء . وعندها أخذى الامبراطور هنرى السابع
 أمام أسوارها ازداد غضب داتى . ونعتها بذنبه الأرنو وبالأفنى وبالعزّه
 المريضة . وكذلك لعن داتى كثيراً من أتعاء إيطاليا . فلا يكاد يوجد بها
 مكان إلا يثير غضبه ويثج فى جسمه جرحاً قديماً . أرض إيطاليا ملائى
 بالأسوالك والعواصف والحرائم والآثم . وهى الأرض الحائنه الحبيثة الحسود
 اعاصيه . يقول إن لوئيه مبيئه بلزيتين ، وبستويا موطن الوحوش ، وأهل
 بيزا ذئاب ، ويولوبا ملائى بلبخلاء والوصوليين ، وأهل جنوا خمو من
 كل كياسة ويستحقون الأذلال .

م يوجد من لعن سبعة كما فعل دانتى . وإن من يلقى هذه اللعنات لابد أن يكون قد نألم كثيراً فأفرغ ما فى نفسه . والسباب واللعنات فى جمل وبغة عنيفة كان ينهما الشعب الانطالى صاحب العواطف الحارة والتعبيرات العسفة . ولا تدل اللعنات دائماً على السفه وابتذاله بقدر ما تدل على الحب والحرص على المصلحة . ولم يكره دانتى فلورنسا وإيطاليا ، بل هو على العكس كان حبه هو أعظم من أن يحمده على الوقوف أمام أخطائهما موقف المقرح المحاييد . أحب بلاده وأسائه ما كانت عليه من القوصى والانقسام ولم يستطع السكون على ما كانت لعانيه . استمد دانتى من ويلاب إيفاليا ونكبائها وحياء لسعوره الوطنى الصميم ، وصدرب عنه روح وطنية عالمة فى سبابه ولعنه . خاطب دانتى إيطاليا بلفظ إيطاليا . وربما كان أول من أدرك قيمة وحميتها السياسية . قال : « يا إيطاليا ! أينما العبد الذليله ، يسئنة بغير شراع وبغير ملاح وسط العاصفة الهوجاء . أنظرى إلى سواحلك وأطرفك واجعيا إلى صدرك . أعرف أى جزء من جسدك معنى السلام والهدوء؟ » وخاطب الله طلباً الصنح والمغفرة ، وسأله هل أدار نظره عن إيفاليا ، وماذا يخفى له فى طبائى المستقبل من الأحداث ؟ بهذا أصبح دانتى نبى إيطاليا ، وأعطى وطنه حملاً سياسياً مستمداً من الواقع ومن غير الواقع ، من الماضى ومن المستقبل . من الدسوع والأسى والزفرات المتمزجة بالأمل والرجاء . وظلب صيحاه تجرى فى دماء الايطاليين ، وأصبح كلماته بمثابة إيجل الوطنية الايطالية فى القرن التاسع عشر .

إن دانتى فمه شهقة مشرفة على البشرية من عليائها خلال القرون . إنه كالمارد بين الأقزام من البشر . إنه نار ونور . إنه حى خالد . إنه أكثر حياه من أولئك الموتى الذين يظنون أنفسهم أحياء وما هم بأحياء .

من عثمان

LA STRUCTURE SOCIALE ET L'EXPRESSION ARTISTIQUE

HILDE ZALOSCHER

البناء الاجتماعى والتعبير الفنى

ليس مسألة العلاقات بين البناء الاجتماعى والتعبير الفنى مسألة عسيرة
مُحسب ، بل هى مسألة متشعبة الأطراف ، ونقطة الاتصال بين الاثنين متعددة
موضوعه . والسؤال الذى يسأله رجل العصر الحديدي هو : ما موقف الفنان
نفسه من السياسة اِذنه ، أو بالأصح من النزاع بين الطبقات ؟ ولا شك
أن تلك المسئلة من أدنى المسائل التى عرضت لثقافته الحديثه ، وقد عالجها كتب
كثيرون ، فأصبح مسئلة قائمة لا سبيل إلى إنكارها ، ألا وهى مسئلة
الالتزام فى الفن *l'art engagé* هل للفن أن يشترك فى الصراع الاجتماعى ؟
إن المسئلة بدور حول الفنان وما عليه من واجبات نحو المجتمع . وسكنا لا نريد
أن نناول هذه المسئلة ، بل مدار بحثنا هو : هل يجد الفنان نفسه وأمره ملتزمين
من غير أن يكون له فى ذلك الالتزام أى اختيار ؟ أو بمعنى أصح هل
هناك قوة جبرية تطغى على إرادته الفنان فتجعل منه ومن أمره أساسين
من أسس النظام الاجتماعى ؟ ومن الجلى أن مسألة واجب الفنان حيال المجتمع
مسئلة رغبه أكثر منها مسئلة ، ولا يمكن أن يعالجها وأن يحكم فيها إلا من
افتتح بحقيقتها كل الافتتاح ، ولا يمكن أن يكون البحث فيها بحثاً موضوعياً
بحثاً ، بل لابد أن يكون بحثاً أثارته بل فرضته نرعة قوية ورغبة ملحة .
وفى استطاعتنا من ناحية أخرى أن نناول المسئلة من الوجهة التاريخية ، وأن
نرى متى بدأ الفنان يشعر بالضرورة الملحة إلى تلك المسئلة ، وأن نبحت
الظروف التى لازمت هذه الحركة والتى حملت الفنان على الالتزام ، مفضلاً
الاشتراك فى الصراع الاجتماعى على الانطواء داخل برجه العاجى . ونحن
نميل إلى الظن بأن بحث هذه المسئلة ، يكشف عن نوع من التقيد والارتباط

* كتب هذا المقال خاصة لـ « الكاتب المصرى » .

في سلوك الفنان ، غير أننا قد ذكرنا أن الندي يهتدي في بحثها هذا ليس هو سلوك الفنان ، أو نفسية الرجل ، بل العلاقة بين الصورة النفسية نفسها والبناء الاجتماعي ، أو بعبارته أخرى كيف يؤثر المجتمع ونظامه الاقتصادي في التعبير الفني .

والبحوث التي كتب في تلك المسألة كثيرة ، والآراء فيها متضاربة عديدة . وقد تجاهت فيها نظريات ومذاهب مختلفة ، مستمدة من عقائد سياسية متنوعة . وكل كاتب حسب عقيدته ينتصر لنزعه المادية أو ينتصر للبرهنة الروحانية . فافطن في نظر الماركسيين ليس إلا بناء سيم على الاقتصاد ، وهو ظاهره مصلة أوتى الاتصال بالاقتصاد ، في حين يدعوا غير الماركسيين إلى حرية الفكر المطلقة .

والعداء الدائم بين الماديين والمثاليين مازال مستحكماً . ومازال النزاع بينهم قائماً على صورة تحكمة يعبده . فأشاع ماركس يعبرون المادة النفسية الأولى ، أما الفكر والضمير والشعور ، فقيست إلا أسكلاً راقية من أشكال المادة . ونحن نلاحظ هنا أن يؤكد الأولوية لهذه واعتبار الفنون المادية والاجتماعية من العوامل الخلافه للصورة الفنية ، ليس كل شيء . بل هناك حقيقة أخرى ، وهي أن المواد والأدوات التي استخدمت في إنشاء الأثر الفني ذات تأثير كبير في ذلك الأثر . فالمادية المتطرفة تعتبر المواد والأدوات التي يصطنعها الفنان مصدراً للفن إذا أضيفت الضرورة والنداهة إليها . ونسب بنا حاجة إلى الوقوف طويلاً عند ذلك الرأي . وإن كان طريفاً حقاً ، لأنه إن دلنا على شيء فعبى أن الدفاع عنه لا يمكن أن يقوم إلا على أساس متين من الجهل المتعمق للمعلومات الحقة ، والآثار التي تسوق الدليل على نقيض ذلك الرأي ثابتة قوية ، وليست أقل عدداً من الآثار التي يستند الماديون إليها في مذهبهم .

أما الروحانيون فمؤكدون أن كل تعبير وبصو في سير لتاريخ البشري إنما مصدره روحي . وهم يؤمنون بسيادة الفكر لا بسيادة المادة . وغدسون دليلاً على ما يذهبون إليه من تقوى أفكاره على المادة عدداً من الآثار بقرب من نصف عدد الآثار القائمة كلها . فاستأله كد ترى ليست تدور حول معرفة الصلة الحقيقية بين التعبير الفني والبناء الاجتماعي ، بل حول الاستدلال بالآثار الفنية

لأثبت مذهب من المذاهب . ونحن نحب ألا نوغل في بحث تلك المسألة
إلى أن لا سبيل إلى إيجاد حل لها . فلسلته مسألة يمان وعقيدته . ونحن لا نريد
أن نثبت منها موقف أحكم . غير أننا ندرك تمام الإدراك أن المسائل العلمية
لا تحل بنوع الموقف الذي نتخذه إزاءها ، وإلا كانت النتيجة معروفة .
وإن كان في حاجة إلى الشروع في البحث . ولكن الأمر الذي لا شك فيه أن
من خطأ أن نأخذ على هذه الدراسات كلها (١) ، ضعف إحاصها بالآثار ، هذا
إذا لم نأخذ عليها بعدها عن الصدق والصدق . وإذا كنا غير راضين عن أي
بحث من تلك البحوث ، نجد أنفسنا مضطرين إلى أن ندرس المسألة بأحسن ،
غير مستعجلين إلى أية عقيدة فلسفية ، بل ساعين إلى تحليل الوقائع واستكشاف
القوانين التي تنظمها . ولن نستدل بالآثار لاثبات رأيها . بل سنترك الآثار
تجلى الطريق لنا بنفسها . ونحن إذ نناول المسألة بالبحث إنما نناولها باعتبارها
داخلة في حدود اختصاصنا .

ونزاع بين المادة والروح قائم أبداً ، وليس من أمل في فضله . غير
أننا إذا حاولنا أن نناول الموضوع بصفينا من الاختصاصيين فيه ، وأن نعالجه
بحرية فكر غير خاضعين لأي سيطرة مذهبية ، ربما استطعنا أن نبين الوجهة
الصحيحة من بين تلك المسككة . إننا نقرر من المؤلفات أسئلة « سلسلة الذهبية »
لأبيون سنكبير ، واسرف وارأسمالية لفرنز سمبارت ، حسب تساق الوقائع
المادية على اعتبار أنها الأدلة المرسوب فيها . كما أننا نقرر من بين المؤلفات
التي يرفع بها كتابها عن الأرض محلدين في عامة خفي صوفي . ونحب أن ندلي
بها برأى لنا وهو أنه لا يجوز أن نعالج تلك المسائل الكبرى وأن نسرع في
البحث عن حل لها ، إلا إذ نوافرت لدينا جميع المعومات الخاصة بها . كما أنه
لا يجوز لنا أن نأخذ في تفسير ظواهرها إلا إذا أحطنا بأبوابها . وإلا فكيف
نفسر ظاهرها من الظواهر إذا لم نكن على علم بمخفي وجوهرها ؛ فلا نشر
خلود الروح مثلاً إلا بعد أن يقول علماء الفيزيولوجيا والسيكولوجيا فيها كلمتهم

(١) أبيون سنكبير في « سلسلة الذهبية » ، وكذلك فرنز سمبارت في « الترف
والرسمانية » . يدافعان عن المادية التاريخية بالطريقة المذهبية الضيقة . أما فرانز ليهيل
في تطور الفنون وكذلك كل أتباع المدرسة الشكلية الألمانية ، فيعتبرون الأثر الفني قيمة
لا علاقة لها بالإنسان والحياة .

الأخيرة . وإني أميل إلى الاستعداد بأن أفس معرفة في مجال العلوم الوضعية قد يؤدي إلى الإيضاح أكثر مما يؤدي إليه اجدل . بلعاً من الحده مابلع . فمثل تلك المسائل الفنية لا يمكن أن يهسى إلى حلها علماء الاجتماع بل أرباب المهنة أنفسهم ، الذين يبدءون بدراسة الأثر الفني نفسه على أنه مقدمة مباشرة معرضين فرضاً عن كل فكرة مذهبية .

وفي عام ١٩٢٦ عندما سرعنا لأول مرة في دراسة تلك المسألة ، كنا متأثرين بالجو لسياسي الذي كان يسود النمسا . وما كان يعمل في تلك البلاد من غليان واضطراب ؛ فالأحداث السياسية والثورة الاجتماعية على وجه الخصوص ، قد أرهقت مساعرتنا وسدقتنا إلى مراجعته القيم القديمة والعلاقات السابقة مراجعة عامة ، فجعل كل منا يسائل نفسه عن مدى اشتراكه وهو من أهل الفن في ذلك البناء الاجتماعي . والحق أقول إن رغبتنا المتزايدة في معرفه وجه الحقيقة في تلك المسألة ، دفعتنا إلى الوقوف موقف السلب منها .

وإذن مثنا في ذلك مثل عالم النبات الذي يقبل على الزهرة ليتعرف إلى أسرتها ، فيضمها إليها ، معرضاً عن كل اعتبار من اعتبارات الجدل فيها ، غير مهتم إلا بتحليلها تحليلًا علميًا منظم . كذلك حاولنا نحن أن نحلل الأثر الفني . ولم تكن منوافره لدينا طريقة البحث في ذلك النوع من المسائل ، مع أننا نعسف أن معرفه طريقه البحث نعتبر أمراً جوهرياً لموصول إلى الحل المنشود . وقد تبين لنا أن كل أثر فني يألف من نوعين من القيم ، جوهريه في ذاتها ، واسكها متفرقة في مجموع الأثر . فمن ناحية نلاحظ القيم الموضوعية وهي التي لا علاقة لها بإرادته الفنان ، وإنما بمقتضيات العصر والتزامات الحيه ، ومن ناحية أخرى نجد القيم الذاتية البحتة ، وهي التي تتصل بأولى الاتصال بالفرد نفسه . وهكذا نرى أن غرض المعر أو فائدته ، أو موضوع اللوحة الفنية أو الأثر الأدبي ، نرى أن ذلك ليس خاصة من خصائص الفنان الدخيلة بل نتيجة العوامل الخارجية . من تلك العوامل الخارجية نجد في أول الأمر الحاجه المباشرة التي تملها الضرورة ، والتي يكون لذوق العصر وميوله دخل فيها . فثقلاع التي شيدت في الجزء الأول من العصر الوسيط ، تأثرت بأسلوب الحياة في ذلك الوقت ، كما تأثرت بنظامه الاجتماعي والاقتصادي . فمجموع هنا تأثير مباشر . وفائدة الأثر الفني نتوقف كلها على ما تحتاج وتضطر إليه

نفسه التي مهدى لرغبته في إنشائه . ولد نظور المجتمع حوالى القرن الثالث عشر ورومب المربب لكتنوسيه ، ثلاث القلاع وحلب محلها الكندرائيه اعطيه بكل ما فيها من روعه . ثم اسيدلت بالكندرائيه فبح بعد مساكن أفراد طبقة جديدة تولت الحكم ، هى طبقة البرجوازية . وهكذا كان كل تغير يصير على انصبه الحاكه ، يصحبه تغير فى أغراض المعرف وفوائده . ولموضوعات لى معجها الفنون التشكيلية أو الآثار الأدبية . تكشف عن ذور المجتمع ومونه وإن أدنت لا تربط ارساطاً وثيقاً بالمجتمع . فملاحم بطولة كان يعرفها سكان القلاع . أما الأساير الذهبية فكان يسمر بها الرهبان فى صوامعهم . وتصور لنا قصص بترارك عقلية أولئك الأساير وقد أصبحت « علميه » ، لفرط ما كانوا يفسون على لوحات جيونو وأبباعه . وهكذا نستطيع أو نوكد . ونحن لا نخشى لائمة لانم على تحيز منا أو تحزب ، أن الأثر الفني لا يتصل اتصالاً وثيقاً بالبناء الاجتماعى فحسب بل يكاد يتوقف عليه إلى حد ما . والنظرية هنا بلا شك لا تقبل من الوجهة العكسية ، أى أن روح الكندرائية مثلاً هو الذى ساعد على خلق مجتمع متدين (١) .

وسمع ذلك فلا يعتبر مهمة المعرف ، كما لا نعتبر محتويات الأثر الفني التشكيلى أو الأدبى . هى كل القيم؛ فالى جانب تلك القيم الموضوعية غير المستقلة ، توجد ناحية الأسلوب فى الأثر . وهذه الناحية — ناحية الشكل — هى التى تميز أثراً عن أثر سواء أكان متفقيين فى العصر أو فى الموضوع ، وهى التى تظهر شخصية الفن ، فيبدو كل أثر كأنه محاولة فريدة فى نوعها . وإن كان شأنه شأن غيره من الآثار من حيث اتصاله بعوامل خارجية واحدة . وهذه القيم — غير الموضوعية — تضيف إلى الجانب العملى البحث فى الأثر ، عنصراً من الصعب تعريفه وهو الذى اعتدنا أن نطلق عليه اسم العنصر الفني . فنحن إذا تركنا ناحية النفع فى كل من المعرف واللوحة الرسومية ولنغم الموسيقى ، وجدنا أن المعرف مجموعة منظمة متناسقة متناسية ، وأن اللوحة الفنية هى

(١) مع أن فوسيون يقول بأسلوب فكه إنه توجد حالات خاصة قد يؤثر فيها الفن فى المجتمع . حتى إنه يقال إن الشخصيات التى رسمها فان ديك قد حولت أخلاق سكان المجترا التى كانت بعد على الفطرة . « ويمكننا أن نتساءل : ألم يكن الفنان قد ساعد على خلق بيئة اجتماعية معطما بذلك نظرية كانت شائعة بين الجميع ؟ »

محدوده ، منهجته من الأيون ، وأن النظم هو مزيج من الأسس والأشكال .
 ونفس الأمر ينسحب من إيمانه الدليل على أن نعيم المصنعية حاصلة بغا س
 ورسوبات الطبيعة احده . أما انتم الدارسه شيم اسسده معالقاته يثبت
 الطبيعة وعنده سير جلته . ولا ريب أن العرض من بناء ما قد يؤخر في صميمه
 وأسباب ذلك البناء . فمن الصعب مثلاً لئسده فبعد غرضها همد سكره ، على
 الصورة الضعيفة لى لئسده غايه الكادرائيات لغرضه بفتح يوفده
 البؤسه . غير أن هه لا اعتبار لا بعدو أن يكون سطحه . وإلا فيل في
 استطاعه أن نفسر بالأسباب والدوافع العمليه بحدوث تلك التحويلات لبعينه
 المنصه التي بذلت من الزواني في سبل الوصول إلى من اسسني ؟ أو أن
 نفس السحر الذي صرا في مهابه القرن العاشر على الفن السري عندنا اسسده
 بالجمع العربي ذي الأعمده التي لا حصر لها الجوع التركي ذي التيه اوباده
 الوسيطه ؟ ومع ذلك نحن نعرف أن العرض من المعروض كما هو ، أما الذي
 تغير فعتلية الناس .

وإذا كان المجتمع الأرسطراطي في اقرن السابغ عشر قد اسسده الفن
 السبني في التعبير عما كان يحول في خاطره من طموح وميل إلى العظمة ، حتى
 إننا لا نكد نعرف عصرأ خضع الفن فيه لمجتمع كما خضع في ذلك الوقت ،
 إلى درجه أن أطلق على الأساليب المتنوعه أسماء الحكام فنحن نعلم أيضاً
 أن استكشاف خط البصر الألبرتي *la perspective albertienne* الذي أحدث
 ثورة في فن التصوير في عصر النهضة ، إنما هو نتيجة بحوث حره قام بها بعض
 كبار المفكرين ! واستكشاف خط البصر أو استكشاف التصوير الزيتي سلتهما
 شأن إبداع الفن السبني ، يرجع الفضل فيهما إلى الشعور بالحاجة إلى تعبير
 جديد ، وإلى تقدم العقل تقدماً جديداً .

ونخص بعض القيم في الأثر الفني لقوانين البناء الاجتماعي الضرورية ،
 ومقتضياته . وبحكم اتصال الأثر ، ذلك الاتصال الوثيق بالمجتمع . نراه يعبر عن
 حاجات أفراداه وعن ميولهم . ونحن نستطيع أن نجمل ما يقدم في عبارته الآليه
 وهي أن بعض النظم الاقتصادية تقابلها قيم فنيه . غير أننا لا يمكننا أن ننكر
 تحرر بعض الآثار من كل عامل خارجي ؛ إذ لا يفسر قوة الاضاءه عند
 رمبراند والعنف عند برنيني والعاطفيه عند ميكيل أنجيلو إلا العامل الداتي .

مع ذلك يغيب البناء لا يلمس الخصوع في انماحيه اشكليه واجماليه من الأثر ، بل مدى نفسه هو نوع من اسوازي في التكره . كما في كائف التكره الاقتصاديه والتكره الجبريه متأربين يتوه أخرى تملئ الفوائن نفسها حتى لا يحسن الاقتصاديه والنفسه . فبعد آثار العقل الواحد في طريقه الحياز وفي الأسباب اسى . كما أننا نلاحظ التألف نفسه والنسق ذاته في كليهما ، مما يجعلنا نفترض وجود قوة عليا خارجة .

إن تحليل الأدبائيه غوطيه أو محبل أثر من آثار ذلك العصر ، ليعبران لنا أسلوباً واحداً ومميزاً واحداً . سواء أكان الأثر بناءياً أو نسكياً . إن العناصر المنضمة التي يأنف منها الأثر ، لا يبرز واضحة في مجموع الأثر ، ولا وحدها باعتبارها عناصر مستقلة فردية . ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بحيث حتى وراء الأثر في جملة . إن الآثار المعبرية ليست مكونة من عدة طوايق بعدد بعضها بعضاً ، أو من أبراج ونوافذ وأبواب — وهى العناصر التى يتألف منها البناء — ونيسب الآثار النحتية مكونة من أجسام كل منها مرتب من أصرف وجدع ورأس . على اعتبار أنها عناصر مستقلة بارزة ، وإنما كل ذلك العناصر بتصل بعضها ببعض اتصالاً قوياً بحيث نفسه كل فيحد ذاتية . فالحديد بين تلك العناصر مضموسه غير واضحة . واخطوط بينها تجمعها وتؤلف بينها بدلاً من أن تفصلها . والظلال تحجب المفاصل . والأصواء تجمع عناصرين مستثنين . وهكذا لا يبدو الأثر مكوناً من عناصر مضاف بعضها إلى بعض ، بل معجوناً في مادة موحدة . واخط المفاصل الذى يحيط بكل عنصر ليميزه عن العنصر الجاور له ، قد اختفى وحل محله نقش يجمع بدلاً من أن يفرق ويفرق حيث توجد وحده حفيضة . فلضوء والظلال واخطوط ترسم على الأثر نقوشاً مجردة . بحيث يقوم نظام مقصود معين بدلاً من قانون الأمر الواقع . فنجد الأثر وقد جرب عليه شبكة متصلة من الخطوط ، نلتقى فيه فيما شكلية بعد أن نفنى على الشبهة الذاتية المستقلة لكل عنصر . ولم نلق كل ذلك العناصر المكونة وجودها الخاص باختفاء حدودها ، بل خضعت كلها لقاعدة مركزية . فهى كلها مركزة حول محور وسيط يسود الأثر جامعاً من العناصر الأخرى زخارف ثانوية . وهكذا يتميز كل أثر غوطى بمنشأه مركزية ، ولا يستطيع أى عنصر من عناصر البناء أن يضاهى جلال الزخرف المركزي.

فالباب المضخم الذي يعلوه رسم الورد ، يفرض نفسه فرضاً على الخناحيق الجانبيين ، كما أن البرج يسود البناء كله . فجزء المركزى يجلب باقى العناصر بعد أن يكون قد قدمت كيانها الخاص . وبلاشئى العنصر الفردى ينهى بخضوع ذلك العنصر لمكره رئيسية . فهذا النوع من التصميم الذى درس أعنى دراسة وروعى بدقة فى الأثر الفنى . ألا تصور النظام الاجتماعى فى ذلك العصر ؟ ألا نجد فى الفلسفة نكث النكرة نفسها عن الأثر الفنى ؟ وإسكار القيمة الفردية فى الأثر الفنى ألا يقابل بلاشئى الفرد فى « مدينة الله » *Civitas Dei* حيث يختفى كيان الفرد داخل نظام الكنيسة الروحية ؟ أولاً يعبر عن فكرة إنشاء الأديرة حيث لا توجد ملكية خاصة أو حريه فردية . وحيث يخضع المجموع لفكرة رئيسية تسبطر عليه ؟ أولاً ننعكس صوره النظام الاجتماعى على مرآة النظام الفنى ؟ فقد بلغ أولئك القوم من إنكار الذات مبلغاً جعلهم يخفون شخصية المان ، فلا يبقى إلا الأثر الذى شيد تمجيداً لله ، فى حين يظل اسم صاحبه فى عام المجهول . والروح التى سادت ذلك المجتمع وجعته تخضع لنظام تنعدم فيه القيمة الفردية ، هى نفسها التى أيدع نكث الآثار التى يختفى فيها العنصر الفردى وراء البناء المركزى . ونبرز حاجة المجتمع إلى الخضوع لنظام مركزى كما هى الحال فى الأثر الفنى . والمقارنة بين الاثنين طريفه بغرى بالنعقب والبحث . ويستطيع أن نضيف إلى ما تقدم من ظواهر ظاهرة أخرى هى الرغبة فى تجريد الماده من قيمتها الخاصة وإخضاعها لقانون جديد . فالحجر والخشب قد قدما ثقلهما أو بتعبير آخر تخصما من مادتهما ، ونفخت فيهما روح جديده . فترى الكاندرائيه الغوطيه ترفع معارضة لقوانين الثقل ، وكأنما روح إلهى ينبعث فى الحجر فيحركه وهو أشد المواد البتائية جوداً وثقلاً . وكأنما النكرة والاراده قد تغلبتا على الماده ، شأن البناء فى ذلك شأن الانسان .

وآثار العصر التالى تخلف فى روحها كل الاختلاف . وهذا الاختلاف يساعدنا على فهم المشكله التى عرضناها فى الجزء الأول من مقالنا . قلنا إن الأثر الغوطى كان يتميز بالرخاوه والتعقيد فى البناء ، وبقل العناصر الفردية ، والانطلاق الميتافيزيقى ، فى حين أن الأثر الفنى فى عصر النهضة يبدو واضح المعالم جى العناصر ، سهل التحليل ، مع القوة والتكتل فى المظهر الخارجى .

فهو يمثل على الأرض وينكس عليها ، وفي الوقت ذاته يبرز بجلاء كل العناصر
 اسي يأسف منها . ونرى صواباً واضحة لأر د'ن ولخطوط يعنو بعضها بعضاً ،
 وفي كل طابن يبرز نفسه بوضوحاً . ومن السهل إدراك تصميم البناء ، كما أن
 من السهل فصل العناصر بعضها من بعض . ولكل عنصر كيان مستقل ،
 تحده خطوط تميزه من العصر المجاور له والشكفي معه . لا يسود جزء على
 جزء . كل طابن عوج يتنس المعيار ، وكل ذفده لا يقل فيمة عن النافذة التي
 عليها ، ويثوم كل العناصر في مجموع الأثر يادور نفسه . وذلك القاعدة توجد
 في السحب كوجود في التصوير . فالكائن البشري والمنظر الطبيعي يتكونان
 من أجزاء متبينة ، وصحة المعلم ، منفصلة ، لكل جزء منها كيانه المستقل
 وحيته الخاصة . فإرأس هو مجموع أجزائه ، كما أن ابناء هو مجموع العناصر
 البنائية ، والمنظر الصبيعي هو مجموع عناصره الخاصة من أسجار وسحب
 وصحور الخ . ولا يمكن أن نعتبر أى عنصر من تلك العناصر المكونة ذا
 قيمة يسود بها على غيره . وفي حين أننا نلمس في الأثر الغوطي الارتباط
 والخصوع وانعدام الكيان المستقل لختلف العناصر ، نلمح هنا الميل إلى
 الاختصاص بالقيمة الذاتية الكاملة لكل عنصر . وذلك الفكرة الفنية التي
 تحدد كل عنصر وبرزه وتعترف باستقلال وجوده ، وتأخذ بمبدأ المساواة في
 القيم ، يعاينها نظم اجتماعي جديد . فاستراتيجية العصور الوسيطة قد حلت
 محلها فردية العصر الحديث . وقد قال برخاردت Burchardt (١) : « إن
 أعظم استكشاف تم في عصر النهضة ، والذي يعتبر بحق فصح العصر الحديث ،
 هو استكشاف الفرد . ففي ذلك العصر ثاب الفرد إلى نفسه . فهل هو ضرب
 من الصدفة أن يوجع داريغ أول رسم شخصي portrait إلى ذلك العصر ؟
 وأن يستعمر الانسان حاجه إلى الاحتفاظ بمعلم وجهه وحيده شخصه ؟ ولامر
 الأولى يكسف عصر النهضة عن حقيقة أسماء فانيه ، فترى رجل العصر الحديث
 يحتم أثره مزهواً بتوقيع اسمه في نهايته (٢) .

وقد حدث كذلك انقلاب تام داخل النظام الاجتماعي في ذلك العصر .

(١) جاكوب بورخاردت : الثقافة في عصر النهضة .

(٢) ظهر أول توقيع لفنان في القرن الخامس عشر وهو توقيع ريتشى على البليروفون

وسبيل بالنصام الكنسي لنفسه إلى مراب وطبقات نظاماً قريباً إلى الديمقراطية . وأصبح لكل فئة من اصنع بقية لها قوانينها ومبادئها التي ترضى حقوقها وتحجبها ، وقد انتسب الحاجة إلى الأفراد نصه من النص ، وقد حسب محل ممكناً الله سطره البسر وسطان المدن التي كان لكل منها رئيسها وفنها وأسلوبها . وقد أحيى نظام الخطات ، وأصبح سبب إنساناً كمسائر الناس . وسمي بيت البرجوازية الساسه بروح ديمقراطية مستبعة بالحربة و فردية . فأسرة ميديسي وأسرة سفورزا وأسرة بيكولوميني . نجد أفرادها من رجال المال الدين أرو ، أو من الطبقة البرجوازية المتمعة بميزات الأشراف . والعصر الذي عاشوا فيه والنظام الاقتصادي الذي ساروا عليه يميلان كما يحمل الفن في أيامهم طابع دوفهم وميولهم . ونلمس في لأر الصورة نفسها للفيم والعناصر التي نجدها في المجتمع . ولعصر الذي ينسب مجسماً من اجتماعات حدد أيضاً نوع الأثر الفني . وفي استطاعتنا أن نستطرد بحثنا خلال مختلف العصور ، فنجد في إنساء الأثر من الفن الساذ عوده إلى الأثر في العصر العوطي ، كما نلاحظ أن النزعة الفردية والنزعة الانسانية اللتين تميز بهما عصر النهضة قد أهدبا إيداناً بالرجوع إلى المجتمع الديني وعدم استقلال الفرد وحرية نسود دسورية أصحاب انظام اليسوعي ، ونسرمحاً لم انقيس ، ونسب لحرب ثلاثينية . أما في السرى فلنكره البنائية في الجامع العربي نعبز أحسن تعبير عن النظام الاجتماعي لشعب مازال على حافة ابداوه ، وما برح محتضاً بروح ابداوه . وفكره العربي في الرسم والنضاء والخباء ، تنصل اتصالاً بعداً بحية الحرية التي لا يحدها حد . وبذلك الفضاء المشاع المرامي الأطراف . هل حياه القبيلة أحر من آثار البده ؟ وهل ابداوه نفسها سائر بالنضاء و زمن الذين لا حدود لهم ؟ وعلى أية حال يمثل الجامع العربي أصدق التمثيل بروح القبيلة ، فنجد عدداً من الأعمدة لا نهاية لها تمتد في مختلف الجبهات متساوية الأبعاد ، ليس ها مركز ظاهر . اللهم إلا القبيلة التي تعين مكان الاسم في الصلاة ، ولا يوجد أي عنصر يفسد السوى بيت لأعمده المتساوية المتساوية ، التي تم على فيمه الفرد في القبيلة . وقد طرأ تغير ظاهر متجدي على الجامع العربي بدأ أنزه في الجامع التركي ، وذلك عندنا بوقف الغزو الروحي وبدأ التفكير في إنشاء الدول العظمى .

و جميع مركبي مكون من مكعبات صلبة صممه يبدو كأنها جمع محب فيه رئيسه ، هي المراكز البارزة الواضحة في منظمة تمتد إلى الحد الأقصى .
 أساس يرى في ذلك المبدأ نفسه الذي قامت عليه الميكانيكا التركية سواء أ كان ذلك بناء حكم الغول أو السلاجقة أو العثمانيين . و كأن تلك الدول العظيمة التي يديرها رجل واحد أقوى من القود ما هو فوق طاقه لبشر ، قد جسمت في تلك الأبنية حسب يبدو الأسكال الهندسية كتلا صلبة خاضعة لقوى مركزية .
 وكما أن تلك الدول تعارض مع نظام اقتصادي قائم وتنبأ أمامه بفضل قوة رجل واحد ، أدلت في المعمر ، يكاد نظام فوق صاغة البشر يحفظ الموارد بين مختلف العناصر .

وهكذا بأخذ مسألة العلاقة بين البناء الاجتماعي والتعبير الفني مظهرًا جديدًا . فالأدب الفني . والنظرات المختلفة لصوره الفنية ، ليست نتيجة مباشرة لبيئته الاقتصادية ، كما أنها ليست صادرة عن قوه خارجة عن نطاق الحياة الانسانية ، وعن نطاق حياة الفنانين المبدعين لها على وجه الخصوص . ولكنها منصلة بالحياه التي منها خرجت ؛ إذ أن البيئه الاجتماعية والاقتصادية لا تنتج أنواعاً مختلفة من النظم الاجتماعيه فحسب . بل هي تنتج كذلك رجالاً ذوي حساسية متباينة ، وتنتج لغة فنية خاصة ، وحالة شعورية فريدة .

لا شك أن الدوله الكاثوليكية والكاثوليكية كان لها سعة تأثير حاسم في نمو وسيوع الكاثوليكية الغوطية . ولكن النظام الاجتماعي وحده لا يمكننا أن نعتبره عاملاً حاسماً في حد ذاته . إن له أثره بلا شك ولكن بصرفه خفيه .
 وقد يكون تأثيره أحياناً عكسياً ؛ لأن الجنس و البيئه والنظام الاقتصادي أمور لا يلائم دائماً أي نوع من أنواع الفكر والعقل . ويقول فوسون في ذلك (١) :
 « إن اللحظة الروحية في حيات لا يشترط أن تنفق والضرورة لتاريخية ، بل قد تتعارض معها » .

فمن الجائز إذن أن نقول إن تاريخ الذوق بصور أصدق التصوير آراء اجتماعية . والفن بأسلوب تعبيري خاص يعبر بحق من العصر الذي يعيش فيه ، منسجم في جوه ، معبراً تمام التعبير عن آماله ونزعاته وحالاته النفسية .

(١) هـ . فوسون : حياة الاشكال ، باريس ١٩٣٩ .

غير أن هناك ظاهره عكسية ، يدافع الفن فيها عصره لمجيئ بلماضي أو لبعيثن في مستقبل وهمي . وهكذا نجد مسألة تضارب الماده مع الروح مسألة لا حل لها فيما يتعلق بالنز ، وليس في الامكن أن نقطع نحن حاسم . ولكن الشيء الذي نستطيع أن نؤكدده هو أن هناك صلاب بين الماده وروح ، غير أن تلك الصلاب تظهر بطرق متنوعة . كما نستطيع أن يؤكد أن هذه حرية يضغط ها الشكل والأسلوب ، وفي الوقت نفسه تسلم بوجود الحرية نسمة . على أننا لم نكن نسعى إلى حل تلك المشكله الحادة . وكل ما قصد إليه هو إنشاء بعض الضوء على مسألة تتعارض فيها المذهب بحده وجسم . ونحن نجد في ذلك الصراع حالتين من حالات الشعور عند الانسان نقصان وكل واحد منهما تناضل في سبيل مثل أعلى ، ونحاول أن نتعرف في الماضي على دليل لذلك المثل الأعلى . والتعبير الفني يمتازعه اتجاهات متعارضة عند الانسان ، وأحلام متباينه تتراءى للفرد في وسط التجمع . فالأمر يحصر في حالتين : إما فرار من الواقع إلى قضاء الخيال والفوضى ، وإما استسلام للحقيقة الوقعه . وهكذا ترسم مظهر الانسان المتوسع ومظاهر إنتاجه معني . وبعد السن أحياناً خلال بعض العصور متنقاً كل الانفاق مع روح العصر فنفس حبشه انسجماً ياهراً بين البناء الاجتماعي وإنشاء الأمر ، ونصيح الفن سجلاً دقيقاً لأحداث عصره وروحه . وقد يقف الفنان أحياناً من بيئته موقف المعارض المنكر لها ، فينجه الأسلوب والتعبير الفني اتجاهها متناقضاً لاجتهاد العنصر ، ويبدع الفنان آثاراً مقطوعة الصلة بالتجمع . إنه موقف ماذ ، وبكس يرى أنشلا كثيره له في ثنانيا التاريخ . والمسألة معقده أكثر مما ينظر أصحاب ايثن . إن الروابط التي تصل عالم الأساليب والأسكال بعالم الحيه ليست بسيطه بسيره الفهم . بل لا تكاد تكون دائماً هي نفسها . ونحن نميل إلى أن تستبدل بكلمه « الخضوع » dépendance كلمه الداخل interdépendance . لا شك أن الأثر الفني ليس شيئاً مستقلاً ، كما يعتقد بعض جهلين ، ذوي التفكير الراقى . إن الصلات بين الفن والحيه عديده وسوسه وترابط بمختلف طبقات الحياه . وكثيراً ما تكون صله الأثر مع الحياه اجتماعيه صله قوية إلى حد أنها تصور قوانين ذلك الوسط المعنى ذووهر . ويكون للأثر عندئذ دور في الحياه ، فهو واقعي وأمره بالحياه واضح أ نـه . ومن

نحيد أخرى ينزله الفن عن كل مذهب سياسي واقتصادي مدفوعاً بروح تصوفية هي روح الانطلاق والحرية . وهو لا يعتبر مستقلاً عن الأوضاع الاجتماعية بل هو يسكرها تمام الانكار ، ويحمل دائماً عليها : يعارض كل قانون ، ويدرس كل حرمة مأخوذاً بها إلى حد يبتعد به عن كل تعلق مادي بالمظهر . . .

وعذا البهاين في الإنسان يسبب تعدد الظواهر وتنوعها ، وينتج أن تطبق على الإنسان قوانين حاسمة ذات صبغة مجردة .

ونحب أن نختم بحثنا بكلمة أخرى لفوسيون ، قال : « في عالم الأشكال الفنية احيائي ، حيث يكون الفنان هو في الوقت نفسه المهندس والميكانيكي ، وعالم الطبيعة والكيميائي ، والعالم النفسي والمورخ ، يسير الشكل دائماً ، تحت تأثير التحولات ، من الضرورة إلى الحرية . »

فيليب دالوشتر

نقلها عن الفرنسية إلياس لبنان حكيم

رحلة !

سرتُ لا أدري أسارِ أنا حقًّا أم مُقيمٌ
ما الذى أبحث عنه ما لنفسى فى وجوم
لستُ أدري غيرَ أنى كنتُ إنسانًا يوم

قلتُ مشدوقًا ألقى عاده الداء القديمُ
صَّحوةٌ من صحواتِ الشعر ما زالت تُقسمُ
ما الذى أيقظها اليومَ وكانت لا تريمُ

أترى أرجو نعيمًا أينَ لى هذا النعيمُ
أترى أطلبُ نبعًا فاضَ من قلبِ كريمٍ
أترى أبحثُ عن معسَى لى فهمٍ سقيم

أى شيء قد دعاني فتولاني حنينٌ ؟
وهنا قلبى لشيء أهو خرى والعيون
أى ظلٍّ قد تولى أى عيشٍ لن يكون

مَبْتُ : أَسَاكَا وَلَكِنْ مَبْتُ : وَيُحْيِي مَنْ تَكُونُ
 مَبْتُ : أَحْسَوْهَا وَلَكِنْ قَلْتُ : مَا فِيهَا ظَنُّونُ
 مَبْتُ : شَعَارِي وَلَكِنْ قَلْتُ : لَمْ تَتَّبِقْ شَجُونُ

مَبْتُ : مِنْ سِيرِي حَرْبَنَا فِي وَجُومٍ وَسَكُونِ
 قَلْتُ : لَأَنْفَسَ أَكْفَى يَا نَفْسَ مَا هَذَا الْجَنُونِ
 أَسْرَى : مِنْ عَيْرٍ مَصْدِيرِ وَأَمَانٍ لَا تَمِينِ

محمد عبده عزام

الحفائر الملكية بحلوان

عندما تحقق حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله أهمية المنطقة الواقعة بحرى عزبة الوالد شمال حلوان الحفائر الغربية - من الوجهة الأثرية ، بادر فأصدر أمره الكريم لمصلحة الآثار المصرية للبدء فوراً في إجراء حفريات علمية منظمة على نفقة جلالته الخاصة . وسيبقى علم الآثار المصرية مدينا إلى الأبد لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول لتفضله بتمويل هذه الحفائر .

وكان ندى لإدارة هذه الحفائر شرفاً لا مزيد عليه . ولا يقتصر تشجيع جلالته الملك على تمويل الحفائر فحسب ، ولكن جلالته يتفضل من وقت لآخر بزيارة المنطقة وإبداء النصيح وسديد التوجيه .

وبالرغم مما قد أصاب هذه المنطقة من التخريب والتدمير الذى نشاهد فى جميع المناطق الأثرية ، كانت النتائج التى وصلنا إليها بعد العمل فيها فى المواسم الخمسة السابقة باهرة من كل الوجوه ، سربها من زار الحفائر من رجال الآثار وغيرهم من مصريين وأجانب .

والجزء الذى كشفناه حتى الآن يعد يسيراً بالنسبة إلى المنطقة كلها ، وقد تم كشف ما يقرب من خمسة آلاف مقبره بين كبيرة وصغيرة ، عثرنا فيها على مجموعة قيمة من الآثار ، بعضها جديد علينا لم ير أحد من علماء الآثار نظيراً له من قبل ، كما وفقنا لمعالم جديدة فى فن المعمار خالفت ما كان معروفاً وبسليماً به من قبل فى النظريات الأثرية .

ويرجع تاريخ هذه المنطقة إلى الأسرنيين الأولى والثانية ، بدليل أسماء ملوك الأسرة الأولى وبعض ملوك الأسرة الثانية التى عثرنا عليها مكتوبة

على سدادات الأواني الفخارية ، وكذلك على بعض الأواني الفخارية والحجرية من مختلف الأنوع كالاردور واللباستر . كما عثرنا على قطع صغيرة من الفانس حفر عليها اسم الملك وطعمت بمادة غريبة . وعثرنا على أسماء بعض كبار الموظفين الذين كانوا في خدمة ملوك هذا العصر .

الموسم الأول

بدى اقيام باجراء هذه الحفائر في ٨ يوليه سنة ١٩٤٢ في المنطقة الواقعة على بعد كيلومترين شمال عزبة الوالده بالقرب من حلوان . وانتهى منها في ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٢ .

وقد تمكن من الكشف عن ٧٣٥ مقبرة من بينها عدة مقابر كبيرة الحجم ، وجد معظمها منهوياً ، ولم ينج من النهب والسلب سوى ١٤١ مقبرة . ولكن أمكننا بواسطة الحفر المنظم أن نعثر على مجموعة من أوان وجرار من المرمر والنسب (الاردواز) والحجر الجيري الأصفر والبريشيا والدبرويث والدوليت والفخار ؛ وهي من الطراز الذي يعثر عليه عادة في مقابر الأسرة الأولى ، يستثنى من ذلك بعض نماذج جديدة لم يعثر عليها من قبل .

وعثر في المقابر السليمة على كثير من عقود الخرز في رقاب الهياكل البشرية للموتى . كما وجدت أساور من الخرز في معاصمها . وعثرنا في بعض المقابر على أساور من العاج والصوان والاردواز وبعض آثار من العاج كقطع اللعب ورموز الآلهة وديابيس الشعر ، وقطع من العاج تمثل رؤوس حيوانات لها أجسام طويده ربما كانت نماذج لتناجل أو مما يستعمل في الطقوس الدينية . كما عثرنا على مجموعة كبيرة من السكاكين والنصال المصنوعة من (الطران) انصوان وبعض الأبر والآلات المصنوعة من النحاس .

وإذا سرنا على هدى أشكال المقابر وما عثرنا عليه فيها فإنا لا نتردد في العوده بتاريخ هذه الجبانة إلى الأسرة الأولى . على أننا قد وجدنا اسم الملك سمرخت (سابع ملوك هذه الأسرة) منقوشاً على إناءين من الفخار .

الموسم الثاني

بدأ هذا الموسم في أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، وانتهى في ٣١ مايو سنة ١٩٤٤ .
وبدأنا العمل في الجزء الأول من الموسم في المساحة الواقعة غرب المنطقة
التي حفرنا في الموسم الأول عام ١٩٤٢ . وكان العمل في الجزء الثاني من
الموسم يجري في المنطقة الواقعة شمال عزبة الوالده ، كما قمنا بعمل بحساب
عربي مدبنة جلوان الحفائر وفي بعض أماكنه في الصحراء الواقعة شمال
جلوان الغربي .

أما المنطقة التي دار فيها العمل في الجزء الأول من الموسم الذي امتد من
أول نوفمبر إلى ١٥ فبراير ، فقد عمر فيها على ١٢٦٦ مقبره ، عثرنا فيها على
بعض مظاهر حديثة . نكر مألوفه لدينا في أمثال مقابر هذا العصر - عصر
الأسرة الأولى - إذ وجدنا أشياء كثيرة من أسكن مسوغة كالأواني
والأوعية المصنوعة من المرمر والنسب (الاردواز ، والجرانيت وحجر البرنشد
وحجر السربنتين واليازلت والبرونز والعاج ، وبعض عقود مصنوعة من حبات
القاساني الأخضر والأصناف والعاج والأحجار نصف الكريمة مثل العقوق
الأحمر والأبيض واللازورد وحجر الدم ، وبعض أساور من العاج وأصناف
البؤلؤ والنسب والصوان وأحزر الخشب الأنواع والألوان ، وبعض سكاكين
من الصوان بين أكبر سكاكين من هذا الصنف عمر عليها حتى الآن إذ يبلغ
طولها ٤٨ سنتيمترا .

أما المنطقة التي دارت فيها الحفائر في الجزء الثاني من الموسم الذي امتد
من ١٦ فبراير سنة ١٩٤٤ إلى ٣١ مايو - وقد حظيت المنطقة اسرور اختيار
جلاله الملك استخفي لها خلال لشرفها بزيارة جلالتهم فقد اكتسفا فيها
٣٦٦ مقبره بعضها كبير الحجم . ومن منا أن إحدى هذه المقابر كانت لأحد
كبار الموظفين في عصر الملك عبدع إيب سادس ملوك الأسرة الأولى . وفي
مقبره أخرى عثرنا على جزء من سداده فخار عليها اسم الملك دن ، خامس
ملوك الأسرة الأولى . وفي مقبرتين أخريين عثرنا على إناءين من الفخار
عليهما اسم الملك كا ، الذي سبق أنه حكم مصر قبل عصر الأسرة الأولى .

وبدل جميع هذه الفرائض بوضوح على أن تاريخ هذه المنطقة يرجع إلى الأسرة الأولى (٣٢٠٠ ق . م .) وبذلك يزول كل شك خالج العلماء الذين كانوا يسكنون في هذا الناحية . والآثار التي عمر عليها في هذه المقابر تسبب نبت التي سر عليها في المنطقة الأولى إذا استثنينا لآبار الفخارية ؛ فقد كانت هذه الآبار تكون من أوان من الفخار كبيرة الحجم ذات أسكل ، وعلى وإن كانت لا تخرج عن الأسكل المعروفة من قبل فإنها تفوق من حيث عظم الحجم والضخامة كل ما وجد من قبل . وفي بعض المقابر الكبيرة وجدت صوامع حقفية كبيرة للخبوب من الفخار . وهذه على المرة الأولى التي عثر فيها على مثل هذه الصوامع الفخارية . وقد اتضح أن بعض هذه الصوامع كان يحتوي على خبوب أمكن تمييز القمح من بينها .

أما المحاسبات التي أجريت إلى الغرب من مدينة حلوان الحمامات فقد كشفت عن بعض مبان من العصر الروماني ، بعضها شاهق لارتفاع ، وربما كانت قد بنيت على أنقاض مساكن أقدم منها عهداً . وإذ من المهم إجراء حفائر في هذه المنطقة ؛ إذ يحتمل أن تكشف فيها آثار المدينة التي كان يعيش فيها أهالي الأسرة الأولى . وهم الذين دفنوا في الجبانة الكبيرة المجاورة التي يسير أخفر فيها . وفي إحدى الجهات التي أجريت فيها المحاسبات إلى الشمال الغربي من حلوان في قلب الصحراء وجدت مقابر من عصر الأسرة الأولى أعيد اسمها في العصر الروماني . وفي جهة أخرى كشف عن مقبرة من عصر الدولة الوسطى وجدنا فيها فصعاً من الفخار ورقائق من الذهب .

الموسم الثالث

بدأ العمل في هذا الموسم في اليوم الثاني والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٤ وانتهى في اليوم الحادي والثلاثين من مايو سنة ١٩٤٥ . ونمين من الحفر أن المقابر من عصر الأسرتين الأولى والثانية ، ما عدا انبيل جدا منها ، قد يرجع عهده إما إلى عصر ما قبل الأسرات أو إلى عصور متأخرة . واكتشف في هذا الموسم عن ٨٤٧ مقبرة كان من بينها ١٤٩ مقبرة سليمة لم تمس .

والآثار التي عثر عليها في هذه المقابر على جانب كبير من الأهمية ،
بل بعضها قد في نوعه تماماً .

وفيما يلي أهم النتائج التي أمكن الوصول إليها :

أولاً : إن اعثور على مقابر كبيرة ذات غرف للدفن مبنية من الحجر
الجيري الأبيض هي ودرجها - - السلام - - هو شئ جديد تماماً في الأسرة
الأولى . فجدران غرف الدفن في هذه المقابر بنيت كلها بكتل كبيرة من
الحجر الأبيض وصفت الواحدة منها إلى جانب الأخرى دون التقيد بترتيبها في
صفوف أو مداميك ، كما غطيت أرضية الغرف بالأحجار أيضاً . أما قبل هذا
الكشف فإن كل ما كنا نعرفه كان مقصوراً على أن استعمال الأحجار يبدأ في
منتصف الأسرة الأولى في تغطية أرض حجرة الدفن بمقبره الملك دن ، وكذلك
في آخر الأسرة الثانية حيث بنيت حجرة الدفن بمقبره الملك خاسخموى من
الحجر الجيري .

ثانياً : إن الفتحيتين اللتين توجسدان في أعلى السدود الحجرية كن
المعروف عنهما أنهما يمكن أن روح الميت من رؤيه الأواب والكهنة أثناء تأديتهم
الطقوس الدينية . كما أنه قبل إن الفتحيتين ربما استعملتا لينفذ منهما شدى
البخور المحروق فتستشقه روح الميت . ولكن وجود هذه الفتحات في الجزء
الأسفل واختلاف عددها - - فهي في بعض الأحيان فتحة واحدة وفي البعض
الآخر فتحتان ، وفي مثل آخر أربع فتحات - كل ذلك يدل على تفسير أكثر
احتمالاً ، وهو أنها كانت نستعمل لتساعد على تثبيت الجبال حول هذه السدود
الحجرية كي يستطيع تدليتها إلى حيث تسد باب المقبرة سداً محكماً . وقد وجدت
هذه الفتحات أيضاً في الأجزاء العلوية من كتل أحجار استعملت في بناء
الجدران الأربعة لحجرة دفن إحدى هذه المقابر .

ثالثاً : في إحدى مقابر عصر متأخر ، ربما كان عصر الأسرة الحادية عشرة ،
وجد نابوت مبنى من حجارة مهندمة ، وكتب على جدرانها الداخلية نص
يخط الشام عن مسألة كان يجري البحث عنها منذ بدأت الحفائر في سنة ١٩٤٢
ألا وهي اسم المدينة التي كانت هذه المنطقة جبانة لها . فهذه المدينة هي
هليوبوليس (أون القديم) ، وكانت على الأرجح مدينة ازدهرت قبل أن
تفسأ مدينة منفيس على الجانب الآخر من النيل . ولكن هذه المدينة اختفت

في طيات الماضي البعيد إلى أن أعبد بهاؤها بعد ذلك في المكان الذي تقوم فيه مسلة «عين شمس» المطوية حتى الآن .

رابعاً : إن المعروف أن مكان اللوح الجنازى في المقبرة يقع في الحائط العربى مواجهها الشرق . ولكن هذه الحفائر كشفت عن مقبره يرجع عهدها إلى الأسره الثابته لها درج منحوت في الصخر يقضى إلى حجره منحوتة تحت الأرض . ووجد في سقف هذه المقبرة من الجهة الغربيه فتحة مستطيلة وضع فيها لوح جنازى توجه نقوشه إلى أسفل مواجهة الميت، كما وجدت مقبره أخرى بها لوح موضوع بالشكل نفسه . وهذه الفتحة التى توضع فيها اللوحه الجنازية تحتر رأسيا ابتداء من سطح الأرض وبوضع في نهايتها اللوح الجنازى فوق مكان الميت . ووجدت فتحات مشابهة في أربع مقابر أخرى . هذا الكشف يلقى ضوءاً جديداً على الديانة في هذا العصر ؛ إذ أنه يشير إلى أن روح صاحب المقبرة تصعد إلى السماء من هذه الفتحة . غير أن هذا التفسير سوف يكون دون شك مجالاً للنقاش ومشاراً للبحث بين علماء الآثار .

ومن نشرفت منطقة الحفائر بزياره مولانا الميث المعظم في اليوم الرابع من شهر يونيه ، وأبدى جلاله فيضاً من سايغ عطفه وتشجيعه .

الموسم الرابع

أما الموسم الرابع بمنطقة حفائر صاحب الجلالة الملك بجلوان فقد بدى في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٥ حيث كشف عن ٧.٦ مقبرة وجد منها ١٨ سليمة لم نعبث بها أبدي اللصوص ، ويقع جميعها في الجهة الشرقية من منطقة الموسم الثالث . وقد انتهى العمل في ٣١ مايو سنة ١٩٤٦ .

وقد كشف إلى الشرق من الجهة المذكورة عن مبنى كبير من البين طوله من الشرق إلى الغرب نحو ٥ متراً ومن الجنوب إلى الشمال ٣ متراً ، وهو مقسم إلى حجرات تنوسطها صالة كبيرة ، وبها حفره على شكل دائره . ومدخل هذا المبنى في الجهة الغربيه ، وهو عبارة عن باب متسع ، وقد اشهر هذا المكان عند أهالى المنطقه باسم « دير الميث شهران » . ولما كان قد ورد في بعض النصوص التاريخية ذكر لهذا الدير ، فمن المرجح أن يكون

هذا المبنى هو دير شمران الذى ذكره بعض مؤرخى العرب مثل أبى صالح والشاشى .

وقد كشف عن مقبره كان الجزء العلوى منها مبنيا بالحجر الأصفر إلا أن أغيبه أزيل ولم يبق منه إلا القليل . ويبلغ طول هذا ابناء من السهل إلى الجنوب ٥٧ متراً ومن الشرق إلى الغرب ٣ متراً . وعثرنا فى الوسط على بئر مبنية من الجهات البحرية والشرقية والغربية بالحجر صغيره على نمط البناء بالبن (الطوب الأخضر) . أما الجهة القبليه - الجبويه فقد بنيت بكل دقة بكل كبيره من الحجر يبلغ طول الواحدة منها أربعة أمتار ونصف متر وارتفاعها نحو المتر وسمكها ٣ سم تقريبا . وبنيت هذه الكتل على هذا النمط لتكون منفصلاً حجرة الدفن التى وجدت مبنية بالحجر نفسه ، وعلى جانبي المدخل مخزانان سقفهما من كتل الحجر على شكل جذوع النخل . وقسم حجرة الدفن إلى قسمين : قسم خارجى يقع على جاسه الشرق والغرب مخزان المذكوران ، وقسم داخلى كان مخصصاً لدفن صاحب المقبره ، وينتهى سقف هذا الجزء بحجر مستدير يمثل الستر الذى يمكن إسداله ورفع .

ومن طريقه بناء هذه المقبره ومن لآثار القبليه التى وجدت بها يمكن أن نجزم بأن تاريخها يرجع إلى العصر العتيق . ونعتبر هذه المقبره أكبر ما كشف عنه فى هذا العصر حتى الآن . ولا يمكن أن يكون صاحبها إلا شخصاً ذا خطر كبير ، فاما أن يكون ملكاً أو عظماً من عظماء هذا العصر .

وتعد المقابر التى كشفت فى هذا الموسم فى غاية الأهمية ، وبعضها جديد علينا لم يعثر على سيبه له من قبل . مثال ذلك مقبره من عصر الأسرة الأولى بنيت جدران حجرة الدفن فيها كتل من الحجر يبلغ طول الواحدة منها أربعة أمتار وارتفاعها مترين وسمكها ٤ سنتيمترا . ووجد بالجهة البحرية من حجرة الدفن المر الموصول إلى المدفن ، وعلى جانبيه أربعة مخازن عثرنا فى واحد منها على بقايا جثتين لثورين ومعهما ثلاثة سكاكين من الصوان لم يسبق أن عثر على مثيل لها من حيث دقة الصنع والحجم ؛ إذ تبلغ أطوالها بالنسبة إلى ٤٤,٥ و ٤١,٥ و ٣٥ سنتيمتراً

كما عثرنا على مقبره صغيره من عصر الأسرة الأولى بنيت حجرة الدفن فيها بالبن ، وإلى الجنوب والسمال منها مخزانان للآواني الجنائزية ، ووجد صاحب

المقبرة وما حوله من الأدوات سليماً ، ومن بينها نموذج لعمود من سن الفيل رأسه مكون من ثمانى زهرات لوس ، سبع منها تكون رأس العمود ، والنامية في الوسط . وكل زهرة من زهرات اللوس ساق من سن الفيل صنعت جميعها وكأنها مربوطة بثلاثة حبال تحت الزهرات مباشرة . وترينا هذه القطعة دقة الصنعة في الأسرة الأولى . ومنها يمكن الوقوف على أصل الأعمدة المستعملة في المعابد في الأسرات التالية .

وعمرن على كثير من الأواني المنصوعة من المرمر والاردواز والبهور الصخرى ، ولدا عقود من البقيق الأحمر والاسفست والعباس الأخضر وأساور من الصوان والاردواز والعاج .

ووجد في مقبره صغيره لطفل من الأسرة الأولى مدون مطعم بسن الفيل طريقته . يعرف من قبل . ومما يثير الدهش أن عثرنا على عدة هياكل لأحباب بعض المتأخر لآلال الشعر على جدرانها . وقد عثرت بحفظ عبات من هذا الشعر ، وألوانها أصفر ذهبي وكستنائي وأسود ، كما أن بعض هذا الشعر قد وخطه الشعب .

الموسم الخامس

بدأ الموسم الخامس في التاسع من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٦ ، وانتهى في الثامن والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٤٧ . وقد كسفتنا عن ٨٢٥ مقبرة منها ٢٤٢ سليمة لم تعذب بها أيدي اللصوص ، عثرنا فيها على قطع أثرية كثيرة منها طريف . يعرف له نظير من قبل ، كما أن من بينها نحتاً آبد في فن النحت ودقة الصنع . وكثير من المقابر كبير الحجم بنى من طينين أو ثلاث طبقات ، مما يثبت أن أصحابها كانوا ذوي مكانة ملحوظة أيام حياتهم ولم يكونوا من غمر الناس وقد عثرنا على ثلاث مراكب لثلاث مقابر ، انسان منها في الجهة البحرية لمقبره والتلثة في الجهة الشرقية . وهذه المراكب كانت تعد للحياة الأخرى حيث يسير بها المولى في موكب الآله رع . ونزل وجود المقابر ذات المراكب مما يعزز علو شأن الجبانة التي نقيم باحفر فيها وإلى سيق في الموسم الثالث أن عرفنا أنها جبانة عين شمس القديمة .

ومن الآثار الهامة في هذا الموسم تمثال صغير من من الفس يحمل رجلا أحذب الظهر والصدر وقد ركع في حشوع ممسكا آتيه من من النمل بين ذراعيه . ودأبه يقدم ما قد حوذه لسيد يجب احترامه والخشوع في حضرته . ويعتبر هذا التمثال من ناحية اصناعه الدقيقه وفوه السعير من أروع ما عثرنا عليه حتى الآن . وسكني أن يدقق الناظر إليه فلا حتى يرى فسحت الوجه البسة وطريقه تصنف السعير بدوي جهل وهو على نمط اورير ؟ (ثب) المرسوم خلف الملك نارمر على لوحته المشهورة بالمتحف المصري .

وعثرنا كذلك على مجموعه كاسية لعدة مكونة من نوعين ، كل نوع من سبعه قطع من المرمر ، ومع هذه الابعاد نوع من العملة التي كانوا يداولونها في أثناء اللعب ، وهي عبارة عن سنين حمة مختلفة في الحجم والشكل واللون . وهذا ، إلى حد ما ، يشبه ما يتعامل به اللاهون في ألعاب اسليه الآن وما يعرف بالفينس ؛ إذ لكن منها قدمة نقدية تعرف بين اللاعبين .

وعثرنا على مقبره صغيرة وضع مع صاحبها تمثال صغير من من الفيل لسخص يجلس انفرصاء وقد وضعت كعب يده اليسرى على ركبتيه اليسرى ويسكب يده اليمنى على ركبتيه اليمنى والأصبع السبابة في فمه . ولما كان هذا التمثال عاريا فالمرجح انه لطفل . وبالرغم من دقة الصنع فان الأذنين متساويتان في الكبر وهذا من سمات عصر الأسرة الأولى .

ومن القطع الفريدة دائرة شبيه العجلة صنعت من البانس الأخضر وداخلها سبع شعيب نبتدي من وسط الدائرة ونهت باطارها الخارجي . ومنه فرع ثامن يختلف عن الشعيب السبع . ومن المرجح أن هذه الشعيب السبع هي جريد نخل ، والشعيب الثامنة جذع نخلة صنعت جميعها على شكل حله . وعثرنا على كثير من الأواني المختلفة الأنواع والأشكال . وكثير على كيه من الأساور والعمود والأسشاط وأدوات الزينة المختلفة ، كما وثقنا لبعضها على نماذج من شون الغلال تعد فريدة في نوعها .

نكي يرمف معد

من الادب الامريكى

WILLIAM FAULKNER

OWEN E. HOLLOWAY

وليم فولكنر

يعتبر وليم فولكنر ، وهو مولود فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٩٧ بـنيو أليانى ، فى طليعة كتاب القصة اليوم وهناك بياناً لأشهر قصصه :

Sound & Fury, 1929. — *As I lay dying*, 1930. *These Thirteen*, 1930. — *Pylon*, 1935. — *Absalom ! Absalom*, 1936. — *Unvanquished*, 1938. — *Wild Palms*, 1939. — *The Hamlet*, 1940

لم يبق للمأساة مجال فى أوربا بعد انقضاء عصر المسرحيات البائنة على العادات إلا فى القصص الروائية . هذا كان رأى ستندال منذ قرن مضى . وهذا رأى فوده الفكر من بعده فى أوربا . فلو ياردى ثم نيتشه مثلاً يميلان إلى القول بأن الشعور بالمأساة قد تعدل فلم يعد له وجود ؛ وانعدم بسأثير «الفيلسوف الطبيعى» الذى نجد مثاله قديماً فى سقراط ، ولكنه الآن مسلح بأقوى أدوات المعرفة وهو يعمل فى خدمة العلم ، . وقد نكون أقرب إلى الصواب حين نقول إنه فى النوع الفنى الأساسى فى القرن التاسع عشر ، ظل الشعور بالمأساة يتردد ذكره كما نتردد الذكرى فى الضمير المعذب ، وإنه بين الانجلوسكسون فى عزلتهم وابعادهم ، نرى هذا الشعور مصاحباً للفن الحقيقى عند كاتب مثل بومبجيه لم يظهر شيئاً ما ، ثم فى قصتى مرتفعات وذرنج وموبى دك . وفى خارج محيط هؤلاء ، لا نجد هذا الشعور مصاحباً للفن القصصى الحقيقى فى شير دىستوفسكى . أما المؤلفات القصصية الأخرى الباقية على الزمن من القرن التاسع عشر كـ«ولفات بلزاك» و«بولستوى» ، فليس إلا وثائق تدل على النبوغ ،

* كتب هذا المقال خاصة لـ«مجلة» «الكاتب المصرى» .

ولكنها واثق حُسوب . ولقد قال فلويد إن النثر القصصى لم يولد إلا أمس . وهو يولد كلما وزعت القصة بين غم من السهود بالرمائل وبالحضوبات المسكسة وبالطريفه الدفقه التي يؤدي كل قسم منها إلى القسم الآخر . ولكن كثيراً ما يقضى على النثر بوصفه ، القوي ذاتها التي قضت على أشعر بوصفه فنا . في امرن اسامع عمر : « نى الاهتمام بقول أو وصف سى بما لم يخله اساس من قبل .

والآن ترى مره أخرى من أمريكا ومن ذلك « اجنوب اسحقى الذى مات سنة ١٨٦٥ ، وتسكبه أشباح براره مهانه عاجزه « لفهر ذلك السعور الكبير بالمساء . وليس ذلك حُسوب ، بل ربما يظهر أول مؤلف قد كبر في ذلك الفن الذى ظل فرنين ونصف قرن يحاول الخلاص من سب العبودية التى تقضى عليه يتمثيل البيئة فقط .

وليس معنى ذلك أن وليم فولكنر لا يتخذ علماً صغيراً في ولانه مسيسي . بل هو قد فعل كما فعل هاردي يولايد وسكس ، وفي قسم كبير خلق جغرافيه هذا لعالم الصغير ، ويمكن معرفه ذلك من المجموعه الأخيره التى ظهرت من مستخباته . ولكن ما يجعل من هذا الرجل فناناً في الروايه ، كما كان دستوبفسكى فناناً ، هو إحساسه بمصدر الروايه ، وهو الكلمه التى يتناقلها الفم . وليس مجرد مصادفه أن أهدى فولكنر كتابه الأخير لمرضعه العجوز . فان أبسط الروايات لا ننشئ جديداً ، وإنما تقدم الحوادث بطريقها . ولارب في أن فولكنر ليس أول كاتب حديث من مبدئه أن أهميه القصة تنوقف على طريقه روايتها ؛ فان هنرى جيمس يقرر في فخر أن كونراد كان أستاذاً في روايه القصة بأكثر الطرق تأثيراً . وإذا قصر هنرى جيمس وكونراد في قصصهما فان قصورهما يكون في الوجوه الأخرى للقصة . وكل ما يتل في التفضيل بين هذين الكاتبين هو أن جيمس كان أروع الانيين في إحقاء معابعه ، على أن كلا منهما يتخذ من فنه سبباً لتغطية ما به من نقص . وما لاشت فيه أن فولكنر يفعل مثلهما ؛ فقصة « بلون » Pylon هى وصف لحده بعض الطيارين الذين يرحبون بالأخطار كما يسجلها صحفى من الذين يكتبون بطريقة تأثيرية . وفي قصه قصيره أخرى (قصه مسترال Mistral في الجهد المسمى هذه الثلاث عشرة These Thirteen) قد تكون أسئله في فن

رواية القصص . يرى غذاب النسي الذي غسق مياه حيله بحب وصايته ؛
 كان يصعد غلامان أمريكيان ، في برزخيهما وسخريتهما . وهما بقومان برحلة
 أصيل يوم ، فسخلان التربة الجيدة المطلمة ، وهما موضع القصص ، على عجبتيهما
 ثم يخرجه من منها . ولكن بالترنم من كل هذه الوسائل ، وبالترنم من الحديث
 اللاحق لأشخاص القصص ، في قصصه بيني أنا رافد في الموت *As I lay dying*
 فان فولكنر لم يكن من انبساطه بحسب يعتقد كما اعتقدت فرجينيا وولف
 Virginia Woolf بعد تجربته جنس جويس James Joyce التي لم يوفى كل
 الموصفي . في قصته غوليس *Ulysses* ، بأن على القصص قصص ، أن يرسم
 خطوط المنظر الخارجى للقصص سهما كان مقتطعا وخبر واضح في منظره
 كما يرسم كل منظر أو حادث على شعوره . فالقول بأن التكرار أو الازادة ،
 واعمل هما سواء ، إنما هو عند يللمسه المؤلف الذى لا يعرف غير
 الكتب حين يتردى في عام من أفكاره . أما الفن لدى كانب عظيم مثل
 فولكنر فيظهر في تدرج صوره من الأفكار المصحح عنها ، إلى الأفكار البديهة
 في نفسه والتي لم يبرز لميدان العمل . وهو في أنواع التعبير اخشده ينشئ
 من مسرجاً من أبسطها وأقربها لعمومه إلى أعقدها وأصغرها . فتعذ الرواية
 نفسها سمو إلى آراء مختلفة أو ماطر ، ثم نعنق هذه الآراء . فالقصص يعمل
 حساب تأثيرها في فرائها بطريقته أوضح من تأثير المسرحية في المشاهدين ؛
 إذ أنها متعده بالشعور المعمل بطريقته الرواية ، فضلا عن ذكر الوقائع ، لكي
 تسيبين العلاقة التي تفهم من هذه الوقائع ومن الفراء . وهذه إحدى صعوبات
 القصص . ولكن هذه الصعوبة يزول حين يتم الوافى بين الوقائع ورواية
 الوقائع ويسيران متناسقين .

وستبين ذلك حتى في أول قصصه عظيمة لفولكنر ، وهي قصة « الضجة
 والغضب » *The Sound and the fury* وهي قصة العاطفة التي لا تحتمل :
 الأخ يحاول أن يفهم السر في أن أخاً حبيبة فرطت في نفسها لآخرين
 في سهوله . ونحن نعلم في مبدأ الكتاب بانتعاره منذ زمن مديد . ولكن
 هذه الكارثة تتكرر في الأسره . فان طفلة الأخب التي أطلق عليها اسم
 الأخ المنعرج ، نسبت مسمة أمها . وود اخير لتسجيل المناظر المائلة في الحديقة
 المهتمة التي تكرر مع أوعاد متتابعين ، ساب أبله تعس على الأصدقاء ، في

زمن غير محدود . وهذه وسيلة بوضع الأنواع الآله للزمان والمكان في سبر آخر للوقائع . كما يحدث عادة عندما تدخل في أفكار المراء السريية . أما كن وأزمنة مخدنة . وإذا كانت الأمور في هذه الحالة يمكن أن تخدر . فذلك لأنه في الندم والتأنيب . وهما لحيز اليومى لأسرة كومسون . بأبى الحقيقة . لا أن يبرز على لسطح الظاهر . فن اسم الماء الخاطئة وهو كادى بسمع كل حصه في ساحة لعبه الجولف اجتاوره للدار . حين ينادى اللاعبون العلامة الذى ينفط السكره بقولهم : « كادى ! » . مع أن هذا الاسم لا يذكر مطلقاً في الأسرة . وإن العاطفة الى مدور عليها القصة هى عاطفة مكتوبة في طيات الحياة اليومية العادية لهذه الأسرة مدة ثمانى عشرة سنة .

على أنها ترى هذه العاطفة سافرة في القيم المانى من القصة حين يكلم البطل الحساس إلى نفسه في يوم انتحاره . عندها اضطرب أخذه إلى الزواج . كي تكون الحنين ندى في أحاسنها أب . فعبارته اتى بمرور في مربيته نشبه العبارة التى صاح بها المقابل الشاكل في مسرحيه « ما كبت » حين واجه ذلك الذى قضى على حلمه فلم يجد غير السؤال « هل كانت لك أنف أحت ؟ » فهو كالرجل لغريب يضع أمامه عالماً بأكمه في لحظة واحدة من خصاص الزمن . على أن الحاضر العيس بعد ثمانى عشره سنة من ذلك الحادث الأليم يسطبى مره أخرى فوق رأسه . ويصح هذا الحادث في القسم الثالث نعبوه مراره لاذعة . وإن جاء من وجهه نظر أخرى . هى وجهه ساخره لمهمل له . وهو أخ وعم غاضب لأنه لم يوفق في الحصول على عمل كان يرغب فيه في مصرف من المصارف . وترى هذا السيد في القسم الرابع والأخير وقد حصر في ركن ضيق من جملة الأسرة . واسفلنا لرؤيه الحادث من وجهه نظر عامة . هى وجهه نظر الزوج البسطاء الذين يعيشون بين أسره كومسون . وليس قصة هذه الأسرة لديهم . لا خيبه الرغبات الانسانية أو على قول ما كبت قصه « برويها أبله ملينه بالضجة والغضب وليس لها معنى » وإنما هى إرادة الله كما تنفذ في البشر . ويغضى الوعظ المؤثر بكبسة الزوج في النهاية على رواية الابنة للمغامرات الأخيرة لأمها مع أول طارق .

وكانت هذه الطريقة سبر المباشرة أكثر عمداً وأكبر سبكاً في قصه فولكر العظيمة الدالية وهى المساء رؤيه النور في أغسطس *Light in August*

وهي قصة عذاب الطفل الأمريكي الذي نضل بأمه من عائلته لما احببت بهدائه من دم أسود . وحيره شهيد آخر كان في وقت من الأوقات ضحية التقاليد وعرفه بلاد رداء النفس . وهي قصة وضعت في إطار قصة مختلفة كل الاختلاف عن أم في أحسنها تشبه بعض الظروف بحثاً عن عشتقتها امارب . وعندما نصل إلى حادثة المقام ، بالمصاء على هذا الطفل الذي ندم الملون كذا قصي على أمه ، ويكون الموت المستم في هذه احداثه هم احيد . نراه يعود إلى السلام وإلى حيرة الخليفة البيضاء التي قطع عليها حياة العانس ، وتنتهي أحلام النفس في حبيب الفراش موتها ، عن الطفل الذي ننظره أخليه من هذا الأب الذي عشقته .

ونجد في كتابات فولكنر مهاره لا يبارى في العبارات المفردة . فبينما نرى انصاحيين الآخرين يحصون كل متكلم بملاحظه واحده . نجد فولكنر لا يخصص له أوس من ثلاث ملاحظات . كل منها في مستوى خاص من آرائه . ففي البدايه التي لا نسي هذه القصة ، وسير الزمن البطيء ، نجد المرأة والعربة والسائق يغربون من موقفهم النسبي ، من بعد ظهر ذلك اليوم الحار من شهر أغسطس ، كما نعلم عبارات الموسيقى . فليشكل الذي نخذه القصة في أوسع معانيه ، ليس إلا نتيجة لنسج المناظر كما تبدو للعين ، شأنها في ذلك شأن النظر الواحد . ففي التصوير مثلاً نجد المنظور ذا الأبعاد الثلاثة ، إذا كان عنقاً . يحدث ما يصير في الرؤية بمثابة الخرق في الصورة . وانعته التي يجب التغلب عليها في القصة هي الاستقامه الخطبه الناسنه عن عامل الزمن ، والاسداد الطولي البطيء للوقوع . وعباً يحب المرء عن فن الرواية إذا لم يجد الوسيله لكي يظهر أن الحاضر من أعمال شخصياته هو في الوقت نفسه ماضي انقصاص كما في المرحه . ولا علاقه لهذا بالابتداء من النهايه أو الانتهاء عند ابداية . وإن كان وجود الختبه في القصة البوليسية درس لنا بأنه من الضروري التعكير دائماً في الحاتم . فالزمن وهو ماضي القصة يطلب منا أن نركز ما فيها من ماض ومستقبل . فبين أنه قد انتهى أمره على أن تكون له شأنه في سير الحوادث في زمن الرواية . ولقد كتب دستوفسكي عن بطله في قصة الجريمة والعقاب يقول : « عندما فكر فيما بعد في مر به من زمن وما حدث له فيه من حوادث أثناء تلك الأيام دقيقه فديقه . ومسأله فمسأله ، تأثر بأمر واحد

تأثراً بسببه الاعتقاد باخترافه : إنه لشعر سكوت . فهو بعد تمرّك القصة
الدى لاحظته جيد على أنه صمد من صناد دستورسكى ، وفقد كل أنواع العلاقات
المختلفة التى تربط بين حوادنها المظلمة وهى التى تنشأ عن ربط المناظر الرسمة .
ونجد هذه الغامرة على أكمل صورة فى قصة « أبسالوم » « تسالوم ! » وهى
أعظم قصة له . وهذا الكتاب يصف فيه ابولام احتوينة فى بلاد الولايات
المتحدة كما كانت قديماً قبل أن تتغير معالمها . وهى قصة رجل اسمه توماس
ساتين اتقرب سلطانا بسبب الرعية المدح . وهو ابن فقراء من المسعمرين ،
فى أن يغلب الأسر ذات الألاك ابواسعه فى مقصر حماما . فكانت محاولته
الأولى مخففة إذ أصاب بروده . ولكنه يركب مع الروجه والفضل اللدى كان
هم ارتباط بهذه البروده . وفى محاولته الثانية احتل مكان فى امثلة الاجمعية
سلاية مسيسى وبني له داراً وامسك أملاً كآ واسعة ، وصارت له زوجة ثانية
وظفلان . ولكن حب الانتقام بعد فى صدره بوجه الأولى مقوم على وحاميتها
على تربية ولدها سارل من سابين بحسب يكون أداه بدمار أسه . وقد ربط
عمدة النساء بوساطة الأبناء أنفسهم فى جهنم بالأسور . ولأخ والأحب من
الزواج الثانى هم أسية « بزميلين فى فوه جيس مآله » : فحسب الأخب وحدها
هى التى انجذبت إلى أخيها من أبيها ، قبل أن يراه ودون أن تعرف قصة لها ،
بل إن خيال هنرى سابين هو الذى جعله يظنى على سارل بون بطبيعة الحال
توب الخطيب لأخته ؛ لأن الفكرة تسأ عن عماده صمد البتولة التى رعىها
فى الرجل الأكبر منه سناً ، حين نعه بأنه أخ أكبر . وأنه منال للاتافه .
وقضلا عن ذلك ألم يكن يشعر بأنه هو الذى ستزوج من أخيه وقد تحول
إلى شخصية زوج الأخت ؟ ألم يكن سارل يحبه على إحساسه عمداً حتى
اعتبره هـ . لأخ سبجاً وآمة يفرغ فيها حبه لهنرى الذى هو موضوع هذا
الحب ؟

ولكن يأتى اليوم الذى يفهم فيه سابين ابنه هنرى بأنهم جميعاً أبناء
رجل واحد ، وحسب يقرر هنرى فى ألمه أنه سنبيل الخطيئة واللعنة . وإذا
كان أبوه على قوله سدهب إلى النار فلا يضيرهم وهم الجيل الأصغر أن
سدهبوا إليها أيضاً ؛ لأنهم الثلاثة لم يكونوا إلا مجرد أسباح أوجستها الارادة
السارية . ولكن هذه الآلام البشريه قدرها أن سحطت فى آلام الحرب الأهلية

عندما يجعل اسمر جونس الولايات الجنوبية المأثمة ، ويصير مركز هؤلاء
الفساد الثلاثة وهو مركز سيئ بما فيه الكفاية مسجلاً بضربة أحيرة من
سنتين تمده ، وهو قائم لشارل وهنرى فى الميدان ، إذ يعترف بأن فى الأول
مربح من الدم الأسود من طرفى أمد . فإذا عاد الاخوان من الحرب وهما
يمتطيان جوادير وصارا على حدود أملاك ساتين ، يعمل هنرى المهازى فى جواده
ليقتدم زميله ، ثم يلوى عنان الجواد ليصير فى مواجهته ، ويطلق عليه
البرص من نفسه . وحينئذ لا يكون انفراس أسره ساتين بعدا ؛ فان ساتين
يندفع فى الجراءة اندفاعاً يؤدي به إلى الخاتمة العنيفة . فهو يعمل للاحتفاظ
بالأسره فعسى على ابنه أحد ألباعه ، وهى فتاة فى السادسة حسره من عمرها
ممد له طفلاً . ولكن الأم والطفل والجده وهنرى يموتون فى يوم واحد .
ولا يبقى من سسل هذه الأسره ذات النطامع إلا غلام أسود معنوه منحدر
من نسل امرأة ملونة اتخذها الابن الأكبر خلية .

إن الوقائع وحدها فى هذه القصة لثيرة . وسكر ما يجعل منها على الغالب
المثل الأعلى إلى الآن فى فن القصة . هو ذلك التنسيق الإيقاعى فى إعادة
بناء الحوادث المتابعة بما لا يشبه مع التناوب غير القصة البوليسية .
وليس مجرد مصادفه أن فولكنر ودستوفسكى من كتاب اقصص البوليسية ؛
فما ربح أسره ساتين يروى والأدوار التى مرب بها ترسم بعد خمسين أو ستين
أو سبعين سنة من حدوثها ، إذ تروى زوجها الأخ أو ساتين الكهل لأصدقاء
الأسره وأحد أبناء هؤلاء الأصدقاء لزميله فى غرفه بجامعة هارفرد . وهى
نصوّر هنالك فى شمال الولايات المتحدة . ونزيد خصباً بالتعليقات والتصورات
لرواه والمستمعين . فالنصريح والابراز وتجمع خيوط القصة ، وفترات السكون
وتغير الطريقة بتغير الراوى ، وتغير السرعة ، كل ذلك إن هو إلا الموسيقى ،
على أنه نوع جديد من الموسيقى . والطريقة التى يعرف بها القارى كيف مات
الأخ الأكبر على يدى أخيه الأصغر هى أول موسيقى حققة ، بعد شودلرو
دلاكلو وبعد دستوفسكى فى فن القصة .

قد يعمد السائد الذى يرى كثرة حوادث القتل والفسق والسيره السيئة
إلى وضع فولكنر بين العدد الكبير من الكتاب الأمريكىين البارزين الذين
يكسبون للجهاير ويدلون على قوة احتمال الأمريكىين لكل شئ . ولا ينكر

أحد أن في صفحته ما يسميه هو نفسه « رائحة الأرض الموحشة الخصبية » .
 وقد نوح أنشأ قصصه في أسهم من الاتصال بالعالم وفصاعده بمصرون
 في حبيهم على نزعاتهم وسهولتهم . ولكن هذا لا يجعله مثلاً في صف السند
 همنجواي الضئيل العنق . كما أن أخباره للفسق لكي يزيد من قوة ما وصفه
 في أحوال أخرى بأنه « البعير السريع للمعانيه الجسديه » لا يسد وافته مع
 كنفك . ذلك الكاتب الذي يمثل روح أوروبا الوسطى وتمل سنة ١٩٢٠
 بمخدوقه المشوهه ، فأفراد أسرى كومسون وسائين الذين صورهم ليسوا
 أشخاصاً حقيقيين قادرين على ارتكاب الفسق بأكثر من أشخاص قصه
 « العلاقات الخطره » . لشادولو دلاكو أو قصص دستوفسكي . والفرق بين
 الكتاب الأمريكيين والأسماء وبين فولكنر هو ما قلده وايد في الفرق بين
 زرلا وبليزك : أحدهما الحقيقة بلا خيال ، والآخر الحقيقة الخيالية .

وأن لغته وحدها لبرهن على ذلك . لا نقول مجرد سرعة العساره كما في
 قصته أكبر فضن حدث على أكبر نهر منذ الطوفان ، وهي قصه « الرجل
 القديم » في مجموعه « التخيلات البريه » ولو أنه لم يبلغ أحد قبله في النشر
 مبلغ سكسبير في الشعر ، وإتاما نقول في ثوب القصة وصاعنها فقد يقال إن
 الأبله في قصة « البضجه والغضب » ، والأله الذي يتعشى بقره في قصه « القرية »
 يشجعان على القول بأنه يجب أن يسجل مناظر غريبه . ولكنه اختار الأبله
 لكي يسوّج الموقف الذي يفقه في روايه الخودت ، وهو موقف الأطفال الذين
 لا يفهمون الأمور التي يأبها الكبار من حوهم . ثم إن فولكنر في البضج
 كميته لا يأتي بالمعوج لجرد الرغبة فيه فلغته سواء أكانت غريبه أو عظيمه .
 جزء متمم لصوره كاشافه لمعوجه التي صورها الجريكو . فتجد مثل
 هذه البالغة في قصه « أبسالوم » بأكلها؛ لأن فيها العجب الضمني لسمعي قصه
 سائين . ولولا أن المبلعه صارت صفة ثابتة لما استطاع فولكنر أن يصف بل
 أن يتصور دراسة الحب المطلق في القصة الأولى من مجموعه التخيلات البريه
 أو صمد التماح في قصه « الرجل القديم » أو أن يصف أولا فازر Euler Varner
 مثل كسبل والأخلاق النسوية ، في قصه « القرية » ، وهي التي « كادت نعلم
 أنها لا ترغب في الذهاب إلى مكان معين . . . فكل مكان يشبه الآخر »
 ولا ذلك الطالب الفنون الذي كان يحبها في الحلم وهو يحسن لعب كره

انعدم بحيث يستطيع أن يسد رمته عن طريق تلك اللعبة . ولا نهاية لعمارات
التي يسرع النظر لئلا يديه وكلها مضاعفة لقوته البدائية . فليس فولكنر كالكتاب
الخبزواين في أزمانه ، ينحو نحو التدهيم وتضعف من كتب الآخرين ، ويتعمد
الشعوبه مجرد الرسبه فيها مثل ملرسه وهالري وألنوب وأضرابهم ، ولكنه
كالكتاب الرومانسيين يحدد الأدب بالاصال بالحياه . فقد نشأ كل كتاب
من كتبه عن ضروره ، وبدا كل عمارة من عباراته على فن من النواع الذي
بولد على قول اسماعيل عن : اجتياز المخاطر وعن الخوض في تجربة من التجارب ،
حب لا يستقيم المرء أن يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك . ولقد قال فولكنر
مره : إن بين الحياه والكتب سونا شاسعا « فلقد أدرون يعملون ، والذين
لا يفقدون ويتألمون لأنهم لا يفقدون ، يكتبون ! » وهذا شرف للكتاب .
ومن حسن الحظ أن أكبر فنن أدبي في زماننا وفيما قد يليه من أزمان ، يضع
الموقف في نهاية الأمر بهذه البساطة .

ادوين ا. هولواي

نقلها إلى العربية ز. ي. ع .

خاتمة المطاف

رجمة المسافر

نورَ العيون وفلذة الأكبادِ
ما زلتِ مُدْ خودكِ ثَمَّ ضجعةً
طوقُ في الآفاق بعدك هائماً
وسعيتُ لئن الجمل بأرضه
ما انطاع لي السلوان عنك هنيةً
وغرقتُ أصناف الخرائد لاهياً
يا لبُعدي في البلاد موصوفاً
وطويلَ تحسني وحرَّ تشوقي
سلت من الحزن المبرح برحمة
فأرى بكاء فوق قبركِ شافياً
ما زلتِ بُعدَ رهينَ ذاك الوادي
يصحو الرقودُ وأنتِ حذف رعد
في البحر . في الأوهد . في لأجساد
لنفس . لتصور . بلا نشاد
كلا ، ولا خيَّ هواك مفادى
ما حركت أثى صميم فؤادي
ومزيدَ تجريتي ومُبدل عادي
لزار قبرك بعد صول عباد
وهدت ضالتي في الأسي وعادي
وأرى عزاء أن حوشت بلادى

عبد الرحمن همدق

حلم بالموت

الشاعر ينمى نفسه

يا نفسُ لا ترجى ، يا نفسُ لا تهنى
آن الترحل عن دنيا أنست بها
قرى على عتب المجهول ذا رهب
شدى يقينك لا غير اليقين هنا
شدى يقينك قد رثت مرأته
شدى يقينك ، هذا الليل أجمعه
يا نفس لا ترجى ، يا نفس لا تهنى
أغنى بهذا الثرى تستيقظى أبداً
أما كفاك الذى تشكين من سقم
عدي إلى عالم الأرواح آمنة
يا نفس لن ترجى ، يا نفس لن تهنى
شقيقة لك يا نفسى وقد سبقت
فصعدى نحوها يا نفس معجلة
إن يجمع الموت بعد الصدع أثقتنا

آن الترحل فاستعلى على البدن
على أذاها - ودقت ساعة الطعن
وإن يكن جنة موعودة اليقين
قد أذهل النزع عقل الباحث الفطن
من فرط ما عركت فى عالم المحن
تهون أهواله للمؤمن اليقين
ما الموت - يا نفس - إلا غفوة الوسن
بالخلد فى نجوة من سطوة الزمن
أما كفاك الذى تصلين من حزن
فما سواه على أمن يؤتمن
إن تذكرى ساكناً فى ذلك السكن
إلى هناك تصبو لى وتذكرنى
فما تزال على الأعراف تنظرنى
قد أبر وأعطى منة المنن

عبد الرحمن صدقي

المهذب بن الزبير

هو شاعر من شعراء مصر في العصر الفاطمي ، نشأ في أسوان من بيت علم وأدب وفضل ، ورحل إلى القاهرة ، فالتقى بالوزير المشهور الصالح طلائع ابن رزيك (٥٤٩ - ٥٥٦ هـ) واختص به . وكان هذا الوزير أديباً شاعراً ، وكان يتخذ له مجلساً يحضره الأدباء والشعراء ، وكان يسمعونهم بعض ما يفرض من الشعر ، وكان الناس يهرعون إلى قتل شعره ، وقد اتهمه معاصروه بأنه لم يكن يحسن الشعر وأن أكثر شعره صنعه له المهذب بن الزبير ، وقالوا إن المهذب حصل من الصالح بسبب ذلك على مال جم ، حتى إنه كان يلبس الثياب المذهبة .

وبالغ ياقوت في علم المهذب بالأنساب ، ويقول إنه ألف فيها كتاباً كبيراً يقع في نحو عشرين مجلداً ، كل مجلد عشرون كراساً ، وقد رأى بعضه ياقوت فوجده مع تحفته هذا العلم غاية في معناه لا مزيد عليه ، وعمل لإحسان المهذب فيه بأنه مضى إلى بلاد اليمن في رسالة من بعض ملوك مصر ، واجتهد هناك في تحصيل كتب النسب وجمع منها ما لم يجتمع عند أحد حتى صبح له تأليف هذا الكتاب .

ولا ترجع أهمية المهذب في عصره إلى علمه بالأنساب ، وإنما ترجع إلى شعره ؛ فقد كان خير شعراء مصر في عهد ابن رزيك . وإذا عرفنا أن هذا العهد امتاز بنشاط واسع في الشعر وأن شعراء كثيرين كانوا موجودين فيه وعلى رأسهم الرشيد أخو المهذب وابن الصياد وابن قادوس ، أمكننا أن نعرف إلى أي حد حقق المهذب لنفسه متدرة في عمل الشعر وصنعه . وقد ترجم له العماد الأصمبني في خريدته ترجمة ضافية استهلها بقوله : « المهذب أبو محمد الحسن ابن عبي بن الزبير محكم الشعر كالبناء المشيد ، وهو أشعر من أخيه الرسيد ، وأعرف بصناعته وإحكام معانيه . توفي قبل أخيه بسنة ، لم يكن في زمانه

أسعر منه أحد وله شعر كثير ، وبحل في الفصل "ب" . " ويروى له العهد بعد
عده المدممة فضعه أكبره من سعره ، نستطيع أن نطلع منها على جميع خصائصه .
ويعل أول ما يلاحظ على هذا الساعر المميز أنه لم يكن ساعر نفسه .
بل كان ساعر الصالح بن رزيق ؛ فهو من الشعراء الذين يتغنون بمسابق
الأمراء والوزراء على نحو ما نعرف عند شعراء المسرف الذين اتخذوا المديح
مرفقاً لهم ومكسباً . ومن يدرس الشعر العربي يعرف أن قصيده المديح نقوى
تارة وضعف أخرى ؛ فهي نقوى حين تعبر عن فوج وانتصارات جديرة بأن
يسجلها شعراء ويتغنونها ، وهي بضعف حين تعبر عن زلفى وما يتصل
بالزلفى من رياء ونفاق .

لمدح عندنا إذن قصيدتان لا قصيدة واحدة ، قصيده داب موضوع ،
وقصيده لبس ها موضوع . ومن الضرب الأول مدائح أبي تمام في قواد الدولة
العباسية وحروبهم في خراسان وكذلك مديحه في المعتصم وفتحها لعمورية ، ومنه
أيضاً مدائح المنبى في سيف الدولة وحروبه مع الروم . ومن الضرب الثانى
مدائح سبيار وغيره من الشعراء للوزراء في المناسبات المختلفة من أعياد وتقدم
للوزارة ونحو ذلك .

وفرى بعبد بين الضريين ؛ ففي الأول نقرأ حقائق واقعة ، بل يقرأ العرب
تاريخهم في صورته رائعه من الغناء والشعر . أما فى الثانى فلا نقرأ حقائق ولا
ما شبه الحقائق ، ولا يقرأ العرب تاريخهم ولا ما يشبه تاريخهم . إنما نقرأ
ويقرءون ملقاً ونفاقاً .

وإذا رجعنا نسأل من أى الضريين كانت مدائح المهذب وأسعاره فى
الصالح بن رزيق . وجدنا اخريده تجيب بأنها كانت من الضرب الأول ؛ فقد
ملا ابن رزيق أيامه ببطولة مجيده فى حرب الصليبيين وردهم عن حصون
الشام . وإن فى كتاب الروضتين فى أخبار الدوليين لمقدمسى ما يصور من
بعض الوجوه — مدى هذه البطولة . ومن يرجع إلى عقد الحن لعينى يجد كثيراً
من الألوان التى ترسم صورتها رسماً دقيقاً ؛ فقد كانت الجيوش المصرية ترسل
فوجاً من بعد فوج إلى تغور الشام ، وكانت أعلاسلها ما تنى نطل على العريش
وغزه وعسقلان ، وكان الأسطول المصرى يقوم بدور مهم ، فهو يفرع صوراً
وعك ، وهو يقطع على سفن الصليبيين طريقها إلى الموانئ الشامية . وكان

الصالح بن رزبك يقول بنفسه بعض حوسه البريه ، وكم سحر نصر من موح
وانصارا في عسقلان وغير عسقلان ، وكم أرسل من حوس ساعها حوس .
وفي ذلك يقول أو يقول المهذب بن الزبير :

غزونا في العام ستين غزوة بأسد سرت نحو البلاد يعقبان
فك بين حصني عسقلان وعزده مساحب نسوان ومصرع فرسان
وفي بيت لحم لحم قتلى كثيرة تجررها فوق الثرى أسد خفن

لم يكن حياة الصالح بن رزبك حياه فرعه . بل كانت حياه ملته
بالحوادث واخطوب . حوادث هذه الغارات وخطوب هذه الانصارات .
ومثل هذا الوزير لا نكون قصصه المديح فيه فرى وزلفى ورياء ونفاقاً .
وإنما نكون ثناء على صفحات مسرقة في تاريخه وتاريخ قومه . ولعل مما
يدكر لشعراء العريه بالاطراء أنهم لم يترادوا شخصاً من هذا النوع العظيم
دون أن يسجلوا أعماله وفتوحه في شعرهم . ولعلنا نستطيع الآن أن نفهم
لماذا يحل المؤرخون من مصريين وغير مصريين الصالح بن رزبك وعهده ؛
فقد كانت وزارته الخلفاء الفاطميين عوناً للإسلام والمسلمين ضد الصليبيين .
وكانت القاهره في أيامه معرضاً لمواكب الأسرى من الفرنج . وكان المصريون
يخرجون للفرجة على هذه المواكب كأنها « كرنفالات » عظيمة .
وجد الوزير الممتاز الذي بنوح هام قومه بالفتح والنصر ، فكان لا بد أن
يوجد الشاعر الممتاز الذي يتغنّى باسم هذا الوزير وما علم من أظفار أعدائه .
وكان المهذب بن الزبير هو هذا الشاعر الذي تغنى بالوزير المصري وبجونه
وأسطوله ، وبما أحنوا جميعاً الأعداء وشدوا الوثاق منهم . ومن أطرف ما روى
له العهد في تصوير ذلك قصيده نونه يبدوها على هذا النحو :

أعدمت حين تجاور الحيان أن القلوب سواند النيران
لما أبوا ما في الجفان قريتهم بصوارم سلب من الأخفان
ونبت في يوم العريش عروسهم بشبا ضراب صاوق وطعان
أجأتهم للبحر لما أن جرى منه ومن دمهم معاً بحران
مدح النوري بالبأس إذ خضبوا الظبا في يوم حربهم من الأفران

ولأب مخضب كل بحر زاهر ممن تحارب بالتجمع القاني
حي نرى دسهم وخضرة مائه كشقائق نثرت على الريحان
وذا أن بحر الروم خدق وجهه وطفئت عليه منابت المرجان
ولمصر أن الأسطول حين غزا بما لم يأت في حين من الأحيان

ووصح في نعمه هذا الشعر أن الشاعر فرح مبتهج بما أفاء الله على الصالح
من نصر في العريش ؛ فقد دفى أعناق الأعداء هناك ، ونكصوا ، أو قل نكصت
بهم على أعقابها إلى البحر منهزمة فتلقاها الأسطول يقتل فيها ويسبي ؛ ولا ريب
أن تصوير المهذب لدم الأعداء على صفحة البحر بأنه خضاب ، أو هو نفاث
بثرت على الريحان ، أو هو خلوق بل هو منابت مرجان ، لا ريب أن هذا
التصوير كله وفق فيه . وقد استطرد من ذلك يصف سفن الأسطول :

سبين بالغريان في ألوانها وفعلن فعل كواسر العقبان
أوفرها عدد القتال وقد غدت فيها القنا عوضاً عن الأسطان
فأنتك موفره بسبي بينه أسراهم مغلوله الأذقان

أليس لابن رزيك الحق في أن يعجب بهذا الشاعر الذي يستطيع أن
يصور مجده الحربي على هذا النحو البديع ؟ فهو يصف حروبه في البر وحروب
أسطوله في البحر ، وكيف كان يأتي بالأسرى وقد غلَّت أعناقهم وبلغت الأغلال
أذقانهم فلا يستطيعون أن يعطفوا رءوسهم فضلاً عن أن يضأطوها . ونستمر
مع المهذب فإذا هو يصف قتل الصالح لأمير من أمراء الفرنج ، يقول :

فل البرنس ومن عساه أعانه لما عسا في البغي والعدوان
وأرى البرية حين عاد برأسه مرّ الجنى يبدو على المران
وعجبسوا من زرقه في طرفه فكان فوق الرمح نصلاً ثاني
فليهنه أن فاز منك بسيد أوفى برتبته على كيسان

وبين أن المهذب يشبه عين البرنس على الرمح بنصل ، فكان النصل
ركب نصلاً آخر . وهذه صورة دقيقة . وقد صادف أثناء هذه الحرب
أو قبل هذه الحروب أن وقعت زلزل سديدة في الشام دكت كثيراً

من حصون الصليبيين . فذكر ذلك ابن ابرير مسمعا له فعلا طريقاً :

ما زلزلت أرض العدا بل ذاك ما بقلوب أهلها من الخفقان
وأرى بأن حصونهم سجدت لما أوتيت من ملك ومن سلطان
والناس أجدر بالسجود إذا غدا لعلاك يسجد شامخ البنيان
فلدت أعناق البرية ههنا مساً تحمّل عليها الثقلان

وهنا نلاحظ شيئاً من المبالغة عند المهذب إذ يصب إلى الناس أن يسجدوا للصالح ، ولكن لعله يريد الحجاز ؛ فسجود الحصون فسم سجود بحورى . ونحن لا نجد في شعر المهذب مبالغة أو قل تطرفاً في المبالغة . وعمل من مظاهر ذلك أن الصالح كان عالياً في نشيجه . ومع ذلك لا نجد في شعر المهذب ما يشير إلى هذا الشيع . وأكبر الظن أنه لم يكن مثل سيده غالباً في شيعه . وربما كان مما يدل على ذلك أيضاً ما يروى عنه وعن أخيه الرشيد من أنهما جمعاً انخارا إلى صف أسد الدين سيركوه حين جاء إلى مصر مع ابن أخيه صلاح الدين ضد شاور الوزير القاطمي المعروف .

على كل حال ليس في شعر المهذب ما يدل على تسع ولا عيو في الشيع ، ومن هنا نظهر المبالغة في مدحها لصخص الصالح على صرخه ما يعرف عن المسعده في أمتهم . وأكبر الظن أنه قد اضح لنا صوب المهذب الآن ؛ فهو صوب قوى فيه طرب ، هو طرب المصري إذ يرى بلاده تسمر بصرا بعد نصر . واستمع إلى هذه القطعة من قصيدة أخرى له في الصالح :

تخال سيوفه لما انتضاهها جداول والرماح لها غصونا
وتحسب خيله عقبيان دجن يرحن مع الظلام ويقتدينا
إذا قدمت بجنح الليل أورت سناً يغشى عيون الناظرينا
وإن صبحت مع الاصبح عتواً أثارت للعجاج به دجوناً
كان الشمس حين تثير رقعاً تحاذر من سطاه أن تيننا
تخال البحر مد به خليج إذا ما مد بالقضب الميننا
وما تمسّدق يوم الروع حتى يدق بها الكواهل والمسننا

وهذه قطعه — كما يرى القارى — وافره بالحياه والحركة التي نتم عن

كل ما في قلب الساعر من بهجة أثناء مدحه لهذا الوزير السجاع . أو قل هذا الوزير البطل الذي أتاح لمصر في عهده حياة كريمة .

وليس كل ما رواه العباد للمهذب ينساق في مدح ابن رزيق وتمجده حرويه واستعاراه ؛ ففيه شعر كثير خاص بالمهذب وبعواطفه التي غشاها ، وخاصة عاطفة الحب ، فله قطع رائعة تعبر عنها أجل تعبير وأفصح . واقرأ هذه الأبيات :

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| هم نصب عيني أنجدوا أو غاروا | ومني فؤادي أنصفوا أو جاروا |
| وهم مكان السر من قلبي وإن | بعدت نوى بهم وشط مزار |
| فارقهم وكانهم في ناظري | مما تمثلهم لي الأفسكار |
| تركوا المنازل والديار فما لهم | إلا القلوب منسازل وديار |
| واستوطنوا البيد القفار فأصبحت | منهم ديار الأتس وهي قفار |
| فلئن غدت مصر فلاة بعدهم | فلهم بأجواز الفلا أمصار |
| أو جاوروا نجدا قل من بعدهم | جاران : فيض الدسع والتذكار |
| أمنازل الأحباب غيرك البلي | فلنا اعتبار فيك واستقرار |
| سقا لدهر كان منك تشابهت | أوقاته فجميعه أسحار |
| قصرت لي الأعوام فيه قعد ناوا | طالت لي الأيام وهي قصار |
| يا دهر لا يغرك ضعف تجلدي | إني على غير الهوى صهار |

وهذه أبيات تعبر عن عاطفة الحب في أنبل صورها ؛ فالمهذب يعلن لأحبائه أنه لن ينساهم أنجدوا أو غاروا وأنصفوا أو جاروا . ولقد أنجدوا ولكن أطيافهم ماثلة في ناظريه ، ولقد تركوا المنازل والديار ولكنهم حلوا في قلبه وشغاف فؤاده . وإنه ليذكرهم وحوطهم جيرانهم كما يذكر نفسه ولا جاره إلا الدسع والتذكار . وإنه ليقف أمام منازلهم فترسم في نفسه الأوقات التي قضاه معها ، ويبدو في مخيلته جميعاً كأنها أسحار بكل ما في الأسحار من حسن وجمال . أما الأعوام التي مرت به في قربهم فقد كانت قصيرة ، أو هي تبدو الآن قصيرة ، حتى لكان العام يوم من الأيام التي يقضيها الآن في بعدهم . واستمع إلى هذه الأبيات التي رواها العباد أيضاً :

ليت شعري كيف أتم بعدنا أتري عندكم ما عندنا

بنتم والشوق عينا لم بين وظننتم والأسى ما ظننا
لم من قط عيب بعدكم مثل هان عيبكم بعدا
ولقد كنا نعزى النفس لو كنتم قبل الثنائى مثلنا
لم تبالوا إذ رحلت غداوة أى شئ صنع الدهر بنا
سهرت أجفاننا بعدكم فسكانا ما عرفنا الوستا
فاحدعوا العين بضيف مثل حصد القاب أحاديث التى

وهذه أبيات سهله عذبة تعبر عن كل ما يجرى فى النفس من أفكار
وعواطف فى سهوله ويسر . والسهوله وما يتصل بها من خفة هى طابع
المصريين فى كل عصورهم . وكأن لسعر المصرى وليد يئسه ، فهو يجرى فى
توقى ولين كما يجرى اسل . ورب كان ابن الزبير يحكم أنه من شعراء
المدح أكثر شعراء عصره نقداً نماذج المشرق . ومع ذلك شعره حتى فى
مدائحه خفيف سهل . وقد كان يستعمله المضمين . ومع ذلك فهو لا يؤذى
الشعر عنده كما يؤذيه عند غيره . وخير مثال لذلك هذه الأبيات :

أفصر فديتك عن لوى وعن عدلى أولا غخذلى أماناً من قطبا المفل
من كل طرف مريض الجفن ينشدنى يا رب رام سجد من بى نعل
إن كان فيه سا وهو السقيم سب « فرما صحت الأجسام بالعدل »

فقد ضمن البيت اساقى سقراً من شعر لا يرى القيس بعد تحوير خفيف
فيه . وكذلك ضمن البيت الثالث سقراً من شعر للمنى . ومع ذلك فلا محس
ثقلا فى الأساب . لكن من غير شك حب العدل المذهب عن مثل هذا المضمين
وما يطوى فيه من كلف يقترب من نفوسا ودين من ملوسا بما يصرفنا من
شعر خفيف على نحو ما نجد فى قوله :

لا نبعثو لى فى النسيم عينه إنى أغار من النسيم عليكم

وهذا بيت يعبر عن رقة ورهافة حس بالغة . ولعل فى هذا كله ما يصور
شاعريه المذهب من بعض الوجوه . وأنه كان شاعراً مائة زاً فرض نفسه على
شعراء عصره .

من هنا وهناك

ملك الله

المصباح

مخلها تحاصف غشي زهوراً لم تمسسها يد ، ثم
يؤوب بما أصاب إلى خليته . وما تدركه
رسل كل نفس في أرجاء الجمال السكونية
العزيزة المثال يهيج في النفس أعذب
ما طربت إليه النفس .

ومن الناس من يؤمن أن رسل النفس
التي تنفذ في حجب الغيب ثم ترتد مجلة
بصور البشرية إنما توحى إلى النفس أقدار
الله وتوحى إليهم أنهم يملكون ماسلكوا
وما قد يسلكون من سبل البشرية . وهم
يزنون أقدار حياتهم بأقدار الله التي تهبط في
أرجائها نفوسهم في اليقظة والنوم ، وفي ذلك
الايان سلام الحياة الذي يخرج اليسر من
العسر والعزة من الهوان ، ويوقد في أفئدة
الذين آمنوا قبساً من ضياء الله .

ويتجمل الأمل ببيان معجز ، وتدنى يد الله
صور المجد والعزة والعلم من كائن ضئيل
قليل لا يكاد يملك من أمره شيئاً . ويكرم الله
من تهوى إليهم أفئدتنا بصور من السمو ،
ويجمل أعمالنا يوم تبرز لأماننا بأجل
ما تشتهي من صور الجمال . وإلا فما كان
لنفس أن تهيم بأمر ، وما كان لتافلة أن
تسير ، وما كان لشاد أن يشدو .

وإذا جاء كل نفس وحيا استجابت لصمت
واعتزلت جانب الناس شيئاً حتى لا يقطع
حديثها قطع ، وحتى تعي ما يدبر الأمل في
أمر ، ثم تهيم بما عجد متفاداة وتجعل له
ما يملك من بذل وغرم .

إذا طوعت لأحد نفسه أن يحدث الناشئين
بإيمانه فما يطمع أن يصلى أكثر الناس
بصلاته ، فإن الناس ذاهبون أشتاتاً في سبل
شئ وما يدرون ماذا يكسبون . ويرى شعراء
قد زينوا مطيبتهم بكل زينة وزودوا عزيمتهم
بكل رجاء ثم جاءوا سبلاً موحشة ، فكلمت
مطيبتهم وتبددت زينتها وجاءتها الذئاب من
كل مكان ، فلم يستغيثوا إلا بما خرجوا له
من رجاء :

فإن كنت ما كولا فكأن أنت آكل
والأ فادركني ولا أمزق

وحسب كل مؤمن أن يمشي في ثنايا الحى
بمصباح ضئيل كالذى يستضيء به شيخ
مؤمن ، فينادى عند فجر الاصباح « الصلاة
الصلاة الصلاة خير من النوم » ، ثم
يتخافت نداؤه قلبه مستيقظ ويتصام عن
ندائه نائم ، ولا يحفل بذاته أحد في الحى
فهو صدى في طيات السكون .

والرسل التي تسرى بين الانسان وبين
مصيره هي سر الحياة المعجز الذى مد في
ملك الله ويسط في نصيب الحياة إلى كل
أمد تبلغه النفس في الآمال والحلم .

ولم تخر سبلنا اختياراً بضياء العقل وحده ؛
فقد يجبو ضياء العقل غير مرة كل نهار حتى
تضل بصيرة البصرين في أيسر الأمر .
ولكن النفس ترسل رسلها إجماعاً إلى مهبط
الآمال والأحلام ... فهي خلية ينطلق

الكتب كالذى يقوله الحكيم :

« قد سمعت أنه كان في مدينة تقوانيس في مصر إله من آلهتهم القديمة كانوا يرمزون له بأبيس . وكان اسم ذلك المعبود توت . وقيل إنه كان أول من وجد علم الحساب والنجوم والفلك ووجد فيما وجد علم الكتابة وكان على المصريين ملك يملك مصر جميعاً يدعى طاموس . وكان يحكم في عاصمة كبيرة في مصر العليا يسميها المصريون طيبة وكان إلهها أسون . قدم توت على الملك ليريه ما وجد من الفنون وقال له إنه ينبغي أن يتعلمها المصريون جميعاً .

« فسأله الملك عما عسى أن يكون من نفع في كل فن من هذه الفنون . وكان الملك يقر ما يرى من نفع ويرفض ما لا يرى . وقيل إن تاموس بين لتوت ماله وما عليه في كل فن وذلك حديث يطول . فلما كان في شأن الكتابة .

« قال له توت :

« إن ذلك أيها الملك علم سيرد المصريين أكبر حكمة وأكثر ذكراً ، فإن الكتابة قد وجدت دواء للحكمة والذاكرة .

« فقال له الملك :

« ياتوت إنك أعلم العلماء . وشتان ما بين رجلين : أحدهما يستطيع أن يخترع فناً ، والآخر يستطيع أن يرى ما في كل فن من ضرر أو نفع للذين يأخذون به . والآن إنما مثلك في اختراع الكتابة كمثل الأب من ابنه ، فلا تراها إلا معجباً وحياً وتقول فيها غير ما تستطيع . وأرى أن هذا الفن سيحمل النسيان في نفوس تلاميذك لأنهم سيففلون الذاكرة ، لأنهم يضعون ثقهم في حروف خارجة عن أرواحهم ولا يستذكرون بالرجوع مباشرة إلى أرواحهم . وإنك لم تجد دواء

والتي تظاهر بإيمانها أملاً إنما يزينها الله فوق أنوثتها يسمو كسمو الله ، والتي تقول لصاحبها إن ارتجف فؤاده : كلا والله ما يغريك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعينه على نوائب الحق .

والتي تتجرد من بعض زينتها فتلقيه زاداً في رحلة البشرى ، والتي تجهز متاع السفينة ونظر مسبشرة ونوصى من تحب أن يكون زينة الناس حيث يكون ، والتي تؤازره بقلبها وصلاتها .. أولئك ينهضن بالحياة نهضة الأمل ويفتحن بأبسين أبوايا في ملك الله .

ولم تحمر بذور تمرأ أجل من الإيمان بملك الله في كل نفس . ومن آمن به فقد آمن بالبشرى . ومن آمن بالبشرى ككلته البشرى بالسمو واستيقن أن الحياة خلود ، وأنها كانت نعيماً معجزاً من خلق الله ، ولا يبرح الأرض حتى تتزين بذكره الأرض وحتى يؤتيه الله عقلاً يشر الرشده والصواب أبداً ويبصر بالحكمة ويدين بالخير .

والذى بيده مفاتيح هذا الملك لا يسلمها لكاذب ولو ملك يكذبه ما في الأرض جميعاً . ولا يرد هذا الملك جاف ولا ذو قلب غليظ « حتى يبلغ الجمل في مم الحياط » ، ويسلم مفاتيح هذا الملك لكل نفس زاكية لم تتلبذ بفاحشة ولم يطمس على قلبها ما قدمت وما أخرت من فساد في الأرض .

والحكمة التي تقبلت الإنسان لترده حكماً أرضته بلبانها بين يدي أمه . فإذا انفردت به قلبته على الجمر ؛ لأن النفس لا تزكو حتى يصهر معدنها ، وألفت دون معرفتها الآلام والصبر ...

ولا يرتد العلم حكمة حتى تهتك النفس كل حجاب دون الأحاسيس بالإنسانية ... ولا ينفعها أن تعي من دون ذلك ما حملت

الانسانية كيائها من جال حتى يؤمن برسل
البشر في حياته ، ولا يكذب بما توحى
إليه من كمال ولا يعصيا ويطيع التهاون
والعافية ، وحتى يقدم لها ما ملكت أيمانها من
جهاد ، ولا يعتز بالنصر اعتزازه بالهزيمة
التي تحفزه إلى نصر أكبر حتى يبلغ كيان
الانسانية في قلبه ، وهي التي تلد الجود
والاقدام والعدل ، وهي التي تخلق الأحرار
والسادة في الأرض ؛ لأن المجيد فتوح في
ملك الله .

على مافظ

لذاكرة وإنما وجدت دواء للرواية . ولست
تعمل لتلاميذك الحكمة الحققة وإنما تحمل
لهم ظاهراً من الحكمة . فان أطالوا اتباعك
دون أن يتهذبوا بدا لهم أنهم على علم
بكثير من الأمور وهم في حقيقة الأمر
لا يبلغون بادراكهم شيئاً وينقلبون عسى
العاشرة ويغالهم الناس حكماء وما هم
بحكماء . »

وكذلك لا يبلغ شباب أمة ما أودع الله

دوافع السير في المجتمع

جديرة بأن تفتح على الرجل المثقف أبواباً
جديده من المعرفة لا يزال مجهولة عند كثير
من المعلمين بهذا الشكل العلمي المتظلم .

ومن يقرأ هذا الشرح يهون عليه فهم
روح الدكتور جوستاف واستكناه أى شاء
من كتبه بدون مشقة ولا جهد . وسوف
يجد لذة كبيرة في تتبع بحوثه لما تبعثه في
النفس من روعة المعرفة وجلال العلم .

فليس شيء أحرى بالقراءة والبحث من
الوسائل التي تعين الإنسان على التغلغل
إلى أعماق الحوادث النفسية والاجتماعية
الغامضة واستكناه سرها من وراء مجموعة
مضطربة من الظواهر التي تخفى عادة
ما خلفها من الأسرار .

وجوستاف خير من كتب في هذا
الموضوع ؛ فقد أتى هذا الفيلسوف الكبير
بمذاهب أقامت ثورة بين الأوساط الثقافية
في فرنسا ، خاصة منها ما كان يؤيد الثورة
الفرنسية ، وما أكثرها في فرنسا . فقد شرح
فيها جملة آرائه في العوامل المسيرة للفرد
والجماعة ، وكيف تلتأ المعقدات وأى نوع

هذا مقال لخصت فيه مذهب الدكتور
جوستاف لوبون فيلسوف الاجتماع في القرن
العشرين . وقد شرح مذهبه بكتب عدة
ترجم أكثرها إلى اللغة العربية بقيت في زوايا
الخول لا يعبرها أحد من الخاصة أى اعتناء
يذكر ، على أنها أبحاث خطيرة صرف
الدكتور لوبون أكثر عمره في شرح مبادئها
وأصولها .

ولعل أحد الأسباب التي منعت انتشار
هذه الأبحاث وتداولها جفاف أسلوبها
وصعوبته واصطدامه بالقارى لأول وهلة ،
لحرم منها كثير من الخاصة وقيت حيث
هى . على أنى لا أقصد بالأسلوب : أسلوبها
اللفظي في الأصل ولا في الترجمات المختلفة
التي خرجت على أيدي كتاب أفاضل ، بل
أعنى أسلوب تلك الأفكار الغريبة التي أتى
بها جوستاف مع شيء من الأرستقراطية في
التعبير مما لا تطول معه روح القارى .

وقد جاءت أبحاثه حقاً آية من آيات البحث
العلمي ، وإن كان أحياناً تفوقه الأمثلة
المسلمة لبعض ما عنده من المذاهب . وهي

مسوغات ذلك الحكم من الأدلة والبراهين .
وكون الأمر على عكس ذلك يشعر بأن
العقل غير مطلق من سلطة ثانية تسيـره
حسب أهوائها . لذا أتيح لجوستاف أن
يستنتج من ذلك انقياد العقل أو المنطق
العقلي لأنواع أخرى من المنطق سيأتي
ذكرها أثناء البحث .

وأرجو ألا يلتبس على القارئ معنى كلمة
« منطق » حسب اصطلاحها الخاص هنا .
فهذه الكلمة ، كما يريد الدكتور جوستاف
تعني « جهازاً » أو « أداة » مهما كان
نوعها . لذا فإنها لا تشير — حسب هذا
الاصطلاح — إلى المعقولات أو القياسات
المنسقة كما يلتفت إلى ذلك عادة حسب
اصطلاحها العام . فالمنطق العقلي والمنطق
العاطفي والمنطق الديني ومنطق المجموع
ومنطق الحياة — كل أولئك أجهزة أو
أدوات متصفة بتلك الصفات . وهذا تعبير
حسن عن ذلك المعنى الذي يدل على أداة
مسيطرة على ناحية من نواحي النفس
الانسانية .

ونود أن نشير إلى أن الأمثلة عنصر هام
في التدليل على نظرية جديدة ، تلك التي
لا نستطيع أن نوفها حقها في مجال ضيق مثل
هذا . فبدل أن نتوسل بكثرة الأمثلة
نكتفي لاثبات هذا النوع من المنطق عند
الانسان ، بأن نشير إلى أعماله الخارجية
التي تشعر بوجود مثل هذه الملكة عنده ،
ففراساته الصادقة وقياساته اليومية المتعددة
التي غالباً ما تصيب لب الواقع ، هي
دليلنا الوحيد على وجود مثل هذا الجهاز
يمثل هذا العمل المعين . فلو لم يكن ذلك
الجهاز — أو ذلك النوع من المنطق — لما
أدت تفكرات الانسان إلى نتائج مقررة في
غالب الأحيان .

ومن المهم أن نذكر أن المنطق العقلي لما

من العوامل يسيطر على المعتقد ويوجده ،
وكيف تتكون الآراء اليومية للفرد العادي
والأسباب المتمكنة من عنان الفرد حين
يغدو وروح .

وقد جاءت كتبه أبحاثاً خطيرة ليس لها
نظير في تاريخ الثقافة الانسانية . فكثيراً ما
بحث البشر عن العلوم العقلية التي توضح
الأساليب المنطقية لصور القياس الصحيح ؛
ولكنهم قلما بحثوا في العلل العاطفية التي
تكون المعتقد . لذا جاءت أبحاث الدكتور
جوستاف اكتشافاً جديداً في ميدان العلوم
الاجتماعية . فقد رجع فيها العلل المسيطرة
على سلوك الفرد والجماعة إلى خمسة أنواع
من المحرضات الاجتماعية التي تسيـر الحياة
العامية . وهذه الأنواع الخمسة من المنطق
هي :

١ — المنطق العقلي ، وهو الملكة التي
يتوسل بها الانسان إلى الأحكام المنطقية
بالشكل الذي يفصله علم المنطق ؛ وهو
ترتيب القدرات واستنتاج الجهولات من
المعلومات بشكل عقلي قياسي صحيح . وهذا
النوع من المنطق هو الذي يدير عجلة
العلوم والمعارف والاكتشافات والقياسات
الرياضية الصحيحة ؛ إلى غير ذلك مما يشترط
فيه صحة المقدمة وسلامة القياس .

وتتقاد هذه الملكة على الدوام لمشاعر
الفرد . فالعقل هو آلة مطبوعة لأوامر العاطفة
التي قد تشاء أو لا تشاء الحكم العقلي في
موضوع من المواضيع . فعمل العقل هو أن
يبحث عن علل موزونة تسوغ سير عاطفته
بخلاف ما لو كان العقل مجرداً من هذا
التحكم ؛ فانه كما هو غنى عن البيان يحاول
أن يرتب قياساته بالشكل الذي ينتج
إنتاجاً صحيحاً أو قريباً من الصحة على أقل
تقدير . فليس من عمل العقل — من حيث
هو — أن يفترض حكماً ثم يبحث عن

صيفهم العاطفية في طراز القياس .
وكل الناس للأحكام العقلية مباشرة
يستلزم درجة من الرق في المنطق العقلي
مع درجة مماثلة في حريته أو انطلاقه ،
بحيث تتوازن في الانسان أنواع المنطق كافة ؛
أى عند التقاء العقل بالصاعد بأنواع المنطق
الأخرى ، الهابطة ببطء لا يكاد يظهر .

وتمضى عصور طويلة قبل أن يتم ذلك
على هذا النحو المذكور ، وقبل أن يختص
الطريق فيحل المنطق العقلي محل سائر أنواع
المنطق فيصبح شيئاً له وزنه في ادارة دفة
الانسان .

وكم أخطأ الساسة عند ما حاولوا أن
يحلوا بالمنطق العقلي مشاكل لا تحدى معها
غير أساليب معينة من اللعب بأحلام
الرجال ، مما قد يحرف فيه معلوك من
صعاليك البيان . لذا وصف السياسة أحد
الأعلام بأنه استقلال لأباطيل المجتمع وأن
العلم كفاح مع هذه الأباطيل . وقد كان
وصفاً رائعاً بحق .

والجملـة : أن المنطق العقلي لا يزال محدود
الأثر متزويماً في مجاهيل لا يصلها إلا الأفضلون
من الناس ممن وهبوا — على غير علم من
الطبيعة — تلك الرزانة والتوازن في الملكت
والقوى النفسانية الذى كفت به العناصر
العاطفية إلى حد معقول فأتيج لهم النفوذ
إلى حقائق الأشياء .

٢ — المنطق العاطفى ، وهو ثانى
الأنواع الخمسة من المنطق التى تسيطر على
سلوك الفرد والمجاعة . ولا كان البحث في
أحد هذه الأنواع يستلزم البحث في الآخر
لما بينهما من ارتباط وثيق يدعو إلى المقارنة
دائماً ، نرائنا غير مضطرين إلى بيان مفصل
في التعريف بهذا النوع وبالأنواع الباقية
من المنطق .

يتعد بعد حدوداً معينة مقصورة على مجال
ضييق في حياة البشر . فمع أن الانسان
استطاع أن يرق بمنطقه العقلي فيسخره في
التجارب العملية التى نشأت منها حضارة
العصر الحاضر ، فانه لم يزل محدود الأثر
في معتقداتنا وميولنا في هذا العصر ؛ مما
بدل على أن نشوء المنطق العقلي جاء متأخراً
عن وجود سائر أنواع المنطق في الانسان .
وعلى أن هذا دليل نظرى على تأخر نشوء
العقل ، فان هناك دليلاً استقرائياً لا ينكر ؛
ذلك هو خلق العجماوات والحيوانات الدنيا
من هذا المنطق أو هذا الجهاز . لذا فهو
صفة « ناشئة » في (الحيوان الناطق)
ما دمنا نسلم بأن الحيوانات جميعاً نشأت من
أصل واحد .

ولا كان المنطق العقلي هو ميزة الانسان
الكبرى ، فإ أكثر ما تنسب إليه الآراء
والمعتقدات عند تسويغها . ولو علم الناس
أن العقل براء من كل معتقد على وجه
التقريب لتبين حينذاك مدى قصور المنطق
العقل عن تسيير دفة الانسانية وتوجيهها
الوجهة التى يرضيها . فلو كانت هذه
الدعوى صادقة لما تناقض الناس هذا
التناقض العجيب في الآراء والمعتقدات ،
ولكانت هذه أقرب إلى الالتئام منها إلى
التعاكس بهذا الشكل الفظيع .

وعلى أن هذا لا يمنع من أن بعض النتائج
المنطقية لا ترضى من الوجهة العملية ، بقدر
ما تجدى الشاعر والآراء العاطفية . فكم
صيفت الأحكام العقلية التى لا تنفذ بشكلها
المنطقى الرزين — بصيغ عاطفية لأقارها في
دائرة المعتد ... فلو وقف أفلاطون خطيباً
في هايد بارك لما استطاع أن يجمع حوله
من الجمهور بقدر ما يلتف حول أحد هؤلاء
الابقيين الذين يهزون مشاعر الناس بروعة

نوع آخر من أنواع المنطق — داخله في حدود المنطق العقلي . لكنها لاتؤخذ بذلك الشكل الخاص الذي يأخذ به المؤمنون عقائدهم الدينية . فكثيراً ما اعترف جوستاف بأن هناك قوى مجهولة عاقلة تدبر عن كسب دفعة النظام في الطبيعة ؛ فذلك مادة أساسية في المنطق الدينى وإن كانت مما لا ينكره العقل .

فالمؤمنون — سواء كانوا من الملاحدة أو من غيرهم — قوم تلهب نفوسهم حساسة وقيناً بكل نص من نصوص مذاهبهم . وأقل اعتراض على نبرة من معتقدهم كاف لاسخاطهم بشكل لا تجدى معه كل النحل العقلية في النقاش والناظرة . وأبرز صفة يتصف بها هؤلاء المؤمنون هي أنهم يتكبرون المبادئ بجملة ، أو يعتقدونها بجملة ؛ أما التبعيض واختيار أقرب ما في مبادئ متضادين إلى الحق ، فذلك ميزة المنطق العقلي الذي لا يهمه إلا ما كان له دليل منطقي بسده .

وسلكة التدين أو المنطق الدينى لا أحد معها ، عند المؤمنين ، لكثرة التصديق والايان بالمعجزات والخوارق التي يأنف المنطق العقلي أن يبحث فيها . فما دام هناك من يقدر على عمل كل شئ فلا مانع من تصديق كل شئ . لأن استثناء شئ من هذه الفرضية أمر يتناقض مع تلك الروح المتأصلة في النوع الانسانى منذ نطق وأصبحت له ميزة الانسان ؛ ألا وهي روح التدين التي لا تقبل الأشياء إلا بجملة ولا ترفضها إلا بجملة .

وقد أضل المنطق الدينى أعلاماً فضلاء جرهم إلى سخافات لاتتقرن عادة إلا بالدحماء والعمامة من الناس . فلقد سلم هؤلاء ، بايمان وحرارة ، بكثير مما جاء في النصوص الدينية بما يتجنيه المنطق العقلي

فالمنطق العاطفى هو تلك الملكة التي تنشأ عنها مشاعر معينة في الرغبة والارادة ، بدون أن يكون للعقل أى تحكم أو سلطان على تقلبات هذه المشاعر . فالجندي الذي يلقى بنفسه في أتون الحرب لأجل مثل معينة ، هو مظهر صادق لتأثير ذلك النوع من المنطق في الانسان . ولو كان للعقل أثر في هذه التضحية لرجع الفرد إلى نفسه مسائلاً عما قد يجنيه هو نفسه من كل ما يعمل وهو أمام خطر الموت . ولكن بعد المنطق العاطفى عن تأثير العقل جعل الأول حراً في التعرف بارادة الانسان وزجه إياه في مظان لا يؤيدها العقل غالباً . أما عمل العقل فإن يبحث ، طائعاً لأمر العاطفة ، عن تصاميم ينقض بها ذلك الجندي على أعدائه .

وجميع المشاعر القومية والوطنية التي تبعث على الشعور بـ « التوعية » هي من هذا القبيل ، داخله في حدود المنطق العاطفى الذي لا يعرف للعقل حكماً أو سلطاناً . ومن هنا يتناقض العقل الفردى بكثير من أصول الأخلاق المتبعة في الوقت الحاضر ، فتظهر للفرد كأنها زائفة وإن كانت في مصلحة المجموع دائماً . ويمكن أن نفترض في تحليل ذلك أن الطبيعة جهزت « النوع » بعقل خاص كما جهزت الفرد بمثله وإن كانا متناقضين أحياناً .

فالمنطق العاطفى إذاً مجموعة من المشاعر قد توجدها حاجة مادية أو طراز نفسانى معين يبعث تلك المشاعر ويمكنها من قياد الانسان .

٣ — المنطق الدينى ، وهو ذلك الاستعداد الخاص للايمان بالغيبات ، واعتبارها حقائق مسلمة لا تقبل الجدل . وقد تكون بعض عناصر التدين — ككل

— ٤ منطق الجموع ، وهو رابع هذه الأنواع الخمسة من المنطق التي افترض وجودها الدكتور جوستاف ليعلل بها مجاميع من الظواهر الاجتماعية والنفسانية المتباينة والتي تشعر بنزوعها جميعاً إلى خمسة أصول ، هي أنواع المنطق الخمسة . وعلى أننا لانذهب بعيداً مع الدكتور جوستاف فنقر هذا النوع الأخير قسماً أساسياً لتلك الأنواع الأخرى ؛ لكننا نعتقد مع ذلك أن مظاهره واضحة خاصة في مجتمعاتنا الحاضرة . فقد كان من الممكن أن تلحق هذا النوع بالتنوعين الأخيرين لتفرعه عنهما في الواقع . لكن ظهوره وبروزه وكثرة أمثله وشدة فاعليته يستحب معها جميعاً أن نقرر له بحثاً مستقلاً تحمّل القول فيه .

فمنطق الجموع هو ميزة الجماعات التي تنتشر بينها الآراء والمعتقدات بالعدوى والتلقين . فقد تحركها كلمة صغيرة فتحملها على ثورة عاصفة تخشى خطرها أقوى الدول وأشدّها منعة وأكثرها بأساً . وكما لقنت الجماهير آراء قلبت بها حكومات وأقرت أخرى بعد هيجان وضوضاء تم بها تنفيذ رغباتها بقوة وبأس . وكما عصفت بالجماعات خطيب مصقع فأطلق بها الأمن وزرع بها السلطان . كل هذه حوادث عادية منشؤها تلك الروح المتأصلة في الجماهير والتي تستندها شدة العدوى والتلقين فتسرى بهما الآراء والمعتقدات . بين الدهماء والغوغاء فتوجد منهم قوة لا تقاوم .

وأول مبادئ السياسة في الوقت الحاضر النزول على رغبات هذه الجماعات المتقلبة التي تعصف بها الميول التذنبية ، وتحاشيا على أي حال . والسياسي الناجح في البلاد التي تبجح حرية الرأي والكلام هو الذي يعرف كيف يخضع لهذه القوى الهائلة وكيف يرضيها ؛ لا الذي يخلص أو يحاول السير

السليم ، فاسين أن الذي أملى عليهم ما أملاه ليس العقل وإنما روح التدين التي لا يقف في وجهها أسطح البراهين وأوضحها والتي لا يخلو منها أكثر الناس حذراً ودقة . فهي التي زعزعت أركان التاريخ مراراً ، وهي التي أقامت حضارات وأسقطت حضارات . وقد أفاد وجود هذا النوع من المنطق فوائد عملية أحياناً . فلقد استطاع رجل أن يبيع رفات قسيس مقدس على أنه يشفي المرضى من كل داء . فدخل الإيمان بعضهم بحمرة هذا الرفات وسرعان ما شفوا مما يشكون من أمراض نفسية مزمنة . وليس بعيد عنا ما صنعه « آفاك » الراهب الأرضي عند ما جال في ربوع الشرق الأدنى . فلقد استطاع هذا القسيس ذو الوجه النوراني الساطع أن يلقى في نفوس بعض المؤمنين من الأعياء ما شفوا معه من بعض ما يشكون . وأمثال ذلك كثير بين قبائل الجنوب في العراق الذين يأتون بمرضاهم ، وقد شل ما بهم من أعصاب ، إلى بعض الأماكن المقدسة فينال بعضهم الشفاء بهذه الطريقة البسيطة .

وخلاصة ما مر أن روح التدين صفة متأصلة في النفس الانسانية ، منشؤها روح الأمل والرغبة خاصة بين أولئك الذين أرهقهم الحياة بأعبائها ، فاضطروا إلى نوع من الخيال أشبه بأحلام اليقظة يسرون به عن نفوسهم الأذى والمهم قيعدونها بفوز ويسر كبير . واستناداً إلى وجود هذه الروح كان لشوء الأديان شيئاً ملائماً لمزاج الأسنان أشد تلاؤم ، وقد ملئ به فراغ لم يكن لينفع تركه شاعراً غير مشغول . إذ جعلت الأديان من حياة المؤمنين حلماً فيه كثير من المتعة واللذة هما السبب في مساعدتهم واطمئنانهم إلى المستقبل .

• أما المطلق حاسم فهو مطلق الحياة
وعدا هو أقدم أنواع المطلق في الحيوان
والإنسان على السواء . وهو القوة الدافعة
لأرادة الحياة وحسب الداف وحسب الأنواع .
وهو الذي يملئ على حيوان - طبقاً لـ أو
أخر - بفعل المدة والآه ، أن يسعى من
أجل حياته سعياً حثيثاً سواصلاً لا هوادة
فيه . وهو الذي يملئ على الحشرة من
الحيوانات أدنى أن يأتى بأعمال لو كان
منشئها المطلق العقلى لثم تأليف عم من
أوسع العنوم وأسدها حصر . لذلك فهو
ناحية عاضده غطت بها الأسرار وسكتها
الألفاظ .

وهو أقدم أنواع المطلق لأنه يوجد في
الحيوانات كافة دنياها وعيها على السواء .
فكم أنه يبعث هدهبات البحر على السطح
نظام جد معقد ودقيق لمحافظة على حياتها
فهو الذي يبعث الإنسان - وهو أرقى
الحيوانات - على اتساع مثل ذلك لنظام
لمعرض نفسه . ولولاه لما كان للأحياء ميزه
على الجماعات ، ولما كان للحياة قيمة ولا أثر
على الإطلاق ؛ لأنه الدافع الأول لأرادة
الحياة والمعرض على حسب البقاء .

موجب ما يحميه الصلحه وما يحمده العمل .
وهذه نتيجة مسئلة ما دام احدى كل الحق
للجماعات أن تشاء أو لا تشاء أمراً بعينه مع
قطع النظر عن نتائج أخرى قد تتجمل وحوادثها
عن علل غير متصودة .

وما الثورة الفرنسية إلا مثل صناديق هذا
المطلق الذي استطاع أن يلعب دوراً مهماً
في العصور الأخيرة ، بتطورات الحضارة
والأحوال السياسية العامة . فلقد أدى قيام
عده أشخاص أمثال حردو السبهم وأفلاسهم
السمه فأثاروا شعباً دوخوا به العالم فيا بعد .
والخلاصة أن مطلق الجموع هو الملكة
التي تنشأ عنها الاندفاعات الجماعية بتأثير
عده عوامل من التحريض والفرغيب
والوعد والوعيد وتدين الجماعات مبادئ
أو آراء معينة لعرض من الأغراض .

وليس العمل هو الذي يملئ على الجماهير
الشوعية في بعض أنحاء العالم اليوم ثوره
داسية مثل هذه . لكنه المطلق العاطفي
ومسح الجموع الذي يمهّد للحطباء
والرعاة وذربي الإنسان أن يحرضوا على
انقلابات حصره ندعب ضحيها ملايين من
الناس .

نظرة عامة

بما لها من العادات والتقاليد التي يسند على
إلغاء أحدها ثوره جائحه بعد أن قدسوه
شبهها العباد لناقصه الخارجين على ذلك
النظم الأدبية الراضة .

وروح الفرد قد تبرزل ببعض عوامل
التربية والبيئة ، لكن روح الأسد ثابت
لا يتغير .

و كثيراً ما شجب ميانه فرنسا إزاء العرب
في أفريقيا الشمالية لأنها قد أخذت على

تم اسمر الدكتور جوستاف على هذه
الويرة من البحث . فالمعتقد عنده راسخ
لا تهاضه أقوى العوامل المنطقية وأسدها .
والإنسان لا يمكن أن يلبث بدون معتقد .
هو هرم عنده إحسد المعتقدات وزال
فسرعان ما يحل محله معتقد جديد بنفس
الخصائص والصفات . والأمة عنده لا تستطيع
أن تتخلص من ماضيه مهما طراً على
حياتها من التغير والتبدل . وهي مكمله

عانتها ممددين هذه الأقطار ولوكفها ذلك
أهبط الأثمان ، ناعياً على ساستها جهلهم
بروح الأمة ورسوخها إلى حد لا تجدى معه
أقصى السياسات وأعنفها .
أما الثورة الفرنسية فيرى أنها حركة
أهدرت فيها الدماء ومثل أصحابها أشنع
ما يعرفه الإنسان من البربرية والوحشية .
فما أقسى روح الجماهير إذا ماستحت لها
فرصة الشعب والانتقام . وروح الأمة
لا ترحم إذا ما استبدت بها الثورة والخروج
على النظم . ويكاد يقرر بطلان النظم
الديموقراطية التي تكهن أنها ستخرب فرنسا
وستضعها في أسفل درجة وأحط مكانة بين
الأمم لما للجماهير فيها من الحرية التي
تسوخ لها من ضروب المعارضة والتهديد ؛
فأثار عليه بذلك ثائرة الكتاب في فرنسا
كلها . فكان مثله معهم كمثل الجراح
محسكاً بمبضعه يشرح به عقول ناقديه
ضارباً بهم المثل على رسوخ العتقد

ونزوعه إلى العاطفة في دائرة اللاشعور .
أما الفرد المتمدن عنده فهو الذي
انفصلت روحه عن روح جماعته . وهذه
هي ميزة المدنية الحاضرة التي نجحت إلى
حد لا بأس به في فصل روح الفرد عن
روح الجماعة . فأول ميزات الجماعات
البدائية أن روح الفرد فيها غير منفصل
عن روح جماعته . لذا يعد أحد أفراد
القبيلة التوحشة مسئولاً عن كل ما تقتضيه
جماعته إزاء قبيلة أخرى ، من هذا الطراز .
أما التربية عنده فلا أثر لها سوى قتل
المواهب والاستعدادات الخاصة لازالتها أو
تبديلها . فهي لاتفعل شيئاً سوى حفز
العناصر النفسانية لتغييرها .
وأما النبوغ الأول الذي يسيطر سيطرة
تامة على نشأة الفرد ، فهو مزاج الجماعة
الذي يشتق منه مزاج الفرد العادي .
ومبادئ التربية عنده ضعيفة لاتلبث أن
تتحطم على صخرة العتقد والبيئة والمحيط .

[النجف]

مصطفى محمد الطهري

شهرات

شهرية السياسة الدولية

انقسام العالم

ألمانيا المحتلة . والغرب يعنى فى اللسان ذاته إنجلترا وفرنسا وبلاد بينيلوكس ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية . وما بقى ، بعد الكتلتين من أمم العالم ، محل مشادة بينهما تريد كل واحدة منهما أن تغفر به كاتاليا ودول الشمال أسوج ونروج ودانمارك ، أو تريد إحداها أن تطمنن إليه الاطمئنان كله كاسبانيا ، أو تدخله فى حوزتها ادخالاً محكمًا كبلاد الشرق الأوسط على حد ما يسمون .

قضى الأمر ، وتبلى خلال الشهر المتقضى سعى العالم سعيًا حثيثًا فى سبيل الانقسام . فقد تداعت الحوادث سراعاً نحو دعم التكتل فيما اصطلاح فى اللسان-الدبلوماسى على التعبير عنه بالشرق والغرب . والشرق يعنى فى هذا اللسان روسيا السوفيتية وما يتاخفها من أقطار متلاصقة فى البلقان وفى أوربا الوسطى إلى الخط المتحد من بحر الشمال إلى البحر الأدرياتي ما عدا اليونان والنمسا وبالنضمام المنطقة الروسية من مناطق

أزمة تشيكوسلوفاكيا

ما كانوا قد تعاهدوا بمها عليه فمكنوا منها قوات هتلر مرتين : حين ضم إلى جبرمانيا الكبرى مناطق السوديت أولاً ، ثم حين غزا سائر مناطقها ثانياً . ولذلك فقد كتب عليها الميل إلى الاتحاد السوفيتى والحذر من دول الغرب ، وإن كانت تؤثر أن تستبقى علاقاتها الاقتصادية مع الجانيين . على أن الميل كان أقوى من سائر الاعتبارات إثر التحرر والعرقان للروس من أجله بالفضل ، فسرت فيها التعليم الشيوعية ، وإن طبقت فى نطاق أضيق من النطاق السوفيتى . فقد ظل فيها الأخذ بمبدأ تعدد الأحزاب ، وظل فيها الأخذ بمبدأ الملكية الفردية ، وإن كان الحزب الشيوعى

وقد تكون الأزمة التى حلت بتشيكوسلوفاكيا هى التى آذنت بمرور ذلك الانقسام التى كانت الجهود تبذل فى سبيله ، ولكن فى شئ من التستر والايهام . فقد كانت تشيكوسلوفاكيا ، وهى التى تكتنفها روسيا وبولونيا والمجر ويوغوسلافيا من ناحية والنمسا وألمانيا من ناحية ثانية ، واقعة بين الشرق والغرب ، راغبة فى الاحتفاظ بعلاقات حسن الجوار مع الطرفين ، وإن كانت فاقهة فى وعى مستند إلى ملاسبات الحرب العالمية الثانية أن الاعتداء عليها قد جاءها من ناحية ألمانيا أول الأمر ، وأن إنقاذها قد أفاء به عليها الجيش الروسى آخر الأمر ، وأن حلفاء الغرب لم يحترموا

المساهمة في مشروع مارشال التي قبلت أول الأمر ثم رفضت إثر زيارة قام بها رئيس الوزارة ووزير الخارجية إلى موسكو. وبينما الأمور تجري على هذا التنافس إذا بانقلاب أبيض يقع، إذ يستقيل من الوزارة عدد من الوزراء اليساريين، وإذ يستبدل بهم عدد آخر من المؤيدين اليساريين، وإذا بمضى الشيوعيون، وقد قبضوا على أزمة الحكم أكثر مما كانوا قابضين، قدما في طريق التنظيف قصد الاستعداد للحملة الانتخابية المقبلة التي يودون أن يضمنوا فيها الكثرة المتفوقة.

حينئذ أسقط في يد الغربيين وراحو يتهمون الاتحاد السوفيتي بأنه هو المدير للانقلاب والدافع إلى تنفيذه، وراحو يتلمسون طرق التفاوض وسد الطريق في وجه السرب إلى ما قد يتجاوز الحد الفاصل بين الكتلتين.

أدرك الأحزاب نسبة - وهي قد بلغت الاثنين والأربعين في المائة - وكان مبدأ التأميم قد نفذ في المرافق العامة والمصارف والناجم والملوكيات الكبيرة التي انتزعت من ملاكها الألمان والسوديت الأقدمين، والصناعات الكبيرة التي يزيد عدد العمال في عملها على خمسمئة.

وكانت الانتخابات قد جرت فيها لتأليف جمعية وطنية عهد إليها أمر إعداد الدستور الجديد على أن تجري فيها انتخابات جديدة ينبعث منها البرلمان المستند إلى الدستور الجديد في اليوم الثامن من شهر مايو المقبل. فأصبحت عاصمتها وأصبحت سلوفاكيا بخاصة مسرعا لتنافس التيارين الشرقي والغربي قصد التأثير في الحملة الانتخابية المقبلة كي تنتج كثرة تتجه إلى اليمين أو تتجه إلى اليسار، ولا سيما بعد ما حدث لمناسبة عرض

إتحاد غرب أوروبا

المعاهدات الاقتصادية وتتجاوزها إلى معاهدات المعاونات العسكرية مع الاحتياط في جعلها داخلة في نطاق أحكام ميثاق الأمم المتحدة. فذكر فيها بصريح العبارة أن التحالف العسكري إنما يقصد به دفع محاولة الاعتداء من جانب ألمانيا، كما ذكر أن إجراءات هذا التحالف إنما يرجع في اتخاذها وفي تطبيقها إلى مجلس الأمن وفق نصوص المواد المتصلة به في ذلك الميثاق. لكن ذكر في المعاهدة من ناحية ثانية نص على الاستمسك بمبادئ الحرية الديمقراطية وعلى التضامن في سبيل الدفاع عن هذه المبادئ إذا قام في وجهها خطر أو قام في وجه الأساليب الاقتصادية التقليدية. ومعنى هذا أن الحلف الجديد متساند في

وكانت الولايات المتحدة تنوق إلى قيام نوع من التكتل السياسي في أوروبا يسير إلى جانب التكتل الاقتصادي الذي تعمل له عن طريق مشروع مارشال، فدعا وزيرا الخارجية البريطانية والفرنسية إلى تأليف اتحاد غرب أوروبا الذي كان قد نادى به من قبل مستر تشرشل في حين من الأحيان. وكانت بلجيكا وهولندا ولوكسمبرج قد عقدت بينها حلفا يقرب اقتصاديات بعضها لاقتصاديات بعضها الآخر ويخلق منها جميعا وحدة جرمكية، فاتجهت الدعوة إلى هذا الحلف القائم بالفعل، وانتهت المساعي والمباحثات إلى عقد معاهدة بين فرنسا وإنجلترا وتلك الدول الثلاث الصغيرة بين دول أوروبا الغربية تدخل في عداد

مواجهة الآراء الشيوعية والمحاولات التي
قد تحيىء عن طريق روسيا للنيل من الأنظمة
الاقتصادية المعمول بها في بلاد الحلف ،
وهي الأنظمة الحرة والأنظمة الرأسمالية .

مباركة الولايات المتحدة

وما إن أعلن التوقيع على تلك المعاهدة
الخاصة بالحلف الأوربي الغربي حتى قام
الرئيس ترومان رئيس جمهورية الولايات
المتحدة ببارك السكتلة الجديدة ويعدها
بالتأييد كل التأييد في خطاب رسمي وجهه
للبرلمان الأميركي ، وفي تصريحات ذكرت

فيها روسيا السوفيتية ذكراً غير طيب ،
ودعيت فيها سائر بلاد أوروبا إلى الانضمام
إلى الحلف الجديد ، بل قيل فيها بصريح
العبارة إن المعونة المالية التي يتضمنها
مشروع مارشال قد تحرم منها البلاد التي
تظفي فيها الشيوعية .

إيطاليا وإسبانيا وألمانيا

والمفهوم أن هذا التهديد إنما يقصد
توجيهه إلى إيطاليا . فالיום الثامن عشر من
شهر إبريل هو اليوم المحدد لأجراء
الانتخابات العامة تنفيذاً للدستور الجديد
وتحقيقاً للبرلمان الجديد الذي ستنبعث منه
الحكومة الإيطالية الجديدة . والمراقبون
للتطورات الإيطالية يخشون أن تكون الكثرة
في هذه الانتخابات إلى جانب اليساريين
من شيوعيين واشتراكيين مؤتلفين .
والولايات المتحدة تنظر تنوراً من انسياج
المبادئ الشيوعية إلى ما وراء « السور
الحديدي » القسائم الآن إلى الشرق من
تريستا وإلى الشرق من إيطاليا ، والمقول
إنها قد تلجأ إلى أخطر الخطوات إذا أسفرت
الانتخابات الإيطالية عن هذه الكثرة ؛
ولذلك فهي تؤثر أن تلجأ إلى تهديداتها المالية
لعلها تقنع بها الإيطاليين كي يتعدوا عن
تأييد الشيوعيين ومن إليهم .

أوروبا بالذات ، بل هي في أقصى هذا
الغرب . وهي معادية للمبادئ الشيوعية
وواقفة عند معاداتها من زمان . وإذا كانت
هيئة الأمم المتحدة قد اتجهت يوماً إلى
مناوأة إسبانيا ونظامها الفاشي ، وأوصت
جميعها العامة بقطع علاقات أعضائها
الدبلوماسية مع حكومة الجنرال فرانكو ،
وأغلقت بالفعل الحدود بين فرنسا وإسبانيا ،
فإن الأمور قد تطورت فيما بعد إلى الحد من
الغضب على الحكومة الإسبانية القائمة ،
وإلى فتح الحدود الفرنسية الإسبانية
واستئناف العلاقات التجارية بين البلدين .
وأغلب الظن أن سيتم في القريب انضمام
إسبانيا والبرتغال إلى الحلف الغربي . وهذا
يتم التمسك من المحيط الاطلنطي وغربي
البحر المتوسط وغربي بحر الشمال .

وكذلك فقد تطورت الأحوال بالنسبة
ألمانيا إلى حيث أصبح أمراً واقعاً أن فصل
بين شرقيها وغربيها ، بين المنطقة التي تحتلها
الجنود الروسية ، والثلاث المناطق التي

وكذلك فإن مجهودات تمذل في سبيل ضم
إسبانيا إلى الاتحاد الغربي . وإسبانيا في غرب

تحتلها القوات البريتانية والأميركية
والفرنسية . والمتنظر أن تعمل السلطات
العسكرية الثلاثية في ألمانيا الغربية لضمها
إلى الحلف الغربي، كما تعمل الولايات المتحدة
على نحو ما تقدم بين الكتلتين .

لكن لا حرب

لكن هذا الانقسام لا يعنى في نظرنا أن
الحرب واقعة لا محالة على حد ما تدعيه هذه
الأيام نذر التشاؤم في كل مكان . فليست
الحرب بين الأمور الهينة التي يقدم عليها
الناس ولما ينقض وقت على الثام الجروح
التي سببتها الحرب العالمية الثانية ، بل لما
تتها فرص الانطلاق من قيود التمهّل التي
فرضها التخريب والتدمير اللذان حلا ببلاد
أوروبا كلها .

وكل ما نستطيع تصوره إنما هو تبيين
الحدود الفاصلة بين المنطقتين المتخاصمتين ،
وتسابق كل منهما في سبيل الاكتفاء
الاقتصادي ، وترك التعاليم وحدها تقناطح
وتتحارب إلى أن تستوى الاستعدادات
فتتطلق إلى انفجار عالمي ثالث أو إلى تغلب
تيار فكري اجتماعي على التيار الآخر ،
فيعود إلى العالم نوع جديد من الهدوء
والاستقرار .

محمود عزمي

شهرة العلم

كوكبنا الصغير

وقد فسرت نظرية بطليموس كثيراً من المشاهدات التي جمعت حتى عصره تفسيراً دقيقاً ، إلا أنها اعتبرت الأرض ثابتة وواقعة في مركز العالم ؛ ولذلك جاء تفسيرها لحركة الكواكب معقداً . وبجمل هذه النظرية أن مسار كل كوكب عبارة عن محيط دائرة يتحرك مركزها على محيط دائرة أخرى مركزها قريب من مركز الأرض ولو أنه ليس منطبقاً عليه تماماً . ولتفسير التغير اليومي المشاهد في السماء من شروق الشمس وغروبها وكذلك القمر والنجوم التي تتحرك بحيث تستعيد موضعها الأصلي في ظرف يوم ، افترض أن الشمس محمولة على سطح كرة مركزها الأرض وكذلك القمر وكذلك كل كوكب من الكواكب الخمسة المعروفة عندئذ ، وأن النجوم تقع على أبعاد كبيرة جداً من مركز الأرض ولكنها متساوية ؛ ولذلك فهي تقع جميعاً على سطح كرة واحدة مركزها الأرض أيضاً ولكنها تحيط بالكرات السابقة كلها ، وأن هذه المجموعة من الكرات المتحدة المركز تدور حول الأرض من الشرق إلى الغرب دورة كاملة كل أربع وعشرين ساعة . وقد امتازت هذه النظرية على ما سبقها من نظريات بقدرتها على التنبؤ بوقوع الظواهر الفلكية بدقة كبيرة .

ولقد ظلت هذه النظرية مئات السنين متسلطة على الأذهان ولا يجرؤ على نقضها أحد ؛ لأن رجال الدين المسيحي في أوروبا نصبوا أنفسهم في العصور الوسطى حماة للتدعيم ، وكانوا يعتبرون محاولة تساؤل

صفة الغرور طبيعة من طبائع بني البشر وقبلما نجد إنساناً خلواً منها ، وغاية ما هنالك أنها تختلف شدة وضعفاً من فرد إلى آخر . من مظاهر هذا الغرور مثلاً اعتقاد الأم في تمييز أطفالها من جميع الأطفال ، وأن الأعمال التي يقومون بها يعجز عنها أمثالهم . كذلك الغرور يؤدي إلى تمجيد الرجل لمنزله أو أرضه أو وطنه . فالعصرى يعتقد أن مصر هي « أم الدنيا » ، والانجليزى لاشك عنده أن جزيرته الصغيرة المحبوبة لاتعد لها بقعة أخرى من بقاع العالم . فلا غرو إذن أن يتوسع الإنسان في هذا قليلاً فيعطى الكوكب الذي يسكنه أعظم أهمية ، فيعتقد كما فعل قدماء اليونان أن الأرض هي مركز العالم ، وأن جميع الأجرام السماوية الأخرى كالشمس والقمر والنجوم تدور حولها في محيطات دوائر متحدة المركز ، وأن الأرض التي لاتتحرك هي مركز هذه الدوائر جميعاً . على أنه كان هناك نفر من الفلاسفة حتى في عصور اليونان القديمة أوسع أفقاً وأعمق تفكيراً ، فهداهم تفكيرهم إلى الاعتقاد بأن الشمس ثابتة وكذلك النجوم ، وأن الأرض والأجرام الأخرى هي التي تتحرك . إلا أن النظرية الأولى كان من معاضديها أرسطو فاكتمست بذلك قوة جعلتها تطفئ على النظرية الثانية وتمنعها من الذبوع .

ولكن المشاهدات التي قام بإجرائها وجمع نتائجها عدد من الفلاسفة والرياضيين منذ القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن الثاني بعده ، مهدت السبيل لظهور نظرية بطليموس في أواسط القرن الثاني الميلادي .

واعترفوا أن الشمس ما هي إلا نجم واحد مثل هذه الآلاف بل الملايين من النقط المضيئة التي قد نراها في السماء بالعين المجردة وقد لا نراها بأقوى المتظارا ، بل إنها ليست بأكبر هذه النجوم ولا من كبرياتها ، وأن الأرض ما هي إلا كوكب من صغريات توابعها الثانية المعروفة عندئذ والتي تدور حولها . واهتدوا بأبحاثهم إلى أن المجموعة الشمسية بأكملها متحركة نحو هدف معين . ولا تختلف آراء تلك الفترة عن الآراء في وقتنا هذا في الجواهر إلا في جهلها بتاريخ العالم ؛ فقد كان يرضيهم تسنين العالم بحوالي ستة آلاف سنة في حين أن الاعتقاد الحالي في عمر الحياة على سطح الأرض وحدها يقدر بنحو أربعمائة مليون سنة . كذلك تختلف في عدم معرفتها أى شيء عن طبيعة الأجرام السماوية ؛ لأن محلل الطيف لم يكن قد اكتشف بعد . أما الآن وقد اكتشف هذا المحلل واستعمل بنشاط عشرات السنوات فقد عرفنا ، أو على الأقل نظن أننا عرفنا ، الشيء الكثير عن تركيب عدد كبير من الأجرام السماوية ودرجة حرارتها وكيفية حركتها . ومن بين ما عرفناه من ذلك أن أقرب نجم لنا يبعد عن الأرض قدر البعد بين الشمس والأرض ربع مليون مرة ، وهذا بعد عظيم حقا متى عرفنا أن الشمس نفسها تبعد عن الأرض ثلاثة وتسعين مليونا من الأميال . كما عرفنا أن كثافة النجوم قد تكون من الكبر في بعضها بحيث تساوى كثافة الماء ستين ألف مرة ، وقد تصغر حتى تصل إلى أقل من جزء من مائة من كثافة الهواء . وغير ذلك كثير بما يشبه العجائب اتضح لنا وما زال يتضح باستعمال الأجهزة الحديثة وتطبيق النظريات الجديدة .

النظريات الخاصة بنظام الكون وأصل الخليفة بالتعديل والتبديل عملا عدائيا ضد الكنيسة والويل لمن يقدم عليه . ولكن هذا لم يمنع بعض كبار المفكرين في العصور المختلفة من الشك في صحة هذه النظرية ؛ لأنها ، رغم قدرتها على تفسير الظواهر الفلكية بدقة كافية ، معقدة تعقيداً كبيراً ، والعلم ديدنه البساطة . ولذلك استغل كوبرنيكس علاقاته الطيبة برجال الكنيسة العليا في أوائل القرن السادس عشر وأعلن عن آرائه بكل حيطة وحذر على أنها محض افتراض ليس غير . وقد نقل كوبرنيكس مركز العالم من الأرض إلى الشمس قائلاً إن الأرض والكواكب الأخرى تسير في محيطات دوائر مركزها الشمس . وقد ظهر في أواخر القرن نفسه فلسكى كبير آخر هو فيكوبراي أفاد الفلك كثيراً في ناحية القياس ؛ فقد قام بتسجيل عدد كبير من الظواهر والملاحظات بالدقة التي كانت تسمح بها آلات القياس في عصره . ومن ذلك الحين أخذ علم الفلك يخطو خطوات سريعة واسعة نحو النظريات الحديثة الحالية في نظام العالم وتكوينه .

واستمرت المشاهدات والظواهر الفلكية تجمع ، وتزداد بذلك المعلومات عن العالم ونظامه ، وتقدمت النظريات المبنية على هذه المعلومات تقدماً كبيراً حتى تغيرت تغيراً جوهرياً ثبتت قياشيت تواضع العالم ، وأن الغرور داء لا يصيب عادة سوى الجاهل إذ ما كاد القرن التاسع عشر ينتصف حتى وصل العلماء إلى نظرية أبعد ما تكون عن النظريات القديمة . فهم لم يكتفوا بالنزول عن ادعاء أن الأرض هي مركز العالم بل إنهم أيضاً نفوا عن الشمس هذه الصفة ،

شهرة السينما

الحياة في سلام (لويس فيلم) (١)

في الأمور أو عنف في تصرفات أشخاص القصة . فهي تصور صورة صادقة أمينة لحياة الريف الإيطالي أثناء الاحتلال الألماني ، وصورة واقعية صافية لحياة هؤلاء الريفيين الذين لا يرومون إلا إلى أن يحيا حياة هادئة مطمئنة . وتسير الأمور كذلك إلى أن يظهر أسيران أمريكيان ، فما يكادان يظهران حتى تضطرب الأمور اضطرابا هائلا يسيرا ، لأن الريفيين يأبون أن يعنفوا بهما فلا يرفضون أن يمدوها بالمساعدة رغم الخطر الذي يهددهم من هذه المساعدة . وهذا الخطر لا يدفعهم مطلقا إلى أن يعنفوا بالألمان . والدافع الوحيد إلى هذا الرق بأولئك هؤلاء إنما هو دافع إنساني نحسب . فهم يساعدون الأمريكيين لأن هذه المساعدة فرض يفرضه شعورهم الإنساني . وهم لا يحاولون أن يقتلوا الألمان لأن هذا القتل ياباه شعورهم الإنساني . وكذلك تسير القصة إلى أن يصل الجيش الأمريكي فتتخذ القرية من محالب الألمان .

وقد أراد المخرج أن يصنع إنتاجه بطابع واقعي ، فلم يلجأ إلى تسديد المأسر وإنما صور ركنا من أركان الريف الإيطالي بأسجاره الجميلة وجباله الشاغرة وحقله الغنية ، وقد ساعدت هذه المناظر على تحقيق جو هادئ لهذه القصة الهادئة . والممثلون أيضا وخاصة ألدو فابريزي

هذا فيلم آخر عن حركة المناوسة في إيطاليا أثناء الاحتلال الألماني . وهو لا يمت بسبب إلى هذه الأفلام الأمريكية التي كنا نشهدها في فترة الحرب الأخيرة والتي كانت تتشابه تشابها دقيقا ، حتى ليخيل إلى من يراها أنها وضعت وفق نموذج خاص . وكانت العناصر التي تألف منها القصة واحدة لا تتغير : فالقصة تقع في ميدان من ميادين الجاسوسية ، أو في ميدان من ميادين نشاط المخابرات ، ونضنعا على ذلك نشط أولئك هؤلاء . وكان الفيلم لا يجبو من خطر عظم يعرض له ستي الأول ولا ينتجج في إلقاءه منه سوى عشيقته . كل هذا كنت نجد في الأفلام جميعها ولا نجد مطلقا صورة واقعية إنسانية هؤلاء الذين جاهدوا في سبيل الحرية . إن القوة والعنف والدمار والقتل والخيانة مجتمعة في هذه الأفلام جميعا في حين أنك لا تجد في الأفلام الإيطالية مع أنها أكثر واقعية من الأفلام الأمريكية .

فيلم « الحياة في سلام » هو من قصص المناوسة ، ولكن من القصص الهادئة التي لا تصور عنفا وإنما كلها يسر وهذوه ورقق . فالحوادث تسير سيرا هادئا بطيئا لا تعنف بالشخصيات بل هي رقيقة بهم كما هم رقيقون بها . فاست لا تقف في أي لحظة من لحظات العرض على اختلاط

الحياة الريفية إبان الحروب الأخيرة . وكذلك سجلت السينما الإيطالية انتصارا عظيما حين أخرجت هذا الفيلم في أسلوب قبيح لم تصل إليه ستوديوهات هوليوود وهي تخرج أفلامها عن ركائز المقاومة .

قد ساهموا بتشكيلهم الطبيعي اليسير الذي رأى بعض ويعد منه كل بعد في النساء عدا حو . فأنب لا بدس متسلف في إتيانهم وتعبيراتهم أنهم بمسود أمام آلة التصوير ، وإنما تشعر شعورا قويا أنهم يميون على الشاشة لحظة من لحظات

المطاردة إخراج جون فورد (ر. ك. و.) (١)

يقتل القس . وما يكاد يقتل حتى يظهر قس آخر ليعيد المأساة نفسها . هؤلاء الذين يريدون أن يقيموا دولا قوية لا دين فيها يريدون أن يحققوا شيئا مستحيلا ؛ لأن الايمان نبتة مغروسة في نفوس الناس ما تكاد تقطع حتى تثبت مرة أخرى . فرجال الشرطة ما يكادون يقتلون قسا حتى يأتي قس آخر يتم عمل من سبقه . هذا هو الرمز . أما الدعاية فهي تقصد دولا بعينها ونظاما اجتماعيا بعينه قد لنظ الدين ورجاله أو على الأصح قد أراد ألا يكون للدين سلطة في الدولة . وإخراج الفيلم رائع هيا لنا مناظر وصوراً جميلة . ويبدو أن الخرج يمس إلى هذا النوع من الصور الذي يجمع بين الظل القائم والضوء القوي ، فيبدو جمال الصورة من هذا التناقض الناشئ بين الظل والنور . كما أنه يعطى الصورة قوة تعبيرية قلما نجد لها في أفلام أخرى . فالخرج حين أراد أن يصور منظر قتل القس قد هيا درجاً مرتفعاً ، يبدو للشاهد في الصورة أنه يصل الأرض بالسما ، أسفله مظلم وأعلاه مضاء إضاءة شديدة . فكان القس وهو يرتقي هذا الدرج يصعد إلى السماء . وهناك منظر آخر

« والمطاردة » فيلم من أفلام الدعاية ، ولكنه من هذا النوع الذي يستر غرضه الأساسي تحت ستار قصة جميلة وإخراج لا تخطئ بتمه إلا من حسن إلى حسن . ويديبه هنا مساكين لونها محبة لأنها قد اتخذت سيلا غير مباشر واستمرت حتى كادت تفوت الشاهد ، فكان أثرها أقوى لخصاه وسيلتها .

إن مشكلة « المطاردة » هي مشكلة الايمان يعرضها علينا الخرج في أسلوب رمزي . فالقس في هذه القصة يمثل الايمان القوي الذي ما يكاد يقضى عليه حتى يبدو أشد ظهوراً . فهذه الدولة التي لم يحدد لها مكان في القصة قد خيل إليها أنها أعدمت القساوسة جميعا لتتحو من الشعب إيمانه بالدين وتنقذه من شعوبة رجاله . ولكنها في الحقيقة لم تكذب خيل إليها أنها قضت عليهم جميعا حتى يتضح لها أن هناك قسا قد أخذ الشعب يلتف حوله . فطنق رجال الشرطة يكافونه بشتى الوسائل وهو يكافهم بوسائله فينتصر عليهم حيناً ويتخاذل أمامهم حيناً آخر . ويستمر هذا الانتصار وهذا التخاذل الذي يعقبهما الحرب تارة والعودة إلى الكفاح تارة أخرى حتى

قد أعقب هذا المنظر وهو قوى التعبير أيضاً :
 ما يكاد يموت النفس حتى يرينا المخرج بعض
 المتدينين قد اجتمعوا في مكان مظلم ، وإذا
 بباب المكان يفتح فجأة ويظهر النفس الجديد
 وقد أغرقه المخرج في ضوء شديد حتى يبدو
 كأنه شبح ، ولسمع هذه الجملة : « أنا النفس
 الجديد ، جئت لأقيم بينكم . »
 ولم يكن التمثيل أقل روعة من الاخراج .
 فدلوريس دلريو ، وكانت تمثل دور قناتة

سجا الليل إخراج بركات (اتحاد الفنانين)

المخرج لم يتح للصورة أن تعبر تعبيراً قويا ،
 واستعان بجوار لم يكن له ثمة فائدة .
 أذكر مثلا المنظر الأخير من الفيلم ، حين
 ترك الزوجان صديقهما المريض وقد عاد
 إلى كل منهما صفاء النفس . فيصور المخرج
 هذا الصديق وهو ينظر من وراء النافذة
 إلى الزوجين وهما يسيران في الطريق يتكلم
 كل منهما على ذراع الآخر كأن كلا منهما
 سند للآخر ، فهذا باله وبماودة شيئا من
 الطمانينة والرضا قبل أن يستسلم للموت .
 وقد يكون هذا المنظر أقوى تأثيراً
 وأكثر تعبيراً لو أنه قد جاء صامتا أولا -
 فهنا مجال للممثل والمصور أن يظهروا قدرتهما
 على التعبير - ولو أن الطريق التي سار
 فيها الزوجان لم تكن طريقاً بعينها وإنما
 كانت مهمة لنشل الحياة . وهذا يؤدي
 بنا إلى أن الصورة التعبيرية في الفيلم
 المصري لا وجود لها ، وأن الحوار هو العنصر
 الأساسي في الانتاج السينمائي . ولكن هذا
 النهج يتناقى مع فكرة السينما في نفسها التي
 هي صورة أكثر منها حواراً . وإذا كان
 صحيحاً أن الفن التمثيلي هو النقل الصادق
 عن الحياة فلا بد أن تبدو القصة التمثيلية

هذا الفيلم المصري الذي اختارته قاعة
 ريفولي الجديدة يسجل انصارا كبيرا
 لصناعة السينما في مصر . فهو رغم قصته
 يثبت لنا أن المخرج المصري يستطيع أن
 ينتج انتاجا فنيا موقفا إن أراد أن يكون
 انتاجه فنيا موقفا .

وأول ميزات « سجا الليل » أنه يغلو
 تماما من الغناء والرقص . والأفلام المصرية
 التي تغلو من الغناء والرقص قليلة .
 فالمخرج هنا قد نجح في أن يهمل هذين
 العنصرين اللذين يعتمد عليهما المخرجون
 المصريون في أفلامهم ، وأن يوجه عنايته
 إلى عناصر أخرى هيأت له أسباب التوفيق
 والنجاح . فقد عني المخرج خاصة باختيار
 مناظر تدل على حسن الذوق وإن كان قد
 أسرف في حشد أثاث كثير في هذه المناظر
 واستعمال آلة التليفون حين يضطر إلى ذلك
 وحين لا يضطر إلى ذلك . وقد عني بالصورة
 أيضا عناية خاصة فلم تات بيضاء كما ألفتها
 في الفيلم المصري عامة ، بل كان فيها شيء
 من الظل جعلها أكثر وضوحا . كما أن
 تصوير الممثلين قد أصاب شيئا من التوفيق
 فلم تبد ملامحهم مضغمة مشوهة . غير أن

الحياة في مصر لا تقدم في كل يوم بل في كل ساعة مأساة عنيفة : فالذين يشقىهم الفقر والفقر والمرضى غير قليلين ، والذين تعذبهم أنفسهم الأليسة غير نادرين . ولكن التصوير الصادق لهذه الحياة قد يسيء إلى المؤلف الذى يأمل أن يكسب من قصته مالا وفيراً ، وقد يسيء إلى الشاهد الذى لا يريد حين يلهو أن يعرف أن هناك أناساً يتعذبون ، فيحمل المؤلف واخرج والشاهد هذه الحياة البائسة وينصرفون . إلى العبث وإذا كان الفيلم قد أصاب توفيقاً كبيراً في الإخراج والتصوير فلم يصب توفيقاً كبيراً في التمثيل . لأن النجاح والاختفاق قد اقتسم هذه الناحية مناصفة : فقد نجح الأستاذ محمود المليجى في أداء دور والد الفتاة ، وأصاب الأستاذ محمد حمدي خطأ يسيراً من التوفيق في أداء العاشق المريض ، على حين لم يتح للأستاذ لى فوزى أن تؤدي دور الفتاة أداءاً صحيحاً صادقاً . فانت أمام مشيتها وإيماءاتها ، وهذه المساحيق التى كانت تعلق وجهها وتفسد من تعبيراتها لا تشعر أنها تمثل دور فتاة من أسرة كريمة .

وبهذا يكن من شئ فهذا الانتاج المصرى يعد خطوة كبيرة خطتها السينما المصرية في سبيل السكال الفنى . ولعله يكون بادرة لنهضة فنية قريبة الحدوث : فكل شئ محتمل الوقوع !

واقعية وصحيحة . أما قصة « سجا الليل » لم تبد واقعية ولا صحيحة ؛ لأن مؤلفها قد عبث بالقوانين التى تسود الطبيعة وتنظمها وتسيرها ، ولأنه قد عبث بالقواعد النفسية في وضع حوادث القصة ، وعبث أيضاً بالقواعد الطبية ليخلق لقصته عقدة منقطة مصبغة . فانت ترى طبيباً شاباً صحيح الجسم قوى البنية يعشق فتاة عشتاً مويماً ، ويحبها حباً شديداً ، والفتاة تبادل له عشقاً بعشق وحباً بهماً . وإذا به في ذات يوم وهو يجرى نحوها ليخبرها أنه سيتزوج بها يكشف فجأة من حيث لا يدري هو ومن حيث لا يدري شاهد الفيلم أنه مريض بالسل ، وأن هذا المرض قد عبث برئتيه عبثاً شديداً وقطع مرحلة كبيرة ؛ لأن الشاب ما يكاد يسعل حتى يبصق دماً .

وحيث أن تضطرب أمور هذا العشق وينقلب نعيمه إلى شقاء متصل ، فيشقى الفتى لأنه قد السبيل إلى تحقيق أمانيه ، وتشقى الفتاة لأنها قد فقدت السبيل إلى الحظوة بمن تحب . ويستمر شقاؤهما ويشدد لأن الفرقة قد جعلت من حياتهما الهادئة المطمئنة حياة قلقة مضطربة . وتسير الأمور كذلك إلى أن يموت الطبيب العاشق تاركاً عشيقته في أحضان صديق له .

فهنا المؤلف قد أغفل ما وضعه علماء الطب من قوانين وما وضعه علماء النفس من قواعد ليسوق إلينا مأساة ضعيفة كان

من كتب الشرق والغرب

IL FAUT DE TOUT POUR FAIRE UN MONDE

ET IEMBLE

لا بد أن نأخذ من كل شيء جانباً ، لننشئ عالماً *

وإن مارسل أرلان الذي امتاز بمقالاته في النقد قبل أن ينال جائزة جونغكور بكتابه *L'Ordre* ، والذي كان يدير قسم النقد القصصى بالمجلة الجديدة الفرنسية *Nouvelle Revue Française* أيام جان بولان ، لقاص قدير يستطيع الحكم على آثاره الأدبية. حد إن الأسر لأسر رجاء نادمه ذى صور متباينة ألوانها ، ولكنها يفضل الضوء المنسكب تطبع في النفس صورة ساحرة غامضة مؤتلفة ألوانها .

« لا بد أن نأخذ من كل شيء جانباً ، لننشئ عالماً . » تلك كلمة سائرة ، تكاد تكون قولاً مأثوراً ، وذلك حق أو على الأقل كل شيء يسير كما لو كان من اللازم أن نأخذ جانباً من كل شيء وبخاصة جانباً من الشر ، لننشئ عالماً . وفي الكتاب ثلاث أقاصيص تحمل هذا العنوان العام : المغسل ، السيد ليونار ، في بيت الأرملة . فهذه الأقاصيص الثلاث تعرض علينا مشكلة الشر المعقدة في صورة حية مهما تباين ما لصادفه فيها من شخصيات ، أطفالاً كانوا أو مراهقين أو شيوخاً . وهو يعرض لهذه المشكلة في تحفظ دون أن يظهر شيئاً من تلك الوحشية التي عودتنا إياها خلال مائة عام القصص المسماة «واقعية» .

عرف قراء «الكاتب المصرى» مارسل أرلان ، حين ترجمت فيه لهذا المؤلف ذى الأسلوب الرائق ، قصتان صغيرتان . وآآن ، وقد قرأت هاتين الأقصصيتين في الكتاب « لا بد أن نأخذ من كل شيء جانباً ، لننشئ عالماً » الذى يضمهما في وحدة أجدها ألا تنفصلا عنها ، فاني أكاد أستشعر الأسف لأن جانباً من جمهور القارئين بالعربية ، قد عرف هذا الكتاب الرائع على ذلك النحو . ذلك لأنى أحسست أن الكتاب (كما يقول مارسل أرلان بحق في مقدمته القصيرة) : « ليس مجموعة من الأقاصيص . فكل أقصصة فيه قد أنشئت وكتبت لتشغل موضعاً معيناً في الكتاب ، سواء أكان ذلك من ناحية المكان ، أو الجو الذى تعيش فيه الشخصيات ، أو موضوع الشخصيات ، أو طرائقهم في الحديث أو حتى من ناحية حجم الأقصصة ذاتها .

«وعنوان إحدى تلك الأقاصيص «لزجاج نافذة» يمكن أن يكون عنواناً للكتاب بأكمله . ذلك لأن تلك الأقاصيص تحاكى تقوش زجاج النوافذ في كنيسة ريفية . ومهما بدت شخصيات سوامعه سيئاً التصرف ، فاني أحس أنها لا تقل كلاً ولا جيشاناً عن أبطال المأسى . »

* كتب هذا المقال خاصة لمجلة «الكاتب المصرى» .

«البحار الحارسة» . ويكتبه «أرض الوطن»
و« زليل الصحراء » و« أجل أيامنا » أخذ
يسلك سبيل الحكمة . فهو راض بحاله في
القرية قريبا من الأرض ، ومن القوم
التواضعين الذي يعملون فيها ، وهو يوائم
بين نفسه وبين الحياة وما فيها من عظمة .
وكما يسود الموت والحياة حياتنا ، كذلك
عم سودان أنصيصه . فيها ترى أنوارا
من الحب : الحب الزوجي المشروع ،
والحب غير المشروع . وفيها تلقى الأرملة
وافتاة الأم . وهناك حتى المرأة المعجزة
التي سموت على قراشها التمس وهي تلد
أول طفل لها . وهناك الخطيبة أيضا ،
خطيبة الشرطي . وهكذا تلقى كل أنواع
الحب . ذلك لأن الريف الفرنسي مربي
دافئ ، تنمو فيه أغرب العواطف . ثم أليس
من الواجب أن تأخذ بطرف من كل شيء
لننشئ عالما ؟

ولا بد أيضا من الموت ، من كثير من
الموت لتصحح ما تؤدي إليه العواطف
العنيفة من أخطاء . لا بد من موت يقدر
عدد الأحياء (١) . والموت في القرية عديدة
صوره ، شأنه في ذلك شأن الحب ؛ فهناك
السرطان ، وعودة الميت إلى مسقط رأسه .
وهناك موت العريد ، ذلك الموت الجميل
في شناعته . وهناك موت المرأة المعجوز
نورين ، ذلك الموت الجميل حقا .
وهناك الدور الذي تلعبه المقبرة في
الأقصوصة « على القبور » . فحيثما نرى
المرأة المعجوز التي لا تحيا إلا بموتها . فهي
تعمل وتنظف وتجلو : « كان الواجب أن
نضم هذه القبور العشرة فتتطوى في قبر
واحد ضخم يسود المقبرة كلها ، فيه كهوف
وعليه صلبان منحوتة ، وغطاء من الرخام

لنحنا لا نكاد نستشعر الواقعية في أنصيصه
وهو لا يذكر القلق الجسدي إلا فجأة
وفي قصد ، وخاصة في أقصوصة « المغسل »
فيصل بذلك إلى التأثير في نفوسنا . وربما
استطعنا ووجب علينا أن نقول إن هذه النظرة
لعالم الشر لا تتفق وبدأ الكاتب المسيحي
الذي لا يستطيع مطلقا أن يوائم بين نفسه
وجسده . وفي الحق أنه مهما خفت مسيحية
أرلان فانه لا يستطيع بنظرته إلى الشر ،
أن ينكر إلى أي حد تحيا الأخلاق المسيحية
المجردة من المراسم لدى أكثر الفرنسيين
حرية في الفكر . ذلك لأن من يعيش مثله
في القرية ويعرف الريف يجد مظهرها آخر
من مظاهر الشر والخطيئة لا يقل عن
غيره عنفا ، ألا وهو حال الأجراء حين
تقارن بحال المزارعين ، أو حال المالك الذي
يحنى غلات لوز تزرعها أيد كليلة خشنة
تكاد تشلها حركات العمل . وهناك أخيرا
« الخبراء المهندسون » الذين يتطفلون على
الأجير والمالك معا ، ودارهم التي تعد مع
دار صلب القرية وكنائس واصبدي ،
أرفع دور في القرية ، لا تقوم إلا على عرو
الملاح . فدا انتبه من ذكر ذلك اسخط
المهام (وما رسل أرلان يقول ، دون أن
يذكر سببا ، حتى لو تغير نظام الأرض
فإن عواطف أهل الأرض لن تتغير كثيرا
أوقليلا) . فلنعترف أن لهذا الكتاب مزايا
تجعله من خير ما كتب أرلان .

لقد بدأ كالجريح بأن ثار على النظام
الاجتماعي ونظام العالم (كتب L'ordre
عام ١٩٢٩) ، ثم فعل ما يفعله كل من
يقدر أن نفسه فاستشعر إغراء المطلق من
الاشياء ، واتمس في حب الزوجين ربا
إنسانيا لماعفته الملائكية . فأخرج

(١) «الأحياء» هو أيضا عنوان كتاب لمارسيل أرلان .

فأربعا ليختطف من يدي حبيبته السم الذي كانت توشك أن تتناوله . نعم ! لم يكن صاحبنا شرطيا عاديا . لقد كان رئيسا « لنقطة » البوليس . فالرحمة الالهية تتدارك إذن أكثر الناس تواضعا . وزيادة على ذلك فهناك الله ليساعد القرية ، هناك عدالة الله . فعند ما تموت عشيقته باشوم شر ميتة ، تقول القرية : « هذا عدل الله » . وعند ما يلعب ميزار مع منافسه دورا قذرا ، يقولون : « نعم هناك عدالة في الحياة » . « فإذا أصابت الصاعقة اينما بارا في الرابعة والعشرين ، صاح القوم : « الموت يذهب بخيارنا » ، وتلك إرادة الله . وهذا لا يمنع لحسن الحظ أن تبلغ نورين التسعين وتتجاوزها . أليس الله عادلا ؟

فلا يأس لدى هؤلاء الناس ، وحياء الكاتب يضيف على تلك الأقاصيص المرحمة المكشوفة تقريبا « زواج قيصر » ، « الغرفة » *La Chambre* شيئا من التحفظ والونام والسلام ، وجوا من الشعر أحيانا مما يتيح لكل شيء أن يكون مستساغا .

كلا ! ليس هذا العالم يائسا ، إنه عالم ينتظر شيئا ما ! أى شيء ؟ ينتظر عالما آخر إن شئت ، ينتظر ذلك الفردوس القاني قليلا قليلا حيث لم تستطع نورين — بعد أن بلغت زوجها الميت ولا حظت أنه ما زال يمشى وهو يضغط حذاءه — أن تجعل صوتها يصل إلى مسامع رجلها : « وكانت قد نسيت ما تريد أن تقوله . ذلك لأنه لم يبق في وضوح النهار من تلك المعجوز الضئيلة التي ماتت في أول الصباح ، إلا شبحا إنسانيا ضئيلا ، متوترا بعض الشيء ، قبيحا شيئا ما ، شبحا أخذ يشحب ويذوب محم اختفى . »

تعلوه الشاعل والتيجان الخالدة وأزهار الكريزانتيم . عندئذ تستطيع تلك المعجوز أن تؤدى في كرامة ، صلاتها الأليمة من أجل الموتى ، تلك الصلاة التي فنيت فيها . قبر ضخم تجد فيه الأسرة كلها ملجأ آمينا . الأسرة كلها حتى أنسابوها : زوجة الابن مثلا . لا أحد يرجو لها شرا . ولكن المسكنة رقيقة الصحة . والابن الأصغر حين يحين حينه ، بعد عمر طويل (مهما بلغ به العقوق فسندفنه كابن من أيتاننا) . والابن الأكبر مع شديد الأسف ، فذلك أمر لا بد منه ، الابن الأكبر ، رئيس الأسرة . قبر ضخم فخيم تكمل فخامته بموتها هي .

العمل ، والحب ، والشر ، والموت ، وفتيان يموتون في ريعان شبابهم ، وكهول يهربون وهم في عبثهم الصباني ، وخيار ومتوسطون وأشرار . جانب من كل شيء ننشئ ذلك العالم : عالم قرية فرنسية . ويقول مارسل أرنولد : « والعالم الذي ينشئه كل أولئك قد يبدو محزنا شيئا ما ، ومجازفاتهم ومصابيرهم قد تكون قاسية شيئا ما . ولكن هذا العالم رغم كل ذلك لا يدعو إلى اليأس . » وذلك صحيح ؛ أولا لأن مارسل أرنولد يدعو في إبراز ناحية الرحمة الالهية في كل حياة يعرضها مهما كانت متواضعة ، تلك الرحمة التي تتدارك الحياة فتتقدها . وانظر إلى قصة ذلك الشرطي الخشن الذي خطب فتاة أحببت شخصا آخر كان قد اختفى ، وانظر إليه حين يذهب في الليلة السابقة للزفاف ، يدفعه نداء تلك الرحمة الالهية التي همست في أذنه « حان الوقت أيها الشرطي فأسرع » فإذا بهذا الخشن الثقيل يقفز درجات السلم أربعا

من وراء البحار

دولتا الهند وباكستان

بينهما ، ويبدو بالنظرة العابرة أنهما يسيران في الطريق التي سبقتها اليها الصين ، وهي طريق الفوضى والتعاسة ؛ ولكننا نرى في الدولتين الحديثتين قوى روحية كبيرة بادية للعيان .

ثم أخذ المؤلف يبحث الموقف في الدولتين فيما يتعلق بالمسائل الداخلية ، ثم بالعلاقة بينهما ، ثم لظرفهما إلى العالم الخارجي .

ففيما يتعلق بالحالة الداخلية يمكن أن يقال إن بريطانيا نجحت أثناء حكمها في تثبيت دعائم القانون والنظام في الهند ، ويمكن أن يقال إن الحال في الدولتين مرضية بالنسبة للقانون والنظام ؛ فإن إدارة البوليس تسير في عملها سيراً طبيعياً بالرغم من المشاكل العديدة الناشئة عن إيجاد الدولتين وتنقل السكان . وفي مدينة كبيرة مثل كلكتا نجد أن الحالة تفضل بكثير ما كانت عليه منذ سنة حين كان لا يمضي يوم دون وقوع حوادث واضطرابات ؛ ويعزى الفضل في ذلك للزعيم غاندي ، ولكن إذا نظرنا إلى أن اللجنة التي تضع الحدود بين الدولتين قررت منح هذه المدينة لدولة الهند بالرغم من مطلب المسلمين ، فانه من المنطقي أن نعزو الفضل للمسلمين بالقيادة الرشيدة للسيد نجاتي وسهراوادي .

وفي مدينة كراتشي عاصمة باكستان أمكنت المحافظة على الأمن ، ولو أن الكثيرين من الهندوس هاجروا منها خوفاً من أن يكون لحوادث البنجاب صدى في نفوس أهل السند .

درج الكتاب البريطانيون الذين يعالجون المسائل السياسية منذ إنشاء دولتي الهند وباكستان على النظر إلى مشاكل الهند بنظرة أقرب إلى التشاؤم . ولكن سير بوسغال جريفيث ، وهو المستشار السياسي لاتحاد الهند وبورما ، ينظر غير هذه النظرة في مقال كتبه أخيراً بعد أن عاد من زيارة لدولتي الهند وباكستان ، ونشرته له مجلة القرن التاسع عشر في عدد فبراير . وقد بدأه بلوم الكتاب المتشائمين الذين يرددون القول بأن الهند القديمة صارت حرة الآن ، ولكن السلم البريطاني زال عنها ، وصارت البلاد منقسمة ولا يمكن إنساناً أن يخترق ظلام المستقبل .

وهو يرى أنه يجب أن تعكس هذه الأقوال ، فيقال إن الهند القديمة منقسمة ، والسلم البريطاني قد زال عنها ، والمستقبل غير أكيد ، ولكن دولتي الهند وباكستان يتمتعان بالحرية وفيهما روح جديدة ، وقد استيقظت في نفس الشعب الرغبة في العمل والاصرار على أن تكون البلاد عظيمة . فهو يرى أن العزيمة ماثلة في الدولتين ، وأن المراقب العادل لا يستطيع إلا أن يرى مثل هذه العزيمة في زيارة قصيرة إلى كراتشي ودلهي عاصمتي الدولتين ، وأن المرء إذا تجاهل هذه العلامة قاله في هذه الحال سيخطئ في قراءة الحاضر والمستقبل لهذه البلاد . أجل ! إن العلام الخارجية لا تبعث على الرضا ؛ فاهند وباكستان تكادان تكونان في جالة حرب ، والانفصال الاقتصادي تام

ومن المشاكل الرئيسية في الدولتين تدير الموظفين الذين يصلحون لتولى أعمال الإدارة؛ فان الدولتين تجدان نقصاً كبيراً في إيجاد الرجال المدربين على الأعمال .

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين الدولتين فان الأمور على أكبر جانب من التوتر . فباكستان تشكو من أنها لم تعامل معاملة عادلة في تقسيم أداة الحكم، وإن دولة الهند لم تقم بتعهداتها فيما يتعلق بتبادل الأدوات الحربية ، وقد استعملت القوة في جوناغادة وكشمير .

وتنكر دولة الهند على باكستان حقها في قبول ضم جوناغادة ، لأن أكبر أهلها من الهندوس ، ولأن مركزها الجغرافي لا يسمح بذلك . وتبدو هذه التهمة غريبة من الهند التي ضمت إليها كشمير وهي البلاد الإسلامية . وتزعم الهند بأن باكستان شجعت القبائل على غزو كشمير ، وأنها بالرغم من الاتفاقات فرضت رسوماً على الخيول الذي ينقل من شرق البنغال إلى مدينة كلكتا .

ويتناقش أهل الدولتين في هذه الخلافات ليلاً ونهاراً . وتعتقد دولة باكستان أن دولة الهند ستحطمها إذا استطاعت . كما يعتقد الكثير من رجال دولة الهند أنه كان من الواجب عدم اقرار تقسيم البلاد إلى دولتين . ولكن مما يبعث على الرضا أن المفكرين في الدولتين أخذوا يشعرون بأنه إذا لم يستطع الوصول إلى اتفاق بينهما فلا بد من وقوع كارثة ، وبأن مشكلة حماية الحدود الهندية في الشمال الغربي ، وهي مشكلة شغلت بريطانيا دائماً في الهند ، قد يصعب حلها إذا لم تتفق الدولتان . غير أن هذا الاتفاق معلق على معالجة مسألة كشمير .

فانه عند ما صدر قانون الاستقلال الذي

أما في البنجاب فان مسألة القانون والنظام ذات علاقة وثيقة بالمهجرة الكبيرة للسكان . وليست هنالك أرقام معلومة غير أنه يقدر أن ثمانية ملايين من السكان ، يكادون يكونون جميعاً من المسلمين والسيخ يرحلون عن ديارهم في اتجاهين متضادين . وإيواء هذا العدد الضخم من الأهالي مشكلة كبيرة جداً لم تحل إلى الآن، غير أن انسحاب السيخ من غرب البنجاب يكاد يكون تاماً ، كما أن انسحاب المسلمين من شرق البنجاب كاد يتم ، وانتقلت المسألة من حيز القانون والنظام إلى حيز العلاقات الدولية .

وللسيخ مسألة أخرى ، هي أنهم تجمعوا في قسم من البلاد صغير نسبياً يمتد من الشمال الغربي للهند إلى بلدة أسرتزار . وهم شعب مقاتل شديد المراس ، ويبلغ عدده نحو ستة ملايين ، وهو الآن يشعر حاققاً بمركزه كإقلية ، ولا يزال يذكر المملكة التي أقامها في القرن التاسع عشر . وسيظل هذا الشعب مبعث القلق لدولتي الهند وباكستان . وقد ظن في وقت من الأوقات أنه لا يهدد غير باكستان ، أما الآن فقد وضع الجميع المفكرين من الهندوس أن خطر هذا الشعب يشمل الدولتين .

ومن الأخطار التي لها تأثير في الحالة الداخلية للدولتين خطر الشيوعية . وليس من السهل معرفة المورد الذي يمد الحزب الهندي الشيوعي بالنظريات والأسوال . وقد يقال إن اتجاهات هذا الحزب تختلف أحياناً مع نظرة الروسيين ، ولكنه يبدى من الحماسة ما تبيده الأحزاب الأخرى في الهند . ولا شك في أن حزب المؤتمر سيعمل للقضاء على الحزب الشيوعي . ولكن هذا العمل سيتطلب مجهوداً كبيراً ولا يمكن التكهّن بنتيجته .

في ولاية كشمير . ولكن كيف يكون هذا الاستفتاء ؟ إنه لو قصر على أصحاب الأملاك فانه يعطي الهندوس نسبة غير عادلة ، في حين أنه سيكون من الصعب إجراء استفتاء عام بين أفراد الشعب . ومن المؤكد أن القبائل الغازية لن تهتم أى اهتمام برأى هيئة الأمم المتحدة ولا بتبنيحه الاستفتاء . وفضلاً عن ذلك سيكون من أصعب الأمور طرد هذه القبائل الغازية إذا لم تتعاون دولتا الهند وباكستان .

فالدولتان إذن في حالة تكاد تكون حرباً . وسيتوقف على حل هذه المشكلة وقرار هيئة الأمم أمر السلم في آسيا أيسر أم يضطرب .

ومع ذلك إذا اتجهنا إلى علاقة الدولتين بالعالم الخارجي نجد نوعاً من التوافق بينهما . فلقد تحولت الأفكار في الهند حين كان يقطن الزعماء أنه من المستطاع الابتعاد عن الدول العظمى . وبدأ الزعماء يشعرون بأن من الواجب أن يتعاونوا مع إحدى الكتلتين العظيمتين اللتين انقسم إليهما العالم . وأخذ زعماء الدولتين يعدلون عن الكراهية للبريطانيين ، ويرون أن من الواجب عليهم التفاهم مع بريطانيا في الأمور الاقتصادية وأمور الدفاع . وكان من المستطاع أن يتم ذلك في سهولة لو قررت الهند الدخول في مجموعة الدول البريطانية ذات المصلحة المتحدة . أما إذا اجتازت الهند غير ذلك الاتجاه فيجب عليها وعلى بريطانيا أن يجيدا مع ذلك سبيلاً آخر للتعاون .

ومما يلاحظ أن دولة باكستان دولة لم تستعمل مواردها ، وأن سياستها قائمة على الإسراع في ترقية الصناعة بها . وهي تحتاج إلى الخبراء في الصناعات وإلى الآلات، وهي تأمل أن تحصل عليها من بريطانيا . لذلك ينتظر أن تكون علاقتها ببريطانيا وثيقة .

أشأ دولتي الهند وباكستان، تحالت الولايات الهندية الأخرى من ارتباطها ببريطانيا ، وصارت حرة في الانضمام إلى إحدى الدولتين أو البقاء مستقلة عنهما . وكان من الواضح أن تتخذ كل ولاية قراراً مراعية الدين والموقع واتجاه الحاكم فيها ، وفي ولاية كشمير . زبد انضمامها لباكستان . فسكان ولاية كشمير ثلاثة أرباعهم من المسلمين ولو أن بها مساحات تقل نسبة المسلمين فيها عن ذلك ، ثم المواصلات بينها وبين باكستان مهيأة وقريبة في حين مواصلاتها مع الهند سيئة . على أن الحاكم هندوسى ولا يرغب في الاتصال بدولة باكستان . وقد بدت علامت تدل على رغبة هذا المهرجا في الانضمام إلى دولة الهند . فاستاء رعاياه من ذلك وأخذوا يجارون بالشكوى . وانهز بعض القبائل الفرصة فغزوا كشمير واتحدوا مع السكان لمقاومة رغائب الحاكم الذى طلب المعونة من الهند . وبالرغم مما قيل من قبل بحق الشعوب في تقرير مصيرها لبت الهند تداءه وأرسلت جنوداً إلى كشمير ، كما أرسلت أحد المسلمين المؤيدين لها ليساعد في تهدئة الخواطر . وقيل إن الاحتلال وقى ، ولكن العالم الحديث لا يؤمن بمثل هذه التصريحات ، وأبى مسلمو باكستان ومسلمو كشمير أن يصدقوا هذا التصريح .

ومما لا شك فيه أن حكومة الهند لم تقدر الصعوبة الحربية التى سوف تواجهها حق قدرها . فان القبائل الغازية زادت من قوتها سريعاً وانضم إليها السكان، وصار من أصعب الأمور تموين الفرقتين اللتين دخلتا كشمير مع ما يصيب المواصلات السيئة في الشتاء . وهذه هي المسألة التى تعرض الآن على هيئة الأمم المتحدة .

وسيكون حل هذه المسألة من الصعوبة يمكن، وسيؤدى في الغالب إلى إجراء استفتاء

وإذا لم تجد المساعدة السريعة من جانب البريطانيين فإذا يكون أمامها غير التحول إلى الجانب الروسي؟ ربما ترددت بريطانيا في هذه المساعدة الآن مراعاة لشعور دولة الهند في الموقف الحاضر . ولكنها في رأى الكاتب تحسن صنعا وتكون حكيمة لو قدمت كل ما يمكن من معونة للدولتين الناشئتين .

الحالة الاقتصادية في بلاد الجزائر

١٩١٤ ستة وعشرين ألفاً . وهم يمتلكون اليوم ثلث الأراضى القابلة للزراعة في الجزائر . وذلك ما يقدر بمليونين ونصف مليون هكتار . وهم يستخدمون من المال العرب نحو مليون في شطر من الموسم . ولكن يجب أن نعرف بأن الكثير من هذه الأرض كان غير صالح للزراعة ، وأن مجهود المستعمرين في رأى الكاتب قد زاد من ثراء الجزائر ، وصار عاملاً حيوياً في الحياة الاقتصادية .

ويمكن أن يقال إن زراعة الأعناب في تلك البلاد هي زراعة أوربية . فقد بلغت الأراضى المزروعة أعناباً أربعاً ألف هكتار ، وهي تؤلف نصف لصادرات . وإذا كانت المساحة المزروعة أعناباً قد خفضت الآن قليلاً فانها لا تزال كبيرة الأهمية بحيث يمكن في الأزمنة العادية أن يشتري بما تربحه نحو ١٢ مليون كوتنال من الحبوب في السنة . مع أن هذه المساحة نفسها لو زرعت حبوباً لما أخرجت غير مليونين في السنة . وهذا يؤدي إلى عطلة عدد كبير من العرب عن العمل إذ أن زراعة الأعناب تحتاج إلى اليد العاملة أكثر من زراعة الحبوب .

وفيما يتعلق بزراعة الحبوب نفسها فإن العرب يستعملون طرناً عتيقة ، ثم إنهم لا يمتلكون الآن غير الأراضى الضعيفة . ولكن يلاحظ أن الزيادة في زراعة القمح

استعرضت مجلة « العالم اليوم » البريطانية في عدد فبراير، الحياة الاقتصادية والسياسية في بلاد الجزائر . وقالت إنه لكي يستطاع فهم العوامل التي أدت إلى ما يصفه الفرنسيون بالمرض الجزائري ، يجب أن نعرف أن هذا المرض نشأ عن عدة عوامل سياسية واقتصادية قصيرة الأجل أو بعيدة الأجل . وقد تجمعت هذه العوامل التي لم يسبق لها مثيل في السنوات الخمس الأخيرة ، فأحدثت من التماسه واضطراب النفس ما لا يمكن تفسيره تفسيراً واضحاً إلا يبحث هذه العوامل المتشابكة .

ولننظر إلى العوامل الاقتصادية الطويلة الأجل أولاً مع أن هذه العوامل لم تقدر حتى قدرها إلا أخيراً . وأهمها أن ضغط السكان قد ازداد على الأرض . وكان من نتيجة ذلك أن نصيب الفرد من الحبوب ، وهي الغذاء الرئيسى لأهل البلاد ، قد نقص باستمرار . فبينما كان الفرد في سنة ١٨٧١ يصيبه في السنوات العادية نحو خمسة كوتنال من الحبوب صار لا يأمل في سنة ١٩٠٠ في أكثر من أربعة كوتنال . وفي سنة ١٩٤٤ في ٢٥ كوتنال واليوم لا يطمع في أكثر من اثنين .

وإذا بحثنا عن السبب في ذلك تبين لنا أن السبب هو وضع يد المستعمرين الأوربيين على شطر كبير من الأراضى المزروعة . فقد بلغ الملاك الأوربيون بين سنتي ١٨٣٠ ،

بفرلساء، وسبب وجود جيوش الحلفاء تضخماً في العملة . فصار العمال الذين يتناولون أجراً قليلاً غير راغبين في العمل لأنهم يجدون في السوق السوداء عملاً أكثر ربحاً . وقد يقال إن جيوش الحلفاء كانت تستخدم عمالاً تدفع لهم أجوراً باهظة . ولكن ذلك زاد سوء الحالة بعد مغادرتهم للبلاد . ثم إن تجنيد الكثيرين من السكان الأوربيين والعرب قد أضعف من الأيدي العاملة في الزراعة ، وبدأت الحالة إلى الخسبات والوقود وآلات الزراعة تتجمع وتزداد وضوحاً .

وفضلاً عن ذلك أصيبت البلاد بالقحط فيما بين سنتي ١٩٤٣ ، ١٩٤٥ . وكان القحط في سنة ١٩٤٥ أسوأ ما عرف منذ سنة ١٨٥٦ ، فكان المحصول ٥ ملايين كوتال وكان في العادة ٢٠ مليون كوتال . وجاءت المساعدة من أمريكا والشرق الأدنى ثم من فرنسا بعد الحرب . ولكن المجاعة انتشرت بالرغم من ذلك ومات الكثيرون من أهل البلاد جوعاً حتى في المناطق الغنية ، وبلغت الخسارة في المواشي ٩٠ في المائة .

ويجب أن نقدر هذه الظروف عند ما نبحث في الاضطرابات التي تحدث في بلاد الجزائر ، لاسيما تلك الاضطرابات التي حدثت في بلدة ستيف في ٨ مايو سنة ١٩٤٥ ، وهي اضطرابات لم يعرف كيف نشأت . ولكن يظهر أن موكباً كان يسير نحو النصب التذكاري للحرب وهو يحمل راية وطنية ، فأراد أحد رجال الشرطة أن يقتلها من يد حاملها فأبى تسليمها ، فأطلق رجل الشرطة النار ، فسبب ذلك اضطرابات امتدت إلى البلدان المجاورة . وتقول المصادر الرسمية الفرنسية إن ١٠٠ من الأوربيين و ١٥٠ من العرب قتلوا ، على حين صرح

التي ارتفعت بين سنتي ١٩٠١ ، ١٩٣٩ بالرغم من استيلاء زراع الأعناب على الأرض الجيدة في الشمال ، هذه الزيادة كانت بمجهودات الأوربيين ؛ فإن العربي لا ينتج في المتوسط غير أربعة كوتال للهكتار الواحد بينما ينتج الأوربي ثمانية . فيظهر من ذلك أن الاستيلاء على أراضي الأوربيين لا يحل مشكلة ضغط السكان على الأرض وإن كان من المؤكد أن الالتجاء لطريقة الزراعة قد يخفف من هذا الضغط . فالمشكلة في اتساعها وفي عجلها أكبر من أن تحل بمعالجة مسألة المستعمرين ، وإنما هي ناشئة من نمو السكان نمواً كبيراً حتى بلغوا ثمانية ملايين ، فكانت زيادتهم نحو مائة وثلاثين ألفاً في السنة تحت حكم الفرنسيين . ويعزى ذلك إلى العناية بالصحة والأمن . وليس من وسيلة للقضاء على هذه المشكلة غير حسن زراعة الأراضي لزيادة إنتاجها .

هذا هو المشكل الاقتصادي الأساسي في الجزائر ، ولكن السلطات الفرنسية لم تتبينه إلا بعد كوارث الحرب ، ولم يبذل أي مجهود فيما قبل الحرب لمعالجة هذه المسألة . حتى إن فرنسا كانت تتخلص من قمحها بوسائل غريبة حين يزيد المحصول لديها دون أن تفكر في حاجة بلاد الجزائر .

ولكن الحالة ساءت بين سنتي ١٩٤٠ ، ١٩٤٥ إذ كان المحصول رديناً في الجزائر وصار الموقف خطراً بسبب الحرب . على أن الحالة إلى سنة ١٩٤٣ لم تكن سيئة للغاية بالرغم من استيلاء الإيطاليين والألمان على بعض المحصول بتعليمات من لجنة الهدنة بين الألمان وفرنسا ؛ فإن المحصول كان غير ردي ، وكانت التجارة مع فرنسا متصلة . ولكن بعد نزول الحلفاء في نوفمبر سنة ١٩٤٣ ساءت الأمور ، إذ وقف الاتصال

بأن الجزائر تظل ولاية من ولايات أرض فرنسا .

ويقول الكاتب إن ما يطلبه الجزائريون المسلمون والشيوعيون والاشتراكيون مع اختلاف بسيط في التفاصيل ، هو أن تقوم حكومة مسئولة حقيقة في تلك البلاد ، لها سلطة تنفيذية ، يقوم بها رجال منتخبون وخاضعون لجمعية تنتخب بالأصوات العامة . أما ما يقضى به القانون الحالي فهو زيادة تمثيل المسلمين في الجمعية المالية الحالية التي تتألف من ١٢ عضواً يقسمون بالمساواة بين الأهالي المتجنسين بالجنسية الفرنسية وغير المتجنسين . وهذه الجمعية هي جمعية استشارية ، ولا تزال السلطة التنفيذية في يد الحاكم العام المسئول أمام الحكومة الفرنسية والبرلمان الفرنسي وحدهما .

ولاشك في أن هذا القانون قد زاد من كراهية الجزائريين للنظام القائم هناك ، فاتفقت كلمة الأحزاب . وسيظهر المستقبل إلى أي حد يتجهون في تحقيق رغباتهم .

عزام باشا أخيراً لماسل «نيويورك هيرالد تريبون» أن عدد القتلى من العرب يقدر بنحو ٢٠ ألفاً إلى ٣٠ ألفاً ومن الفرنسيين ثلثائة . ويظهر أن الفرنسيين استعملوا شدة متناهية ، ولكن هذه الفظاعة وقعت الثورة .

وقد استعرض الكاتب بأسباب مطالب الأحزاب الوطنية فيما قبل الحرب وما حدث لها من تطور فيما بعد الحرب والمناقشات العديدة والمشروعات التي قدمت للجمعية الوطنية الفرنسية إلى أن وضع القانون الجديد لبلاد الجزائر ، وهو الذي وافقت عليه الجمعية الوطنية في أول سبتمبر سنة ١٩٤٧ بعد خمسة عشر يوماً من مناقشات عمادة . ولم توافق أحزاب اليمين على هذا القانون بل أعطوا أصواتهم ضده . وامتنع من الموافقة عليه الشيوعيون والجزائريون المسلمون الذين غادروا الجمعية ورفضوا الاشتراك في المناقشات حين قرئت المادة الأولى منه . وهي تقضى

اللغات واتصالاتها

لغة من اللغات فضلاً عن اللغة نفسها . فالطالب الذي يدرس الفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية أو أية لغة أخرى يطلب منه أن يدرس منشآت الشعب الذي يدرس لغته وعاداته ، وأن يضيف إلى معرفته بقواعد تلك اللغة معرفة بتفكير الذين يتكلمونها . ولقد صارت معرفة اللغات اليوم كبيرة الأهمية أكثر من قبل لأن اختلاف اللغات هو من أكبر الموانع للاتصال والتعاون بين الأمم . ولكن اللغة نفسها ليست إلا جسراً ومعرفة اللغة الأجنبية معرفة سطحية غير كاف لعبور هذا الجسر

كانت مجلة «بريطانيا اليوم» قد أثارت منذ مدة موضوع نقل الكتب من لغة إلى لغة ، ونشرت في ذلك مقالين للاستاذ أليسون كيرز . وقد جاءتها رسائل مختلفة من دول عدة تصف ما يجري عليه العمل في نقل الكتب في تلك البلاد .

وفي عدد فبراير أشار رئيس التحرير إلى هذه الرسائل في مقاله الافتتاحي . فكتب واصفاً ما جاء في رسالة طالب لمساوي . وقد ذكر هذا الطالب أن التمساً تعلق أهمية عند تعليم اللغات الأجنبية على أن يعرف الطالب التمساً الموضوعات التي تعالجها

أوعطف مع أولئك الذين يعملون لتقارب
بني البشر . وليس من المستر أن تكون
أكثر الناس ممن يتقنون لغتين أو أكثر .
ولكن أولئك الذين يتقنون أكثر من لغة
سيكونون جسراً يصل بين الأمم ، وسيشجعون
غيرهم على دراسة آداب الأمم الأخرى
وقوانينها وفلسفتها وعاداتها مما يقرب بين
الأجناس المختلفة . فاهمية دراسة اللغات في
عصر يزداد فيه التقارب بين الأمم لا يمكن
أن يتكرر أو يهمل ، ولكن من الأخطار
الأخرى التي يجب أن نشبه إهمالها
يشرفون على الثقافة الحديثة ، هو ذلك الخطر
الناشئ من الاغراق في التخصص . ولا شك
في أن التخصص ضروري . ويجب أن
يتقن الكثيرون العلم بالمدارس والجامعات ؛
لأن العلم يصل الكثير من المشكلات
الضرورية في هذا العصر . ويجب أن تلقن
الكثير من الاقتصاديين ، إذ بغيرهم
لا يمكن إنقاذ العالم من المشاكل الاقتصادية
التي وقع فيها . ولكن العلوم والاقتصاديات
لا تعيش بمفردها . ويجب لكي يكون لها
وجود أن تكسوها الآراء البشرية
والعواطف . وإذا كان الجنس البشري يخضع
الآن للعلماء والاقتصاديين ، فيجب أن
يكون هؤلاء العلماء والاقتصاديون أكثر
من ذلك على علم بالانتماءات الانسانية ،
ولا تقتصر دراساتهم على التخصص وحده .
فالمشاكل التي أمام العالم الآن هي مشاكل
انسانية ويحتاج حلها إلى العلوم . ولكن
العلوم لن توفق لحلها إلا إذا دخل في
تقديرها الألوان المختلفة للطبيعة البشرية .

وقد يكون كافياً للضرورات القصوى في
السحارة والساحه ، ولكن لا تكون أداة
للاتصال وتخدم الغرض منها إلا إذا كانت
تؤدي لتكلمها أو كتابتها إلى الاتصال بعقول
أهلها وشعورهم .

وليست الموانع التي توجد بها اللغة هي
موانع لقوية لحسب . فلقد ظهر أن صفات
شعب من الشعوب تجعله يتخذ شكلاً خاصاً
في لغته ، وأن المرء لا يعرف هذه اللغة حق
المعرفة إلا إذا وقف على الشعور الاجتماعي
للشعب الذي يتكلم هذه اللغة ، وأنه لا يكون
قد وقف على خباياها إلا إذا تشرب
طريقة التفكير عند هذه الأمة ، وليس ذلك
يسهل ولا مستطاع ، ولكنه المثل الأعلى
الذي يربى إليه متعلم هذه اللغة . فاللغة
إذن ليست حائلاً بين الأمم لأنها تمنع
السحارة وسياحه . بل لأن اختلافها تدل
على اختلافات في التفكير والشعور . ويجب
أن تفكر لشعوب هذا الاختلاف حتى قدره
إذا كانت تريد أن تكون علاقاتها حسنة مع
الأمم الأخرى .

وقد يحدث أن يوجد أشخاص ذوو لغتين
وهم أناس يستطيعون عند تغيير لغتهم أن
يغيروا من تفكيرهم عند استعمال اللغة التي
يتكلمونها .

وليس معنى الاتصال الدولي الحقيقي هو
القضاء على الاختلافات في العقلية . فان
لكل أمة شخصيتها كما أن لكل فرد
شخصيته . ولكن كل ما يراد ألا تنطوي
الأمة على نفسها وتمنع وصول ضوء إليها من
الخارج ، ولا تحاول أن يكون بينها تفاهم

ظهر حديثا

البيت النبوي للأستاذ محمد الصادق حسين بك (دار الكتب - مصر)

خلاصتها مترددا بين وزارات الحكومة غارقا في أمور المال والحساب .

ولكنك تمضي في القراءة فتفجؤك خصلة أخرى يمتاز بها هذا الكتاب ، وهي أن كاتبه لم يقبل على كتابته متأثرا بما يتأثر به الباحثون من حب الاستطلاع الخالص الذي يجعل الباحث موضوعيا ، ليس لعواطفه ولا شعوره تأثير قليل أو كثير فيما يستقبل من البحث ، وإنما هو إلى دقته واستقصائه وحرصه الشديد على أن يتحرى الحق ويلتزم متاهج البحث التاريخي الصحيح ، قد دفع إلى بحثه هذا بعاطفتين كريمتين : إحداها حبه لأقليمه الذي نشأ فيه ، وهو إقليم المنوفية .

والآخر حبه لوطنه وتبعه لدعوة الإصلاح في هذا الوطن ، وتبعه من أجل ذلك لما يختلف على مواطنيه من ألوان الضعف والقوة ، وفنون الاخطاط والرق ، وضروب الحمود والنشاط . فهو يدرس في هذا الكتاب أسرة مصرية من أسر المنوفية عاصرت دولتي المليك ، وأعجبت لمصر وللعالم العربي ، بل للعالم الاسلامي كله ، جماعة من علماء الدين وأئمة ، كانوا نورا ساطعا في ذلك العصر الذي كانت الظلمة تحاول فيه أن تغمر العالم الاسلامي بحكم ما أصابه من غارات الصليبيين والتتار ، ومن تحكم الترك في شؤونهم ومصايرهم .

وهذه الأسرة هي أسرة السيكية التي ما زالت آثارها العلمية والدينية باقية

الأستاذ محمد الصادق حسين بك رجل مارس العلم والتعلم قبل أن يتقلب في المناصب المالية والادارية ، ويلى فيها أحسن البلاء . وممارسته للعلم والتعليم في أيام الشباب هي التي ردت به إلى البحث والاستقصاء حين تخفف من أعباء الخدمة العامة الرسمية . وكان في أثناء خدمته العامة تلك ، يصاحب العلم ويباشر الكتب ويقرأ ما شاء الله أن يقرأ ، ويتحدث إلى نظرائه المثقفين المتأثرين في فنون من الثقافة والأدب حديث العالم المستقصى . ولكنه كان يعلم أن الله لم يجعل لرجل قلين في جوفه ، وأن التفرغ للعلم لا يتاح لمن يغدو ويروح مشغولا بالادارة والمال في حياتنا العامة المعقدة . فلما ترك لأصحاب الادارة والمال إدارتهم وسألمهم ، عاد إلى علمه الذي أحبه ، وإلى كتبه التي آثرها ، ولم يلبث أن اندمج فيها واندجت فيه ، كما يقول أصحاب التشيل في هذه الأيام ، وأخرج لنا هذا الكتاب الذي إن دل على شيء يفجأ الناظر فيه قبل أن يتعمق أو يعتمد إلى نقد ، فأنما يدل على أن مؤلفه صاحب فراغ للبحث والدرس وعكوف على التحري والاستقصاء . فأنت لا تكاد تمضي في قراءة الصفحات الأولى من الكتاب حتى ترى رجلا يحدثك عن كتب المؤرخين القدماء والمحدثين الشرقيين والغربيين ، كأنه قد أنفق حياته معاشرًا لأولئك وهؤلاء . ولم ينفق

بهذا الفساد ، وأخلاق اجتماعية تنشأ قوامها
الأثرة ، وما تستتبع من الكيد والفسخ ،
والتهاك والحمدود ، وصغر النفوس ،
وتضاؤل الآمال ، وحب الحياة اليسيرة
الخسيسة التي لا تغنى عن أصحابها شيئاً .
وعلاج واحد يقترح في العصرين ، وهو أن
يعترف الناس بنعمة الله عليهم ، وأن
يشكروا الله نعمته هذه فيقبلوها كما ينبغي
أن تقبل بقلوب خالصة ونفوس صافية
وضائر تقية ؛ ونهوض بالواجب من حيث
هو واجب لا من حيث إنه يجلب نفعاً
أو يدفع مضرة ، واستقامة من أجل ذلك في
السيرة ترد الحاكم إلى القصد وتشعره بأن
الحكم وسيلة لاسعاد المحكومين ، وتبصر
الشعب بالحق وتشعره بأنه قد خلق حراً
يعيش لنفسه ويحكم لمصلحته ، وليس
لأحد أن يذله أو يستغله ، أو يتخذ أداة
لتحقيق مطمع أو قضاء مآرب أو إرضاء
شهوة . والقارىء يدهش من غير شك
حين يقرأ هذا الكلام ، ويستبين أن شعور
المثقفين المصريين في القرن الرابع عشر ، هو
شعور المثقفين المصريين في القرن التاسع عشر
والقرن العشرين للمسيح . ولكن هذه هي
الحقيقة الواقعة التي جلاها الأستاذ الصادق
حسين في أيسر اليسر وأقرب القرب . تلقى
هذا الكتاب الصغير ، فلم يكتف بالنظر
إليه وإلى ما قيل حوله ، وإنما قرأه على
سهل وأساعه في أناة . وكان الناس يقولون
إنه كتاب في التصوف ، فإذا هو يجد نفسه
في السياسة لا أكثر ولا أقل . وكل ما في
الأمر أن عليه مسحة دينية ؛ لأن صاحبه
رجل من رجال الدين وإمام من أئمة
وقاض عظيم من قضاة المسلمين . وأكبر
الظن أن الذين يتلقون الكتب القديمة لو
قرأوها قراءة إمعان وفهم ، لخرجوا بنتائج
كثيرة فيمده كهده النسيجه التي يعرضها

يعيش عليها الفقهاء والمؤرخون إلى الآن ،
وسيعيش عليها الفقهاء والمؤرخون دهرًا
طويلاً . وما من شك في أن مصرية هذه
الأسرة ونشأتها في حبك العويصات باقليم
المنوفية ، هما اللتان حببتا إلى الأستاذ الصادق
حسين العناية بها ، والتتبع لآثارها ،
وإحياء ذكرها بهذا الكتاب المتع
النفيس .

وقد قرأ الأستاذ الصادق حسين كتاباً
لرجل من علماء هذه الأسرة لفته إلى أن
حركة الإصلاح التي دعا إليها جمال الدين ،
والكواكبي ، ومجد عبده في القرن الماضي ،
ليست بدعاً من حركة إصلاح أخرى ، دعا
إليها عالم مصرى منوفى في القرن الثامن
للهجرة ، ولقى في دعوته إليها من الجهد
والمشقة والامتحان مثل ما لقي هؤلاء
المصلحون . وهذا الكتاب هو كتاب «معيد
النعم ، ومبيد النقم» لنجاح الدين السبكي .
فأقبل الأستاذ الصادق حسين على درس
هذا الكتاب وتعمقه ، والموازنة بين دعوة
الإصلاح القديمة ودعوة الإصلاح الحديثة ،
والموازنة بنوع خاص بين الأسباب التي
أثارت الشيخ إلى دعوته في القرن الثامن
للهجرة ، والتي أثارت الشيوخ إلى دعوتهم
في القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة .
وإذا هو يصل إلى نتيجة رائعة مروعة
حقاً . فالاستبداد هو أصل الفساد في
العصرين ، والظلم هو الذي أفسد التوازن
بين طبقات الشعب ، وأثار فيها ضروباً من
الآثام والمواقف متشابهة كل التشابه ؛ ومن
أجل ذلك تشابهت الدعوة إلى تغييرها
وتشابه العلاج للوصوف لها في العصرين ؛
حكماء يظلمون ، ويتخذون الحكم غاية لا وسيلة
ويتخذون السياسة أداة لارضاء الغرائز وتغضى
المطامع وقضاء الشافع العاجلة ؛ وإدارة
نفس من أجل هذا كله ؛ وشعب يستغنى

وأن الشعب الفرنسي في ظله قد كان بائساً شقياً . وليس أحد يتكرر في الوقت نفسه أن عصر لويس الرابع عشر قد كان عصر مجد لفرنسا الشقية البائسة ، لأسباب تشبه من وجوه كثيرة الأسباب التي جعلت عصر الماليك عصر مجد لمصر الشقية البائسة . فقد كان يؤس الشعوب وشقاؤها وظلم الحكومات واستبدادها أصلاً من أصول الحياة ، ومظهراً من مظاهر التاريخ في القرون الوسطى . ولو لم يكن لعصر الماليك من الفضل إلا أنه حفظ للحضارة الإسلامية مصباحها مضيئاً ، ولواءها مرفوعاً ، وأتاح للعلماء أن يكتبوا ، وللسبكيين أن ينتجوا ، ولابن تيمية أن يذيع دعوته ، ولتقي الدين السبكي أن يخاصمه ، ولتاج الدين السبكي أن يدعو إلى الإصلاح العملي السياسي والاجتماعي ، كان هذا خليقاً أن يتيح لنا أن نتحدث في شيء من الرضا عن عصر الماليك .

والأستاذ الصادق حسين يذكر ظلم الماليك فيما أقاموا من العارات . فقد يفتنى أن يذكر ظلم الفراعنة فيما أقاموا من المعابد والأهرام ، وظلم القرغية فيما أقاموا من العارات أيضاً ، وفيما جشموا الشعوب من أهوال الحروب . والماليك بعد ذلك قد حفظوا على مصر علاقتها بالشرق والغرب ، ومكنوها من أن تأخذ وتعطي وتشارك في الحضارة ، وعيشوها للمشاركة في النهضة الحديثة ، لو لم يفسد الترك العثمانيون عليها أمرها . وكم كنت أحب أن يفرق الأستاذ بين أثر الماليك في الحياة المصرية وفي مصير مصر ، وأثر الترك العثمانيين في الحياة المصرية وفي مصير مصر أيضاً .

وربما كان من أقوم النتائج التي أخرجها لنا الأستاذ الصادق حسين في بحثه هذا هو أنه حين عرض الأسرة السبكية ، قد

علينا الأستاذ الصادق حسين ، بعد أن فرغ لقراءة هذا الكتاب .

على أن الأستاذ الصادق حسين لم يخرج بهذه النتيجة وحدها ، وإنما خرج لنا بنتائج كثيرة كلها قيم متمم حقاً . فقد دعاه درس هذا الكتاب إلى درس الحياة المصرية أيام الماليك ، وإذا هو يعرض علينا نتيجة قد تغبط المؤرخين الذين يعجبون بالماليك وتقدعهم ظواهر الأمور ، فيثنون عليهم لأنهم أمموا تحرير الشرق العربي من الصليبيين ، وردوا عن الشام ومصر غارات التتار ، وأقاموا ما أقاموا من العارات ، وحفظوا لمصر استقلالها رغم الأحداث الخطيرة التي كانت تلم بالعالم الإسلامي ، ونظموا العلاقات الخارجية السياسية والتجارية مع الشرق والغرب . ولكن هذا كله لا يرضى الأستاذ الصادق حسين ، لأن السياسة الداخلية للماليك كانت تقوم على الظلم والعسف ، وعلى الأثرة والاستبداد ، ولأن الحياة التي كان الشعب المصري يحيها في ظل الماليك كانت حياة قوامها البؤس والشقاء .

وهذا يصور إيمان الأستاذ الصادق حسين بالمذهب الحديث ، مذهب الإيمان بأن السياسة يجب أن تكون وسيلة لاسعاد الشعوب . ولكني أود لو يفكر المؤلف في أن ما يشهده في مصر أيام الماليك من الظلم والعسف ومن بؤس الشعب وشقاؤه ، لم يكن مقصوراً على مصر ، وإنما كان شائعاً في الأرض كلها شرقها وغربها ، كان ظاهرة اجتماعية أو قل إنسانية ، تلاحظها في جميع البلاد المتحضرة على اختلاف حظوظها من الحضارة ونظم الحكم . وهذا هو الذي جعل للعصر الحديث امتياز ، وهو الذي جعل لعصر الثورة الفرنسية وما بعده امتيازاً سياسياً واجتماعياً . وليس أحد يتكرر أن لويس الرابع عشر قد كان ظالماً مستبداً ،

كثيرات في أسر مصرية أو عربية أخرى .
والشيء الذي لا أشك فيه هو أن أظهر
ما في كتاب الأستاذ الصادق حسين من
الخصائص والمزايا يعد دقته في البحث
وحسن استقصائه للتاريخ وتحريه للحق ،
أنه كتاب شديد الإيجاء والاغراء ، لا يكاد
القارئ يمضي فيه حتى يود لو استطاع
أن يبحث كما بحث المؤلف ، ويستقصى كما
استقصى ، ويستخرج من كنوز التاريخ
مثل ما استخرج من هذه النتائج القيمة .
وليس هذا بالشيء القليل .

ط حسين

درس أسماء جماعه من السيدات عمن
ناعم وندرس ، وتخرجن على حمته من
الأئمة ، وخرج عديدين جماعه من الأئمة
أيضا ، ولكن سبق لاحارده من العلماء ،
ومن يدرس لاجاره إلى العلماء ، فما أجدر
من يتتبعون تاريخ المرأة ويعاولون
إصلاح حال المرأة في العصر الحديث ، بأن
ينظروا في أسماء هؤلاء السيدات اللاتي نبغن
في أسرة واحدة من الأسر المصرية أهم
الممايلك . ومن يدري ! لعلمهم إن تتبعوا مثل
هذا البحث أن يجدوا أسماء كثيرة لنساء

غانية أطلنطا للاديب الفرنسي بيسير بنوا ترجمة الأستاذ رشدي كامل (دار
الكاتب المصري)

صدرت في سنة ١٩١٩ قايلا قراء القصص
في فرنسا وقراء القصص الفرنسي في غير
فرنسا لأول وهلة بارتياح عظيم ؛ إذ وجدوا
فيها قصة جذابة بحوادثها وغرائبها قبل كل
شيء ، أي إنها جذابة بالعنصر الأساسي
لل قصة . فليست هذه القصة تجربة في الأسلوب
ولا هي تجربة في بناء القصص ، وإنما هي
مجرد قصة تجذب القارئ فلا يكاد يستطيع
مفارقة الكتاب حتى يصل إلى خاتمته .
وقد مكن المؤلف لقصته كي تكون حوادثها
غريبة وطريقة بأن اختار موضعاً لحوادثها
قارة إفريقيا التي ما زالت ولن تزال موضع
الغربة والأسرار لدى الأوروبيين .

وكان بيسير بنوا في طريقته التي سلكها في
هذه القصة مبتدعاً — على الأقل لدى قراء
اللغة الفرنسية — فان الذين يقرأون اللغة
الانجليزية مثلاً لم يقفهم أن يروا العلاقة بين
هذا القصص الفرنسي وبين قصص انجليزية
سابق له بجبل واحد أو يكاد يكون معاصراً

ليس من السهل إذا أردنا الكلام عن
القصص الفرنسي بيسير بنوا ، وإذا أردنا
أن نعرف مركزه في الأدب الفرنسي ، أن
نحدد هذا المركز تماماً ، وأن نقدر ما أسداه
من يد للأدب الفرنسي . فهو كأديب
لم يشتهر بغير القصص ، وهو كقصص لم يبلغ
شهرة واسعة أو قل شهرة عالية إلا بقصتين
« غانية أطلنطا » التي أصدرتها دار الكاتب
المصري في ثوب عربي ، وقصة « كوينجسبارك »
التي لم تنقل بعد إلى العربية فيما أظن . وقد
ألف قصصاً عديدة غير هاتين القصتين ،
ولكنها لم تضاف إلى شهرته من هاتين
القصتين شيئاً . ولا ريب في أن بيسير بنوا
له جمهور كبير يقبل على قصصه ، وله جمهور
ينتظر هذه القصص في صبر ناقد ويقرأ
هذه القصص في لذة . ولكن لا نظن أن
الجمهور قد وجد فيها ألفه من بعد ما وجد
في « غانية أطلنطا » .

والواقع أن قصة « غانية أطلنطا » عندما

أما القصاصون من أمثال ريدر هاجارد ،
ويير بنوا ، فان نفهم ظاهر وأثرهم
سريع . هم يسترعون الذهن من أول
لحظة ، ويبعدون عن الذهن متاعبه
وهوميه ، ويتسبون المريض آلامه والمؤرق
متاعبه .

ربما كان الفرق بين القصص السهل
والقصص العبقري ، هو أن الأخير يعطع
من نفسه وعصارة ذهنه ، ويقدم شطراً
من حياته . أما الأول فيسرك في سهولة
سبل التسلية . فهو يعمل لذلك ،
ويستقصيك مالا . أما ذلك العبقري فيقتطع
من نفسه وأجره عند الله .

وقد أرادت دار الكاتب المصري أن
تطلعنا على النوعين . فاتها قدمت من الأدب
الدمس العميق في فن القصة ستاندال وغير
ستاندال . وهي اليوم قد أرادت أن تقدم
بيير بنوا في قصص سهل شيق ، وأرادت
أن يكون النقل إلى اللغة العربية ملائماً
لمزاج القصة ، فاختارت أديباً تجرى في عروقه
دماء الشباب ، لينقل تلك القصة المثيرة
بعوادتها ، ولقد نجح ووفق توفيقاً كبيراً ،
إلا في كلمات قليلة أراد أن يظهر فيها علمه
بأساليب اللغة . وكان الأجدر به أن يظل
في أسلوبه المرسل العذب الذي يلائم هذه
القصة الشيقة .

حسن محمود

وهو ريدر هاجارد ، ذلك القصصى الذى اتخذ
إفريقية مسرحاً للكثير من قصصه بل
لأكثرها . ولم يمت الذين يقرءون اللغة
الانجليزية أن يروا تشابهاً في بعض أشخاص
قصة « غانية أطلنطا » وإحدى قصص ريدر
هاجارد الشهيرة . ولا تريد أن تسترسل في
هذا الموضوع ، وإنما كل ما يهنا أن نقوله هو
أن الجو الأفريقى أتاح للقصاصين نجاحاً عظيماً .
إذ لا ريب في أن ريدر هاجارد بلغ شهرة
كبيرة دوت عليه أموالاً طائلة ، وكذلك
دوت شهرة بيير بنوا عليه الأموال ، أما القيمة
الفنية والجهود الفنى فهذا ما نتركه الآن .
كل ما نريد أن نقرره هو أن المؤلف
الانجليزى تمتع بالمال والشهرة في حياته
وأعادت عليه ألقاب الشرف من أجل
مؤلفاته ، وأن الكاتب الفرنسى نال شهرة
وبالا ونال من الشرف مالا مطمح بعده إذ
عين عضواً في الأكاديمية الفرنسية وصار على
قول الفرنسيين من الخالدين .

ولم لا ؟ لماذا يريد الأدباء أن تقتصر على
الكتب ذات القيمة الفنية العظيمة وأن
تتجرع هذه الكتب كالدواء قد نبهنا به
ونسترد العافية ونفتح صفحة حياة جديدة ،
ونشعر أننا بعد هذا الدواء قد صرنا خيراً
مما كنا من قبل ، ولكنه على كل حال دواء
نشره مكرهين ؟ وما أمر الدواء في القصص !

ديوانه أبى فراسى نشره سامى الدهان في ثلاثة أجزاء (بيروت ١٩٤٤)

وعلى هذا أكثر الشعراء الأقدمين ،
كأنما شق عليهم أن يطرحوا آثار القريحة
ساعة تجمد فيقتصروا على الفرائد والغور .
ولطبع كل شاعر أيام تقلب تحبب فيها
الأعراض مطروقة والتعابير قلقة . وليس

قال ابن الرومى :
قولاً لمن عاب شعر مادحه
أما ترى كيف ركب الشجر
ركب فيه الخاء والخشب اليا
بس والشوك بينه الثمر

الاختراع والابداع من سنن الخلق اللازمة. واليوم نرى الشعر - أو يجب أن نراه - فناً من فنون القول الاسمي ، فكيف نستطيع أن نرضى عن الترخص الذى حلا لأكثر الأقدسين ثم طاب لجمهور هؤلاء المحدثين من شعراء ومثاعرين ؟

يقول أبو فراس :

الشعر ديوان العرب
أبدًا وعنوان الأدب

وما أبغى سوى شكرى ثواباً
وإن الشكر من خير الثواب

أنت تجد مثل هذا النظم السخيف أو الفاتر ، ولكنك تقع في غير موضع من الديوان على رقائقي « الروميات » وعقائلي « الفخريات » ، وتقع على « أراك عصي الدمع ... »

وقد ينجأك لبح الرمز أو لطف المعنى هنا وهنا . من ذلك :

عبرن بـ « ماسح » والليل طفل
وجئن إلى « سليمة » حين شابا

تعلم - أتيك السوء - أن مدامعى
لبعدك مثل العقد أوهاء ناظمه

هذا ، وجعل بعضهم أيا فراس ضريب المتنبى وأبي العلاء ، بل قدمه نفر من المستشرقين عليهما وعلى ابن الرومي وأبي تمام هذين الفحولين . وما أظن الأمر كما ظنوا جميعاً . فما أبو فراس ، على جزالة لفظه وحلاوة وشبه ووجاهة غرضه ، من زعماء المعنى العمى والعبارة الخافلة والاشارة الحاطفة . غير أنه من أحسن من صاغ

شعر الحنين فتوجع وأوجع ، وهنا فضله . ولست اليوم بسبيل الكلام على شعر الرجل ، ولكنى قرأت ديوانه لأتعرف كيف أخرجه لنا الأديب الحلبي سامي الدهان . فقد والله كد في تحريره وتقريبه . وما أعجبنى في الأديب نصبه المصاعب في وجهه ، إذ كثر النسخ التي اعتمدها إرادة الاستنبات فجعلها أربعين ، بعد أن طاف من أجلها شرقاً وغرباً . وهو بهذا أهدى إلينا عملاً منشأ إنشاءً إذ خلص شعر صاحبه من الشوائب المنبثة في ثلاث النسخ المطبوعة ، وإذ أتى برواية ابن خالويه وشرحه ، بأعلى الروايات وأفضل الشروح ، وإذ رد إلى ديوان أبي فراس ثلثيه ، فما أكرمه !

وإن مخرج هذا الديوان من خير ما وقعت عليه عيني . فالتن سلم من النقائص والحواشي حقلت بالاشارات . ولا شك في أن المخرج تعب صادقاً مخلصاً . ثم إنه أراد أن يزيد على مشقة البحث والتحقيق عناء الشكل الكامل والترقيم البالغ . وقد لعمري كان عنهما في غنى إلا حيث يخشى اللبس . ولولا هذا الإفراط في سبيل تقريب الحروف إلى من اعتادوا النظر في الشعر لكان الديوان أسن اضطراباً يسيراً استدرك المحرر بعضه في باب « التصويب » . ومن أمثلة ما فاتته : ورود « ظلوم » ثلاث مرات في صفحة ٤٢ ، منصرفاً في النثر على حين أنه اسم قينة فلا ينصرف .

ولست أشك أن جل ما سقط في هذا الباب مرده إلى بعد المحرر عن موطن الطبع ، وقد أبي إلا ركوب الصعب فلا يحمل بأحد أن يتعبه تعقب طاعن .

أما معارضة الروايات بعضها ببعض فما يدل على نشاط المحرر لشعر أبي فراس وحسن تأنيه لفته ، وكثيراً ما رأيت رأيه . وإن أنا وقفني التحري والتخير حتى إن الشك

أدركني فلم يكن هذا إلا في الندرة ،
ودونك مثلاً بما وقفني :
إلى الله أشكو من فراقك لوعة
طويت لها منى الضلوع على جهر
وحسرة مرتاح إذا اشتاق قلبه
تعمل بالشكوى وعاد إلى الصبر

ص ٢٢٠ وفي روايات الهامش :
(١) وحسرة مشتاق إذا اشتاق قلبه .
(٢) إذا ارتاح قلبه . فالظاهر لي أن
صحة البيت الثاني هكذا :

وحسرة مشتاق إذا التاح قلبه
أو : وحسرة مشتاق إذا التاح قلبه
أو : وحسرة ملتاح إذا اشتاق قلبه

لحلي أن لفظة « المرتاح » الواردة في
نسختين (وقد أثرها المحرر) لا تستقيم معها
« الحسرة » و « اللوعة » و « طى الضلوع »
على جهر ، لأن المرتاح هو السرور أو
الناشط . وإيها الحسرة تلزم اللتاح أي
الظمان ، وكذلك تلزم اللتاع ، والقلب
يلتاع إذا احترق من ألم أو الشوق .
لذلك جعلت العرب الظماً والالتياح من
تلويحات الشوق الشديد .

وأيضاً وقفني تفضيل المحرر رواية على
رواية دون تعليل . من ذلك :

طلبتك حتى لم أجدي مطلباً
وأقدمت حتى قل من يتقدم
وما قعدت بي ، عن لحاقتك ، علة
ولكن قضاء ، فاتني فيك ، مبرم

الترقيم للمحرر ، ص ٣٩٠ . هذان بيتان
من قصيدة طويلة يذكر فيها أبو فراس
أمر صاحبه « أبي العشائر » وطلبه له

ثم إن هنالك أحياناً جد قليلة لانتزال
مفتقرة إلى تبين ، مثل :

أست ابن الألى شادوا المعالي
وأرسوا الناس بالشرف الرياسي

بضم السين في « أرسوا » ، ص ٢٣٦ .
فما « أرسوا الناس » هذه ؟ هل قرأ
« أرسوا » بالتخفيف ؟

هكذا ترى أن النص على وفرة النسخ
ليس بالهين تحقيقه . فلا يسعني إلا أن أقدر
عمل الدكتور سامي الدهان . وإن عمله
ليزيده خطراً تلك المقدمة التي صنعها في
اللغة الفرنسية فاستقصى فيها ما يتصل
بالديوان : عرض تصانيف القدماء وإشاراتهم
ورواياتهم ، منهم الثعالبي في يتيمة الدهر
والحصري في زهر الآداب وابن الأنبر في
التاريخ الكامل وابن عساكر في التاريخ
الكبير . وانتقل إلى ما سطره المحدثون
أمثال البستاني وجرجي زيدان والسيد محمد
العاسلي وإلى مختارات نظرائهم . ثم تلفت إلى
الغرب فسرر رسائل المستشرقين ومباحثهم
سرداً منتظماً في تصفح . وانتقد بعد
ذلك ثلاث الطبعات المتداولة . ثم أكب
على المخطوطات التي اهتمت إليها فما زال
يقلب فيها النظر فيفرز ويفصل ويقرب
ويجنب حتى رتبها بالاضافة إلى الأصول
فأدرجها طوائف تحت أمات أربع ، زيادة

أن يتم سعيه بمضاهاة النسخ طائفة مائة .
فصنف جداول محكمة بين خاصة وعامة أثبت
فيها اختلاف مظان القصائد . ولا يقوى
على مثل هذا السعي الشاق إلا الأقلون ممن
يحالفون الصبر الطويل ولا يخيفهم الأفعال
في خدمة العلم المحض . وبالحيلة إن تلك
المقدمة تنزل منزلة نموذج سوى للنهج
الواجب في إخراج النصوص .

على ما أسماه « أشباه المجاميع » وفيها طرف
من شعر أى فراس ، وعلى ما أعجزه إدراكه
من النسخ فلم يدخل في الترتيب . ثم حاول
أن يسلسل القصائد على التعاقب الزمني
فسلكها تحت أبواب ثلاثة : ما قيل قبل
الأشهر ثم بعده . وأتمع ذلك بتقسيم
القصائد على الأغراض من لسيب وفخر
ورثاء وتوابع ، وهو يفصل ويوضح . ثم رأى

بشر فارس

في مجلات الشرق

من لبنان

العدد ٣ : ٧ (مارس ١٩٤٨)

ويعضى في مسأله :-
« أليس من المؤسف حقاً أن فيحت القدر المشترك في هذه الموضوعات قليل أن ندرس المستوى العلمي الدرسي في مختلف مراحل الدراسة بين الأقطار العربية ونعمل على توحيد ... وهل تقوم اللجان الثقافية يدرس مشاكل المعلمين وإعدادهم ، والبعثات العلمية ، وكتب الدراسة ، والرحلات المشتركة ، وقزاور كبار الأدباء والعلماء العرب ، والمكتبية العربية ، والناليف ، والتعاون على إحياء التراث القديم ، وعلى تنشيط الناليف وتوجيهه ... وما هو نصيب الأدب والفن (الموسيقى والتصوير والنقش) من عناية اللجان الثقافية ... وأى أثر كان لتواصى مؤتمر بيت مري ؟ ... »

ويبدو أن هذه الأسئلة الذى يتوجه بها الأستاذ المشنوق إلى قرائه ، يدور مثلها فى أدمغة كثير من المثقفين فى دول الجامعة العربية السبع وفى غيرها من البلاد العربية التى لم يكن لها حظ المشاركة فى لجان الجامعة الثقافية ومؤتمراتها ، فإن العصبة المحدودة الانجاء التى تشرف على الشؤون الثقافية لجامعة الدول العربية ، ليست من سعة الأفق بحيث تتنور هذه الأهداف البعيدة التى يأمل أن يبلغها كل مثقف واع من أبناء البلاد العربية ، فلم يسك طريقها الذى سلكت عن علم وبصيرة وتجربة ، بل

يفتح الأستاذ عبد الله المشنوق هذا العدد من «الأديب» بكلمة عن التعاون الثقافى المنشود بين الأقطار العربية ، جعل عنوانها «قصيدة بل أسطورة» وهو ينكر فى كلمته هذه أثر الجهود التى تبذل منذ إنشاء جامعة الدول العربية لتحقيق ذلك التعاون الثقافى ، ويزعم - ولعله على حق فى كثير مما يزعم - أن أثر هذه الجهود لا يتجاوز بضعة «كراريس أنيقة على ورق صقيل ، ومآدب سخيفة ، ولجان ثقافية لا تجتمع» وأن «هذا التعاون الثقافى بين الأقطار العربية ، قصيدة ، بل أسطورة !» وفى ثنايا هذا الحكم الذى يدمع به الأستاذ المشنوق كل ما بذلت جامعة الدول العربية من مجهودات لتحقيق التعاون الثقافى خلال ثلاثة أعوام ، لا تتجاوز تلك الكراريس التى كتبت على عجل وطبعت طبعاً أنيقاً ثم وزعت على الأقطار العربية وصادق ممثلو الدول العربية على بعضها فى مؤتمر بيت مري ... خلال هذا الحكم الدامغ يسائل الأستاذ المشنوق :

« ثم على ماذا تحتوى هذه الكراريس ؟ هى تضم عدداً من الأسئلة صيغت بشكل يوحى جواباً معيناً مقصوداً ، وهى تتناول القدر المشترك من قواعد اللغة وآدابها والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية . »

ينسب إليه هذا العجز عن تحقيق معنى التعاون الثقافي بين البلاد العربية ، قائما هو تقصير الشعوب، وبتعبير أدق : إنما هو تقصير المثقفين وأهل الرأي في البلاد العربية . إن الشعوب هي التي توجه الحكومات ثم تنقاد لها بعد ذلك . أما الشعب الذي يأمل أن يأتيه التوجيه من حكامه فهيات أن يبلغ أمنية . وما هذه الجامعة التي يراد منها أن توجه البلاد العربية إلى التعاون الثقافي ، إلا حكومة مصغرة من تلك الحكومات السبع التي تمثلها ؛ وما لجنتها الثقافية هذه إلا طائفة من الموظفين في هذه الجامعة إلى طائفة من الممثلين السياسيين في المفوضيات والقنصليات العربية بالقاهرة فهل كان يأمل الأستاذ المشنوق أن يكون توجيه الثقافة العامة في البلاد العربية عملا من أعمال طائفة من الموظفين إلى طائفة من الممثلين السياسيين كل ثقافتهم التي يتميزون بها أن يحسنوا الاستقبال والتوديع وترتيب مقاعد المدعوين في الحفلات العامة ؟ ذلك مطلب بعيد !

سارت منقاداً في الطريق الذي رسم لها بعض المشرفين على شؤونها من كبار أصحاب السلطة ، كما يمضي كل « موظف » في الطريق الذي يدفعه إليه « رئيسه » وصاحب السلطان عليه لا يدري أين يبلغ ! فالأمر في ذلك أمر حكومات لا أمر علماء من أهل الرأي والتجربة والادراك الشامل والأهداف القومية المدروسة البعيدة المدى . وليس العيب في ذلك هو عيب أولئك السائرين إلى غير هدف يتطورونه ؛ إذ كانت كل كفايتهم في عملهم - كوظفين - هي الطاعة ! ولا هو عيب الحكومات التي قلدتهم وظائفهم ودفعتهم إلى هذا النهج ؛ إذ كان الحكماء في هذه البلاد العربية - على العادة وفي أغلب الأحوال - ليسوا من الثقافة بالمتزلة التي يؤمل معها أن يكون لهم توجيه سديد في الشؤون التي تتصل بالآداب والعلوم والفنون والثقافة العامة . وفي مصر - كما في لبنان - لا يأمل الشعب في الوقت الحاضر على الأقل أن يكون القائمون على شؤونته في تلك المتزلة ... فإذا كان ممة تقصير

الطريق العددان ٢ ، ٣ : ٧ (فبراير - مارس ١٩٤٨)

وما يعبر أبلغ تعبير عن الأثر الذي تركته تلك الثورة في نفوس العرب في خارج العراق ودخلها ، ذلك المقال الافتتاحي الذي كتبه الأستاذ رثيف خوري بعنوان « طريق صالحى جبر ... وطريق العرب ١ » ويقول في ختامه :

« الشعوب العربية قد أفصححت عن إرادتها يوم غضبت بيروت غضبتها على المستعمرين الفرنسيين ، ويوم سالت الدماء

في هذا العدد من تلك المجلة « إلتقدمية » مجدى القارى' صدى بعيداً لحوادث التي كانت في العراق منذ بضعة أسابيع تعبيراً عن سخط العراقيين العام على معاهدة « جبر-يفن » ؛ فقد استغرق حديث الثورة العراقية هذه أكثر صفحات المجلة التي تبلغ ١٤٤ صفحة ٤ بين عرض لحوادث ، وتعليق عليها ، وأحاديث أدبية تتصل بها ، ويوميات تفصل مجملها ، وشعر بما قيل في رثاء شهدائها ...

جميعاً أن يعرفوا أن طريق صالح جبر وأشباكه ، طريق اضطهاد الحريات والتشكيل بالأحرار وتهريب المعاهدات الاستعمارية وقذف الشعب بالرصاص ، ليست هي بالطريقة القويمة ، حتى ولا هي أسهل الطرق كما يخيل للبعض ، مع تماظم يقظة الشعوب العربية واشتداد سواعدها ضد الاستعمار وشاريعه ؟ »

في دمشق ، ويوم آيينا إلا الجلاء ، ويوم رفضت مصر توقيع المعاهدة مع بريطانيا ، ويوم انتفض العراق انتفاضته الأخيرة الجبارة ! وليس يخامرنا ريب في أن إرادة الشعوب العربية ستكون بالنتيجة هي الإرادة المتحصنة ! إن صالح جبر قد اختار طريقاً ... وإن الشعب العراقي قد اختار طريقاً هي طريق الشعوب العربية . فهل للأفراد

المشرق الجزء ٣ : ٤١ (يولييه - سبتمبر ١٩٤٧)

هنالك ، وهي مؤسسة تعمل فيما تعمل لنشر الثقافة الأندلسية والمخطوطات النفيسة وكل ما له صلة بتاريخ العرب بالأندلس من خلال الوثائق والآثار والمخطوطات . وهذا الكتاب الذي يعرضه في مجلة « المشرق » ، هو من سلسلة مجموعات المؤسسة التي أعدتها للنشر في جدول أعمالها السنوية .

وقد أراد ابن الأبار بكتابه « تحفة القادم » أن يجمع في كتاب ما سها عنه مؤرخو الأدب الأندلسي من آثار أعلامه وأغفله من سبقه من الأدباء ومن عاصروه ، ويعارض به صفوان بن إدريس الرسي صاحب « زاد المسافر » وابن رشيقي في « شعراء القيروان » ، فأضاف بعمله هذا فصلاً فيها إلى تاريخ أدباء المغرب وفتح باباً جديداً في دراسات تاريخ الأدب الأندلسي . ثم جاء أبو إسحاق البليغي في القرن العاشر فانتخب من كتاب ابن الأبار هذا مجلة صالحة وسماها « المقتضب من تحفة القادم » وهو الكتاب الذي عثر به الأستاذ البستاني في مكتبة الأسكوريال وأفرده له هذا البحث ونشر بعضه حقاً — على ما وسعه الجهد — في هذا الجزء من هذه المجلة فاستوعب خمسين صفحة ، واعد

في هذا الجزء من مجلة المشرق الكاثوليكية بضعة مباحث ممتعة ، أولها بعنوان « الوراقة والوراقون في الاسلام » للأستاذ حبيب زيات ، وهو بحث مفصل في نحو ٥٠ صفحة استند فيه باحثه إلى بضعة وأربعين مرجعاً من الأمهات ، وتحدث فيه عن الوراقة ، والآمال ، والاستملاء ، والنسخ ، والخط الوراق ، وطبقات الوراقين ، والمشهرين بالوراقة من أصحاب الفنون والآداب والقصص ... إلى غير ذلك مما يتصل بالوراقة وأهلها ؛ فجاءت رسالة واقية بموضوعها لا أعلم في العربية خيراً منها جمعاً واستقصاءً وتبويباً . وينتهي الأستاذ حبيب من بحثه هذا برواية كلمة المهلب لبيته : « يا بني ، لا يقعدن أحد منكم في السوق ، فإن كنتم لابد فاعلين فإني زائد أو سراج أو ورق ! »

ثم بحث آخر للأستاذ الفريد البستاني عن كتاب « المقتضب من تحفة القادم » لأبي عبد الله بن الأبار القضاعي البليغي المتوفى في تونس سنة ٦٥٨ هـ .

وصاحب هذا البحث هو أستاذ الأدب العربي في معهد الدروس المغربية بتطوان ، وله عمل في مؤسسة الأبحاث العربية الأسبانية

الذي نشره بالفرنسية الأستاذ ليثي بروفنسال في سنة ١٩٤٤ تحت إشراف المؤسسة الأثرية الفرنسية في القاهرة .
إلى بحوث أخرى لا أجد متسعاً لغير التنويه بها وبالمجلة التي تفسح لها صدرها مترفعة بمستواها العلمي عن النزول إلى المنحدر الذي هبط إليه كثير من مجلات الشرق متخففة من أقال العلم إلى السفاف التي تستهوي عامة القراء

أن يوالى نشر الكتاب فيما يلي من الأعداد .
وثمة بحث ثالث عن « حمامات دمشق » للأستاذ صلاح الدين المنجد رئيس ديوان مديرية الآثار العامة في سورية ، فيه تحقيق وديق واستيعاب .
ومن آخر من أسطفان لاتور اليسوعي ، ترجمة الأب توتل اليسوعي ، يفقد فيه كتاب « تاريخ أسبانية في عهدها الاسلامي »

من سوريا

الحديث العدد ٢ : ٢٢ (فبراير ١٩٤٨)

من أنواع الراحة ، وتقدم إليه وجبات الطعام بثمن مستطاع !
وهذه المشكلة التي يتحدث عنها محرر «الحديث» ، ليست خاصة بسوريا دون بلاد الشرق ، ففي القاهرة مثلاً حيث يبلغ عدد طلاب المعاهد المختلفة أكثر من نصف مليون طالب وطالبة لا يقل الغرياء منهم عن خمسين ألفاً — يعاني الطلاب ما يعانون من غلاء الأسعار وأزمة المساكن وتكاليف الحياة التي لم يتعودوها ولا يتنبأ لهم فيها الراحة والاستقرار والبعد عن المغريات ، وهي العناصر الضرورية لיתفرغ طالب العلم لدرسه ويتوق عوامل السوء التي تتنازع .
هذا إلى أن القاهرة — من هذه الناحية — أخف وطأة على الطلاب الغرياء من عواصم شرقية أخرى ؛ ففيها يستطيع الطالب الفرد أن يعيش عيشة بتوسطة بثلاث المبلغ الذي يقدره محرر «الحديث» للطلاب الذي يعيش في دمشق .
وقد فكرت وزارة المعارف المصرية

ويتحدث محرر مجلة «الحديث» التي تصدر في حلب عن ازدحام العاصمة السورية بالطلاب الذين يفدون إليها لطلب العلم في كليات الجامعة وما يلقون من عنت في أسباب العيش ، لغلاء الأسعار ونحيق المساكن حتى ليشكف الطالب أكثر من مائتي ليلة في الشهر إلى ثلاثمائة (٢٢ — ٣٣ جنياً مصرية) وهو مبلغ ضخم لا يستطيع أن يتحملة الطالب ، فيعتمد إلى بعض الأعمال الحرة أو الحكومية يكسب منها عيشه — كله أو بعضه — وهذا ما يجعل من الطالب الجامعي نصف متعلم ، لأنه لن يستطيع أن يوفق بين أعباء الحياة وأعباء الدراسة ، أي لن يستطيع أن يعطي كل نشاطه إلى دروسه ... »

ثم يسأل المحرر بعد هذا : ألا توجد وزارة المعارف السورية حلاً لهذه المعضلة ؟
ويعني على الحكومة أن تنشئ بيوتاً للطلاب في كل مدينة ، فيعطي كل طالب غرفة صحية لسكنه يتمتع فيها بما يحتاج إليه

الدم والشراب اللذيذ وأسباب المتعة والسرور؛ ثم يقول إنه أوى بعد القداء إلى حيث هيئوا له مكاناً ليستربح، فبحث - على ما تعود - عن كتاب يقرؤه، أو صحيفة يطالعها فلا يجد، فيسأل حقاً: «ماذا؟... بيت كالتصر، صاحبه من الذين أخذوا بحظ وافر من مباحج الحياة، يتفق بسقاء، ثم لا تحيد كتاباً في مضائقه؟... أنا لا أعرف كيف يعيش بعض الناس بدون أن يسامرهم الكتاب!... وكيف تخلو هذه البيوت المؤنثة بأئمن الرياش ويمتصت مظاهر البذخ وألوان الترف من مكتبة صغيرة تضم عشرات الكتب في شتى فنون الأدب والتاريخ والاجتماع؟»

يا عجبا!

ألم يعرف محرر «الحديث» إلا يومئذ أن الأمة العربية التي تضم ٧٠ مليوناً، ليس فيها من القراء أكثر من بضعة آلاف قارئ؟ ذلك هو الحق الذي لا يجدي فيه جحود ولا مكابرة، وإلا فكم ألفاً يطبع من أشهر كتاب لأشهر كاتب في هذا الجيل؟ فليدع حديث مئات الآلاف من قراء الصحف والمجلات الهائلة الداعة، فأولئك طبقة من الأميين لا يدخلون في إحصاء القراء، ثم ليحاول جواباً؟

هل يطبع من أشهر كتاب لأشهر كاتب في هذا الجيل أكثر من بضعة آلاف نسخة، أو بضعة عشر ألفاً! فذلك هو عدد القراء على التحقيق؛ فلا يندعنه ما يذاع - كذباً وزوراً - على سبيل الفخر والمباهاة: أن عدد الأميين في البلاد العربية لا يزيدون على ٩٠ ٪. وبها مفعرة لو صدق الفاخرون!

أن تيسر على الطلاب الغرباء في القاهرة والعواصم بإنشاء بيوت تؤويهم ويشرف عليهم فيها طائفة من أساتذتهم يكتوتون لهم فيها آباء ومعلمين وأصدقاء مرشدين في وقت معا. ولكن هذه الفكرة لم تنفذ على وجه عام ووقفت منها بعض الحكومات في مصر موقفاً معارفاً وإن كانت قد نفذتها على نطاق ضيق بالنسبة للطلاب الشرقيين، وللطالبات... ولكنها حتى في هذا الحيز المحدود لم تنفذها طيبة النفس راضية بما تبذل لها، فأخذت في نوع من المحادثة مع جامعة الدول العربية لتلقى عليها عباها وتتحفف من نفقاتها؛ ولا بأس في هذا لو أن جامعة الدول العربية ولجنتها الثقافية كانت مأمولة لخير...

لقد حل الأزهر هذه المشكلة قبل أن يفكر في وجودها أي بلد من بلاد الله في الشرق والغرب ومنذ مئات من السنين، فلا حاجة بمحرر «الحديث» إلى الاستشهاد بما فعلت أسبانيا ولا غير أسبانيا في هذه السنين؛ فإن أماننا المثل الصالح للاحتذاء في مصر العربية، وهو بقليل من التحسين الذي يلائم حالة التطور الاجتماعي كفيلاً بأن يحل مشكلة الطلاب الغرباء على خير وجه لو آمن المشرقون على شؤوننا الثقافية والاجتماعية بأن من حق الشعوب أن تتعلم وأن تيسر لطلاب العلم فيها - وغير طلاب العلم - أن يعيشوا عيشة كريمة!

ويذكر محرر «الحديث» في موضع آخر من مقاله زيارته لبعض بيوت أهل الثراء في ضاحية من ضواحي بلده، فيصف ما لقي من الأكرام ثمة، وما هي له من الطعام

من العراق

دار المعلمين العالية العدد ١ : ٢ (١٩٤٨)

وراء ذلك إلى التدقيق في دلالة الألفاظ على معانيها من ناحية ، وحققتها في الاستعمال من ناحية أخرى بالقياس إلى بعض الكلمات التي يراد أن ينقضى عنها غبار المعاجم العربية لتستعمل استعمالاً حديثاً فيما غير ما وضعت له في القديم .

وهو رأى من حقه أن يناقش ويرد عليه ويحاج عنه ؛ فلا يؤخذ على عموميه ولا يتوسع في الأخذ به . ولكن يكفينا بثبوت هذه المناقشة أن هذا الموضوع قد خرج — في جلته — من نطاق الباحث الفردية حين اضطلع به مجمع قواد الأول للغة العربية ، الذي يمثل فيه علماء من جميع البلاد آراء أهل العلم في بلادهم . فلندع حديث هذه المصطلحات وأسمائها لأعضاء هذا المجمع اللغوي حتى ينتهوا فيه إلى الرأي الذي يحدد الأسماء لمسمياتها في كل البلاد الناطقة بالعربية فلا تتبلبل ألسنتهم ويختلفون طرائق في التسمية والتعير .

هذه مجلة مدرسية (أو معهدية) باعتبار المعهد الذي تنتسب إليه في بغداد ، ولكنها فيما أرى أعظم قيمة ، وهي بانتسابها إلى دار المعلمين العالية تعنى بشؤون التربية ؛ فهذا مقال الدكتور خالد الهاشمي عميد الدار عن « أهداف التربية والتعليم في العراق » يقرر فيه ضرورة استناد أهداف التعليم ومناهجه إلى فلسفة تربوية اجتماعية استطاع الركون إليها ولاستناد بها ، ويؤكد ينكر أن لتعلم أهدافاً مرسومة على هذا الوجه الذي يشير إليه . وثمة مقالات أخرى في فنون من الثقافة مما يتصل بحاجة المعلمين ، والطلاب الذين يهيئون أنفسهم ليكونوا معلمين .

والاستاذ إميل جبر ضومط أستاذ الفيزياء في الدار يبحث طيب عن « الاصطلاحات العلمية الحديثة في اللغة العربية » يميل فيه إلى نحو من التوسع في استعمال بعض الكلمات اللاتينية ونحوها في هذه المصطلحات المنقولة ، ويعرض أمثلة ويحتج ببراهين ، يرى من

في مجلات الغرب

من الجزائر

فورج عدد خاص عن الكاتب الأسباني سرفانتس (١)

[ذلك الجلال الجبار الذي تتتابع به حوادثها ،
وذلك الارهاق الذي تنفذ به إلى أعماق قلوبنا ،
والذي يجعلنا ننفذ به إلى طوايا القلوب ، ما تكشفه
القصة من ضعف تخضعنا له حواسنا ، ومن جبروت
طاغ تخضعنا له شهواتنا ، كل هذا يجعلنا - في إعجاب
غامر - نقرن هذه القصة « قصة دون كيشوت » بأرقى
وأقوى ما كتب ديمستوفسكي وشكسبير من صفحات .]
جان كامو

تمت في العام الماضي أربعة سنة
على مولد ميغيل دي سرفانتس (٢) في
الكلا دي هينيرس - مدينة يتم اسمها
الأسباني عن أصله العربي ويذكر بملك العرب
وقلاعهم وحضارتهم في الأندلس . ولد في
أسرة متواضعة عجزت حتى عن أن ترسله
إلى المدارس ، وعاش حياة شاقة لم يعرف
الراحة فيها قط . اشتغل خادما وكاتبا
للقاصد البابوي ، فتقلت عليه حياة لا استقلال
له بها ولا مجد فيها ، وغامر في حياة الجندية
نأصيب في ذراعده بعاهة يوم وقعت
لمباتت ، وقبض عليه القراصنة وأسروه .

في الجزائر سنوات ، واشتغل كاتباً للحسابات
فكان يقع في أخطاء حسابية تؤدي به إلى
السجون ، ثم مات في نفس اليوم الذي
مات فيه شكسبير (٣) ، مات مشرداً بعدما
وإن كان قد خلف للإنسانية تراثاً واسع كل
الأمم فشاركت وما زالت حتى اليوم تشارك
فيه ، ترك لنا كتاب « دون كيشوت »
وكتاب « القصص المثالية » كما ترك لنا
مسرحية « توماس » .

مولد سرفانتس في الأندلس ، وأسرته
في بلاد المغرب العربي ، ما لمحده وحققه
البحث العصري من صلات وتأثيرات للأدب

(١) : Forge, Cahiers littéraires Nord-Africains, No 3 et 6 Octobre - Novembre 1947 :
« Hommage à Cervantes » .

(٢) : أنظر « ميغيل سرفانتس » في مجلد « الكاتب المصري » عدد ٣ (أكتوبر ١٩٤٧) .

(٣) : ٢٣ أبريل سنة ١٦١٦ .

الأبد، والذي يمثله قصة «دون كيشوت» . نرى في أدنى اللوحة التي رسمها الفنان صورة سانشو قاعدا مطمئنا في قعوده - «باسما» ، راضيا عن نفسه كل الرضا . هو راض عما حوله من طعام وشراب وأداة من أدوات اللهو، ومطية سهلة يميّرة هي الحمار الذلول بصره مردود إلى الأرض مقصور على الخبز واللحم والخمر، في عينيه وشفتيه ابتسامة كلها دعة وبلادة واطمئنان . في أعلى الصورة يرتفع قوام دون كيشوت لا يظهر انحناء منه إلا صند الأعلى ، وقد حجب جثة سانشو تصفئه الأسفل ، فهو يبدو للنظر وكأنما ينشئ عن رجل القنصاعة والرضا ويسمو منه ، في يساره كتاب يعلم منه الحق والعدل وفي يمينه سيف يقر به الحق والعدل اللذين آمن بهما ، عيناه إلى السماء يرق بهما إلى الثل الأعلى الذي لا يزال يشده ، وبوجهه آثار ذلك ألم النبيل الذي تتطوى عليه نفسه ، قد ظهر من خفقه في الصورة جواد يجاز (٢) وهو فائر ، مشبوب ، تكاد تتحرك الصورة بنزاعه إلى الوثوب ، حيث أرادها الفنان مناقضة كل المناقضة للحول الحمار في ضجعته ، كما جعل صورة دون كيشوت مناقضة لصورة سانشو ، فتجبع فيما أراد كل النجاح .

وقفنا عند هذه الصورة قليلا لأنها تكاد تلخص فكرة الجلد كله ، فإن النجاة الموجهة إلى سرفانتس في هذا الجلد ، لم تتمثل في أطراد أسلوبه أو حتى تفهده وتحليله ، ولكنها قد اتجهت إلى استخلاص وتجليه البواعث والمفهوم والمقاصد التي توضحها كتابات هذا الأسباني الخالد . نرى هذا في

العربي في قصته «دون كيشوت» (١) ، وأخيرا ما تجلوه آثار سرفانتس على أهل عصرنا ، في تحليلهم وشكوكهم واستغفافهم ، من معاني الايمان والطموح والعمل الايجابي لتحقيق المثل العليا ونصرة الخير والحق - بعض هذا كان سببا كافيا لاجراج هذين العديدين من مجلة «فورج» تحية لسرفانتس ، وهذا كله يجعلنا نقصر الحديث اليوم عليهما . وأول ما نلاحظه في هذين العديدين - وقد صدرا في جلد واحد - هو مشاركة الكتاب والفنانين العرب في إصداره . كتب بعضهم باخرسه . ولكن بعضهم كتب لأول مرة باللغة العربية ونشر مقاله بهذه اللغة مع ترجمة فرنسية . وهذه أول مرة تنشر المجلة فيها مقالات بالعربية . تثبت هذه الخطوة الجديدة في سبيل التعاون والتفاهم وقدرها قدرها ، ولكننا نرجو أن تكون عناية الذين يكتبون بالعربية في أعداد المجلة القادمة أظهر جدا من عناية الذين كتبوا بها ، ومن ترجوا من الفرنسية إليها في هذا الجلد . ثم نلاحظ عناية المجلة بالرسوم الفنية في هذا الجلد ، فقد ألحقت به سبع صور ممتازة قوية التعبير كلها من وحي سرفانتس ، منها صورة رسمها الرسام العربي محي الدين الطرطوشي تمثل سرفانتس في أحد شوارع مدينة الجزائر عام ١٥٧٥ ، ومنها اللوحة التي رسمها دي بوزون لدون كيشوت وسانشو يانزا بطل قصة سرفانتس الخالدة . وقد وفق الفنان في هذه اللوحة ليس إلى تصوير الرجلين فقط ، بل إلى التعبير القوي عن الصراع الذي مازال يتقسم نفس الانسانية منذ

(١) ألقى اند كنور طه حسي بك محاضره عامه عن هذا الموضوع في حاسمه فاروق الأول

في الاسكندرية سنة ١٩٤٣ .

(٢) Pégase

كله مثبتاً تأثر سرفانتس العميق بطبيعة تلك المقاطعة ، متتبعاً هذا التأثر في قصة « دون كيشوت » ، موضحاً كيف كانت مقاطعة لامانش جديرة بأن توحى إلى سرفانتس شخصية كيشوت البطل الحالم والشاعر المغامر في نفس الوقت الذي توحى إليه فيه شخصية سانشو الفلاح الخامل القانع بالبحث عن رزق يومه .

وفي مقال آخر يرى الكاتب الأسباني مونوا (٣) أن دون كيشوت ليس إلا صورة من نفس مؤلف القصة ، وأن صراع دون كيشوت ونزاعه إلى المثل الأعلى هو صراع سرفانتس ونزاعه ، وإن يكن قد أضنى عليه من الابتسام والسخرية الرقيقة ستاراً لا يجيب ما تحته من صرامة وجد . ثم يرى الكاتب أن شخصية دون كيشوت وشخصية سرفانتس نفسه ليستا إلا صورة من نفس أسبانيا ، أسبانيا المكافئة الشائرة لمثل العدل والحب والحرية والسلام دائماً .

وفي تصوير هذه الثورة الدائمة لتحقيق تلك المثل العليا ، وفي الرمز إلى أن أسبانيا ما زالت حتى يومنا الحاضر ثائرة لتحقيق تلك المثل المنشودة ، يكتب الكاتب الأسباني جوزيه سانشيس باتوس مقالاً ثانياً عنوانه « أسير قراصنة آخرين » (٤) . وحول هذه المعاني نفسها يكتب مارسيل هارويمي مقالاً ممتازاً عن نومانس (٥) المدينة الأسبانية التي خلدها سرفانتس في تصويره لكفاحها لحرية ، المدينة الأسبانية التي عرف أهلها أن الرومان سيفزونهم في عقر دارهم ، وأنهم

الحوار الطويل — أو المسرحية القصيرة — الذي يطالعنا في أول العدد (١) . كتب هذا الحوار الكاتبان جوزيه سانشيس باتوس ولويس بير فيلغا فيه مبلغاً عظيماً جداً من التفوق ، ولخصاً في صفحات قليلة قوية حياة وعمل وتفكير سرفانتس . وقد بدأ هذا الحوار في مدينة الجزائر حيث سجن سرفانتس في إحدى سنوات الأسر أيضاً ، سنة ١٥٧٩ . وقد ختم الكاتبان الحوار بما يشبه المغزى أو الموعظة التي يستخلصانها من مسرحياته القصيرة . وكنت أود لو أعفى القراء من هذا الختام ، فليس بهم إليه حاجة ، وقد كان في الحوار نفسه بما فيه من قوة الرمز وحسن الأداء ما يغني عن بسط المغزى للقارئ .

يلي هذا الحوار مقال قليل القيمة عن عصر سرفانتس للكاتب جورج ماريا ، ثم مقال آخر عن المحيط الطبيعي الذي تدور فيه حوادث قصة « دون كيشوت » — كتب هذا المقال بالفرنسية الكاتب عمر جلال (٢) فاحسن إحساناً كبيراً . يبدأ مقاله بتتبع رحلة مؤلف « دون كيشوت » من أشبيلية إلى مقاطعة لامانش عام ١٥٦٩ ، ثم يقدم للقراء صورة للمقاطعة في ذلك العهد بمدنها وقراها ، بما في تلك المدن والقرى من شوارع وأزقة وبيوت وناس ، ويصور جبال المقاطعة الموحشة وأوديتها الفقيرة القاحلة ، وما كان يتسامر به أهل الجبال أو يتهاوس به أهل الأودية من القصص والأساطير وحكايات المغامرات ، يصور هذا

(١) José Sanchis Banus et Louis Pierre, *Evocation de Cervantès*

(٢) Omar Djillali, *Paysages du Don Quichotte*

(٣) Sobre la Obra de Cervantes, por Eulogio Munoa

(٤) El Cautivo de Otros Corsarios, por José Sanchis Banus

(٥) M. Harouimi, *Numance ou la tragédie d'un peuple libre*

وهذا المقال لا يمتاز بروعته وبما يهز فئنا من مشاعر الوطنية فقط ، ولكنه يلفت القارئ إلى أن شهرة سرفانتس باعتباره مؤلف «دون كيشوت» لا ينبغي أن تحجب نبوغه باعتباره مؤلفاً مسرحياً جديراً بأن يقرن ويقارن بمعاصره الأسباني دى فيجا (١) بل بمعاصره الإنجليزي شكسبير .

وهذا المجلد لا يظهر لنا سرفانتس كاتباً ومؤلفاً مسرحياً فقط ، ولكنه يقدم إلينا قصيدة إسبانية من شعر سرفانتس مع ترجمة فرنسية لها ، وهي قطعة غزلية عنوانها «التنجم» (٢) .

وإلى جانب شعر سرفانتس قصائد أخرى أوحى بها أعمال سرفانتس لشعراء محدثين من الفرنسيين والأسبان ، نذكر منها مع الإعجاب قصيدة « في طريق الحلم » للشاعر الأسباني سيجوفيا (٣) . والعدد لا يظهر أثر سرفانتس في فن الشعر فقط ، ولكنه قد خصص مقالين ، أحدهما للحديث عن تأثير «دون كيشوت» في الغناء والآخر عن تأثيرها في السينما .

وقد أخرجت حتى ختام هذا المقال عرضي للنقصة العربية التي حدث بها محمد عبد الجليل الجزائري 'وكتبها رشيد التولسي' (٤) ، آخرتها لما فيها من بساطة ومن رمز ومن إحصاء ، هي قصة جزائري صغير في الثانية عشرة من عمره ، تقع في يده قصة «دون كيشوت» فيقرؤها في ركن من أركان داره الريفية ، ثم يعود إلى قراءتها وقد خلبه ما فيها من إيمان دون كيشوت وحاسته للعدالة والتجدة ، فما هو إلا أن

لا قبل لم يهم وأن لاسبيل إلى الفرار منهم ، ففضلوا الموت على التعرض لاستعبادهم وتناحروا جميعاً إلا واحداً منهم أحب الحياة حبا جما فلاذ بهرج المدينة الشاهق يعتمهم به . حين عن أن يقتل نفسه أو أن يدعو غيره إلى قتله كما فعل مواطنوه جميعاً . وقد بقي بالبرج حتى دخل الرومان إلى نومانس فلم يجدوا من يستأسر من أهلها ليسعوا به إلى روما ويسيروا به في طرقاتها ويزفوه إلى أهلها رسزاً لانكسار نومانس واستذلالها . حتى إذا يلفوا البرج ورأوا ذلك الذي اعتمهم به أمثوه ، وعرف أنهم مبقون على حياته ، ساعون به إلى روما ، فعز عليه أن يخذل مدينته نومانس وما خذلها من أهلها سواه ، فلم يستسلم ولم يستأسر وألقى إلى قائد الرومان خطاباً قوياً رائعاً أوله حديث الخوف الذي أحس به والجبين الذي أطلق ساقيه بالفرار إلى البرج ثم قيدهما به ، ثم أشار إلى الأسر الذي إن أبقى عليه حياة جسده فانه متلف نفسه ، وإلى الذل الذي سيلحق ببلده إن هو استأسر ، وانتهى إلى أنه الآن يحس قوة نفسه تترد إليه ، ويجد بعض تلك القوة التي عرفها مواطنوه ، وقروا بها من الذل إلى الموت ، ثم يقبع ذلك بالقاء نفسه من أعلى البرج فيعصمه الموت من الأسر والاستذلال . يحكى الكاتب قصة هذه المدينة ويحلل المسرحية الرائعة التي صور مؤلف «دون كيشوت» فيها تلك البطولة ، والخطبة التي أجزاها على لسان صاحب البرج ، مسجلا الجملة الماثورة «إن نومانس قد هزمت هازميا»

(١) Lope de Vega

(٢) La Buena Ventura

(٣) Por Los Caminos del Sueno, por S. L. Herrero Segovia

(٤) «لقاء مع سرفانتس» .

الوجع عليه ، ثم يريد أن يسعى به إلى السجن . ولم تنفع دون كيشوت الصغير لا حريته ولا خيالاته ، ولكن نجاه أن رآه شيخ من البدو ، لم يلبث أن غاب في أشجار الزيتون ، ثم عاد جماعة قد تسلحوا بأغصان من الشجر ، وبدت في وجوههم علامات التصميم والاجماع والجهد . تقدموا صوب الجندي والصبي ، ففهم الجندي وسرعان ما صلاى الصبي بعد أن أذره ألا يعود إلى مثلها . يقول عبد الجليل في ختام المقال موضحاً رمز المقال وإيماءه : « ولقد قرأت في السنة الماضية كتاب «دون كيشوت» مرة أخرى ، فوجدت نفسي ما زلت معجباً « بهدلقو » (١) الخالد . ولكن استخلصت من تجاربي أن عهد المتصمرين للحق بمفردهم قد انقضى وفات ، وأن جماعة من الرجال تحدوهم الإرادة والعزم والاتحاد ، ولو كانوا مسلحين بالمضى فقط ، يخدمون الحق أكثر مما يخدمه الفارس المسلح بالحربة . »

أمينة طه حسين

يقرأها المرة بعد المرة حتى يتحول إعجابه إلى رغبة بلعة في أن يسير هو نفسه سيرة دون كيشوت ، وأن يطوف مثلما طوف بطل سرفانتس ليحمي المستضعف ويذود برمحه عن حق المسكين . يصنع الصبي لنفسه من أغصان الشجر رمحاً طويلاً ، ويطوف على قدميه — فانه لم يجد حتى شئ الحصان الأعرج الذي وجدته دون كيشوت ، وما يلبث أن يبدأ أولى مغامراته — وآخرها — حين يرى أعرابية صغيرة في قبضة جندي فرنسي ؛ فقد رعت الصغيرة أغنامها في بعض الأراضى التي جعلتها السلطات الفرنسية لنفسها وحظرت على الأعراب الرعى فيها ، وهذه البنت الصغيرة تتلوى وتصرخ وتبكي وتستنجد في يد ممثل السلطة ، لا تعرف ولا تفهم ما جريمة الرعى وما حظر العشب على أغنامها . يرى عبد الجليل هذا فيقدم بحريته ويرى بها الجندي من وراءه فيسقط على الأرض ، وتفر الفتاة من قبضته وتعدو إلى البادية . ولكن الجندي يلتفت إليه وينهال بالضرب

(١) هـدلقو تعريب Hidalgo يقصد دون كيشوت .

[أبريل ١٩٤٨]

قائمة الكتب التي أصدرتها دار الكاتب المصري بإشراف الدكتور طه حسين بك

الآداب والقصص الحديث

على باب زويلة ، قصة تاريخية ، تأليف محمد سعيد العريان ، الجائزة الأولى للقصة من مجمع فؤاد الأول للغة العربية لسنة

١٩٤٧ .

كتاب رائع بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها وأصدقها في وقت واحد ، كتاب من هذه الكتب النادرة التي تظهر بين حين وحين .



طبعة مزينة بالصور ، ١٢ + ٣٥٢ صفحة ،
الثنى ٣ . قرشا .

حكايات فارسية ، بقلم يحيى الخشاب .
كتاب يحمل إلى قراء العربية عييراً رقيقاً حسن الوقع في النفس من هذه الحياة الفارسية المتنازة بما فيها من رقة ونظنة وفكاهة .

١٠ + ١٩٨ صفحة ، الثنى ٢ . قرشا .

قلوب الناس ، قصص تحليلية ، تأليف إبراهيم المصري .

قصص جديدة للكاتب المعروف إبراهيم المصري يصور فيها بيتنا المصرية الحديثة في أسلوبه السهل الجذاب : سامية وإنعام ، المقامر ، قصة امرأة ، أطوار النساء ، مأساة ضمير ، بعد سبع سنوات ، نداء البحر ، روايح الجنة ، الحياة الثانية ، هو القدر ، سلطان المثل الأعلى .

٨ + ١٣٦ صفحة ، الثنى ١٥ قرشا .

■

لقبطة ، تأليف محمد عبد الحليم عبد الله ،
جائزة فاروق الأول للقصة .

القصة التي نالت جائزة فاروق الأول من مجمع فؤاد الأول للغة العربية لما فيها من وصف دقيق لنفس معذبة في أسلوب عربي متين رصين .

٨ + ٢٥٢ صفحة ، الثنى ٢٥ قرشا .

*

من حولنا ، قصص مصرية ، تأليف محمد سعيد العريان .

جيل من الناس في أفراحه وآلامه ، يرى كل قارئ في مرآته صورة من نفسه ، أو صورة من حوله ، في إطار قصصي رائع في بيانه وفي فنه .

١٠ + ٢٦٢ صفحة ، الثنى ٢٥ قرشا .

الرجل الذى طلب أن يدفن واقفاً فى القبر
... زعيم فى السياسة بقلم زعيم فى الأدب .
طبعة مزينة بالصور وصفحة ملونة تبين
كيف كان هذا الزعيم يعد خطبه ،
١٦ + ٢٧٢ صفحة ، الثمن ٣٥ قرشا .



André Gide, LA PORTE ÉTROITE.
الباب الضيق ، تأليف أندريه جيد ،
تعريب نزيه الحكيم ، مع رسالة من
أندريه جيد إلى المترجم ورد طه حسين
على أندريه جيد .

« ... ترجمة كتبي إلى لغتكم ؟ ... إلى أى
قارى يمكن أن تساق ؟ وأى الرغبات
يمكن أن تلبي ؟ ذلك أن واحدة من
الخصائص الجوهرية فى العالم المسلم فيما
بدا لي ، أنه وهو الانساني الروح يحمل
من الأجوبة أكثر مما يثير من أسئلة .
أنخطئ أنا ؟ » أندريه جيد

« لم تخطئ أنت ، وإنما دفعت إلى الخطأ
لقد خالطت كثيراً من المسلمين ولكنك لم
تخالط الإسلام ... فلو قد تعمقوا الدين
تعمقاً دقيقاً لأظهروك على ما يثير القرآن
من مسائل وما يعرض لها من جواب . »
طه حسين

[من مقدمة كتاب « الباب الضيق »]
١٦ + ١٤٨ صفحة ، الثمن ١٨ قرشا .



André Gide, ŒDIPE — THÉSÉE.
أوديب — ثيسيسوس ، تأليف أندريه
جيد ، ترجمة طه حسين .

« صديقي أندريه جيد ، سمعتك تقرأ لنا قصتي
« أوديب » و « ثيسيسوس » فعرفت الخنات

من الأدب الفرنسى

Maurice Barrès, UN JARDIN SUR
L'ORONTE.

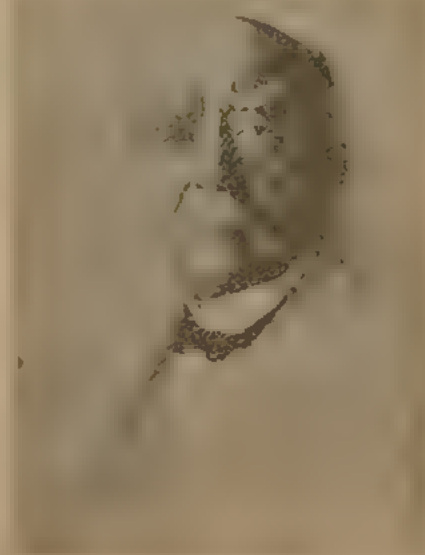
جنة على نهر العاصي ، تأليف موريس
بارس عضو الجمع اللغوى الفرنسى ،
تعريب محمد عبد الحميد عنبر وعبد الحميد
عابدين .

غرام أقرب إلى العبادة ومغامرات أقرب
إلى الأحلام على ضفاف نهر العاصي حيث
تملأ السواقي بأنينها أجواز الفضاء .
١٦٨ صفحة ، الثمن ١٨ قرشا .



Léon Daudet, LA VIE ORAGEUSE DE
CLÉMENCEAU.

كليمنصو وحياته العاصفة ، تأليف
ليون دوديه ، تعريب حسن محمود .



كليمنصو ... مسقط الوزارات ... التمر ...
الرجل الذى عاش حراً فأصبح مقلولاً ...

الموت روحان كانتا مؤتلفتين أثناء الحياة ؟
٢. ٤ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .



Prosper Mérimée, COLOMBA

كولومبا ، تأليف بروسبير ميريميه ،
تعريب محمد غلاب .

نصف فتاة من أهل جزيرة كورسيكا تلك
الجزيرة التي لا زالت تعترف بالعواطف
الغطورية الأولى وتدين بفسانون الحب
والانتقام .

٨ + ٢٢٠ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .



A. de Saint-Exupéry, TERRE DES HOMMES.

أرض البشر ، للكاتب الطيار أنطوان
دي سانت أكسوبري ، تعريب مصطفى
كامل فوده .

« أرض البشر ، تلك الهباءة من الثرى التامة
بين الأجرام السماوية ، تلك الأرض الجديرة
باعتبارنا لأنها وحدها تكون الرجال . »
طبعة مزينة بالصور ، ٢٤٤ صفحة ، الثمن
٢٠ قرشا .



Stendhal, LA CHARTREUSE DE PARME.

دير پارم ، تأليف ستندال ، تعريب
عبد الحميد الدواخلي .

قصة من عيون الأدب الفرنسي يصف كاتبها
الكبير دولة إيطالية صغيرة ومغامرات
بطل القصة ودسائس وزيرها العجيب .
طبعة في جزأين ، الجزء الأول ٨ + ٢٧٦
صفحة ، الجزء الثاني ٨ + ٣٢٠ صفحة ،
ثمن الجزء ٣٠ قرشا .

الخاص الذي تؤثرهما به . ومن أجل هذا
علمتها العربية ليبلغا إلى قراء الشرق
رسالتك التي هي ثقة وشجاعة واستبشار .
و... هذان كذلك بما أضمر من أعجاب بك
قد أصبح منذ التقينا وداً كريماً .
طه حسين

٨ + ٣١٢ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .



André Gide, L'ÉCOLE DES FEMMES — ROBERT — GENEVIÈVE.

مدرسة الزوجات يلها روبر و جنشيف
تأليف أندريه جيد ، تعريب صبرى نهمى .

فتاة في نشوة الحب ، ثم زوج في يقظة
العقل تتم زوجهما ، دفاع الزوج عن
نفسه ، رأى الأينة في والديها .
٢١٢ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .



François Mauriac, GÉNITRIX.

والدة ، تأليف فرنسوا مورياك عضو المجمع
اللغوى الفرنسى ، تعريب محمد عبد الحميد
عنبر وعبد الحميد عابدين .

وصف دقيق لنفسية الأم حين تشعر أن
امرأة غيرها قد استأثرت بابنها وصرقه عنها .
٨ + ١٧٦ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .



André Maurois, LE PESEUR D'ÂMES.

وازن الأرواح ، تأليف أندريه مورا
عضو المجمع اللغوى الفرنسى ، تعريب
عبد الحليم محمود .

هل توجد الروح ؟ وكم تزن ؟ هل يمكن
الاحتفاظ بها ؟ وهل يمكن أن تمتزج بعد

Oscar Wilde, THE PICTURE OF
DORIAN GRAY.

صورة دوريان جراى ، تأليف أوسكار
وايلد ، تعريب لويس عوض .

قصة شاب جميل الطلعة يحتفظ بشبابه بينما
تهرم صورة له وتظهر عليها كل العلام
التي تنتاب القبلين على اللهو والملاذات .



طبعة مزينة بصور مختارة من فيلم م. ج. م.
٨ + ٣.٤ صفحة ، الثمن ٣. قرشا .



Oscar Wilde, THE CANTERVILLE
GHOST.

شبح كانترفيل ؛ تأليف أوسكار وايلد ،
تعريب لويس عوض .

وهي سجل طريق للمحن التي آلت بشبح
قصر آل كانترفيل حين انتقل هذا القصر
التاريخى إلى وزير أمريكا المفوض في بلاط
سان جيمس . فيها فكاهة متصلة مع براعة
في الوصف وفي الخيال .

طبعة مزينة بصور مختارة من فيلم م. ج. م.
١٢٨ صفحة ، الثمن ١٨ قرشا .



Voltaire, ZADIG ou la Destinée.

زديج أو القضاء ، قصة شرقية ، تأليف
فولتير ، ترجمة طه حسين .

مشكلة القضاء والقدر يعرضها الفيلسوف
الفرنسى فولتير في إطار قصصى جذاب .
عدد خاص من مجلة الكاتب المصرى ،
الثن ١. قروش .

من الأدب الانجليزى

Aldous Huxley, BRAVE NEW WORLD.

العالم الطريف ، تأليف أولدس هكسلى ،
تعريب محمود محمود .

العالم في المستقبل ... بعد أن يتحكم
العلم ... وتولد الأطفال في المعامل !
١٦ + ٢٧٦ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشا .



H. G. Wells, THE FOOD OF THE
GODS

طعام الآلهة وكيف جاء إلى الأرض ،
تأليف ه. ج. ولز ، تعريب محمد إدراة .

قصة طريفة لذلك الكاتب الانجليزى
الخصب الخيال الذى عرف بنبؤاته الغريبة
عن الحروب ومخترعات العقل البشرية
وتحققت أكثر هذه النبؤات في حياته .
١٦ + ٣٢٠ صفحة ، الثمن ٣. قرشا .



وما يصيبه من رأس حينما يعلم أنه كان
حُب عشمته أمد .
٨ + ١٠٨ صفحة ، الثمن ١٥ قرشا .

من الأدب الأمريكي

John Hersey, HIROSHIMA.

هيروشيما ، تأليف جون هرسي ، تعريب
حسن محمود .

قصة تدمير مدينة هيروشيما بعن فسه
ذرية واحدة وما حدث لسكان هذه المدينة ،
شاهدات ستة أشخاص كانوا في المدينة
حين قذفت القنبلة ونجوا بأعجوبة من هذه
الكارثة . وهي قصة جذابة قرأها ملايين
في أمريكا وأوروبا .

عدد خاص من مجلة الكاتب المصري ،
طبعة مزينة بصور مهداة من مكتب
الولايات المتحدة للاستعلامات بالسفارة
الأمريكية بمصر ، الثمن ١٠ قروش .

من الأدب الألماني

Emil Ludwlg, NAPOLEON.

نابليون ، تأليف إميل لودفيج ، ترجمه
عن الألمانية محمود إبراهيم الدسوقي .

البطل الذي اكتشف لودفيج وراء قناع
بطولته محيا الانسان ، فتجلت بطولته في
إنسانيته ، وفاقت كل ما عرف إلى الآن .

من الأدب الروسي

Fedor Dostoievski, THE GAMBLER.

المقامر ، تأليف فيدور دوستويفسكي ،
تعريب شكرى محمد عياد .

قصة شاب مصاب بداء القمار لقي من هذا
الداء في حياته شراً عظيماً . وهي قصة
عنيفة تستأثر بقلب القارئ وعقله .
٨ + ١٧٢ صفحة ، الثمن ١٨ قرشا .

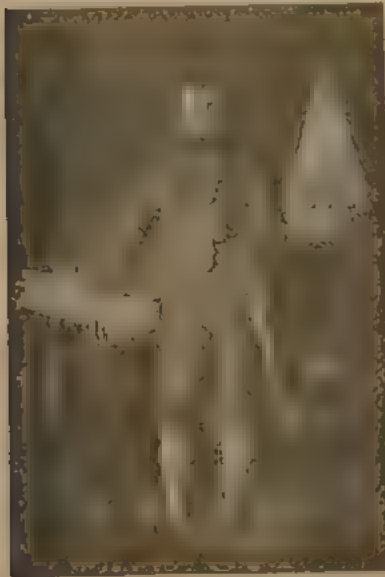
*

Ivan Tourguéniev, FIRST LOVE.

الحب الأول ، تأليف إيفان تورجنيف ،
تعريب محمود عبد المنعم مراد .

قصة ساذجة تصور قلب شاب ناشئ يندفع
إلى الحب في غير احتياط ولا تحفظ

طبعة مزينة بالصور في جزأين ، الجزء الأول
٢٠ + ٣٥٦ صفحة ، الجزء الثاني ١٢ +
٣٥٦ صفحة ، ثمن الجزء ٤٥ قرشا .



تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر
الوسيطة ، تأليف الأستاذ يوسف كرم
مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة
فاروق الأول .

وهو كتاب قيم فيه تفصيل واف عن المذاهب
الفلسفية في تلك القرون في دقة تعبير مع
طلاوة في الأسلوب .
٨ + ٢٦٦ صفحة من القطع الكبير ،
الثنى ٥٠ قرشا .

:

عقلي وعقلك ، تأليف سلامة موسى .

أوفى كتاب في علم النفس الحديث ييسر
آخر المعارف عن هذا العلم بلغة واضحة
ليس فيه جملة معقدة أو فكرة مبهمه تقرأ
فتقف منه على أسرار النفس البشرية
وحركة التفكير .

٨ + ١٩٢ صفحة من القطع الكبير ،
الثنى ٤٠ قرشا .

الكتب التي صدرت أخيراً

قطوف ، بقلم عبد العزيز البشري ، مقدمة
لطف حسين .

آخر آثار الأديب العظيم عبد العزيز
البشري جمع في مجدين يحتويان أكثر من
٤٠٠ صفحة . اقرأ « قطوفه » هذه فسترى
في كل فصل من فصولها مرآة مصقولة صافية
صادقة أدق الصديق للحياة المصرية في عصر
الانتقال .

طبعة في جزأين ، الجزء الأول ٢٠ + ١٩٦
صفحة ، الجزء الثاني ٨ + ١٩٦ صفحة ،
يمن الجزء ٢٠ قرشا .

في القانون ولفلسفة

INSTITUTES DE JUSTINIEN

مدونة جوستنيان في الفقه الروماني ،
الفه فقيه القياصرة في قسطنطينية
الأمبراطور جوستنيان ونقله إلى العربية
إمام القضاة في مصر معالي عبد العزيز
فهيم باشا ، أخرجته دار الكتب المصرية
في طبعة ممتازة وتجليد أنيق .

٢٨ + ٤٠٩ صفحة من القطع الكبير ،
الثنى ١٥٠ قرشا .

*

*Ignaz Goldsiher, LE DOGME ET LA
LOI DE L'ISLAM.*

العقيدة والشريعة في الاسلام ،
للمستشرق العظيم إجناس جولدتسيهر ،
نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه محمد
يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين
بجامعة الأزهر ، عبد العزيز عبد الحق
المدرس بكلية الشريعة بالجامعة الأزهر ،
على حسن عبد القادر دكتور في العلوم
الاسلامية ومدير المركز الثقافي الاسلامي
بلندن .

أبواب الكتاب : محمد صلى الله عليه وسلم
والاسلام - تطور الفقه - نمو العقيدة
وتطورها - الزهد والتصوف - الفرق -
الحركات الدينية الأخيرة .

١٦ + ٣٨٨ صفحة من القطع الكبير ،
الثنى ٨٥ قرشا .

*

تربية سلاوة موسى ، بقلم سلامة موسى .
تاريخ حياة المؤلف باعتبار أن الحياة تربية
وتاريخ مصر في تطورها وانتقالها من القرن
التاسع عشر إلى القرن العشرين .
٢٩٢ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشا .

*

سافو نارولا ، الراهب الثائر ، بقلم حسن
عثمان .

صفحة من أروع صفحات عصر النهضة
الأوربية كتبها مؤرخ توفّر على دراسة
ذلك العصر ، وهي حياة شخصية غربية
قلما يعود بمثلها الزمان .
طبعة مزينة بالصور ، ٢٦٠ صفحة ، الثمن
٢٥ قرشا .

*

Henri Bergson, LE RIRE.

الضحك ، بحث في دلالة المضحك ، تأليف
هنري برجسون ، تعريب سامي الدروبي
وعبد الله عبد الدايم .

الكتاب الشهير الذي وضعه الفيلسوف
الفرنسي هنري برجسون ليدرس فيه
الضحك كظاهرة نفسية والمضحك وأنواعه
المتعددة .

١٣٦ صفحة ، الثمن ١٥ قرشا .

*

Anton Tchekov, HISTOIRE D'UN
INCONNU.

قصة رجل مجهول ، تأليف أنطون
تشيكوف ، تعريب محمود الشنيطي .

من أبدع قصص أسير القصة القصيرة
وهي مثال كامل لفنه في بناء القصة وفي
معالجتها .

٤٠ + ١٢٢ صفحة ، الثمن ١٠ قروش .

كتاب المخلاء للجاحظ ، حقق لضم
وعلق عليه طه الحاجري مدرس الأدب
العربي بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول .

أثر من أعظم آثار الأدب العربي يبعث من
جديد في طبعة منقحة بالدقة التي يتبعها
علماء هذا العصر . قام بنشره طه الحاجري
الذي تخصص في أدب الجاحظ وعلق عليه
وشرح غامضه فأصبحت هذه الطبعة أكبر
أداة للباحثين .

٥٢ + ٤٦٨ صفحة من القطع الكبير ،
الثن ١٠٠ قرش .

*

تاريخ قضاة الأندلس ، ألفه الشيخ
أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي
المالقي الأندلسي وسماه كتاب المراقبة العليا
فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره
إ. ليني بروفنسال أستاذ اللغة والحضارة
العربية بالسرنيون ومدير معهد الدراسات
الإسلامية بجامعة باريس .

وثيقة عظيمة الخطر عن تاريخ القضاء
بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط .

٢٤ + ٢٤٨ صفحة من القطع الكبير ،
الثن ٧٥ قرشا .

*

البيت السبكي ، بيت علم في دولتي
الماليك ، تأليف محمد الصادق حسين .

تاريخ عصر يمثل في تاريخ أسرة بقلم
عالم من أكبر العلماء .

٩٩ صفحة من القطع الكبير ، الثمن ٢٥ قرشا .

*

François Mauriac, LE NŒUD DE VIPÈRES.

عقدة الأفاعى ، تأليف فرنسوا مورياك
عضو المجمع اللغوى الفرنسى ، تعريب
نزيه الحكيم .

« لا لم يكن المال ما يحبه هذا البخيل ولا
الشار ما يطلبه هذا المجنون . أما هواه
الحق فستعرفه إذا ملكك القوة والجرأة
على أن تصنى إلى هذا الرجل حتى اعترافه
الأخير الذى يقطعه الموت . »

٨٠ + ٢٢٠ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .

Pierre Benoit, L'ATLANTIDE.

غانية أطلنطا ، تأليف بيير بنوا عضو
المجمع اللغوى الفرنسى ، تعريب رشدى
كامل .

لم تكن تبحث عن نشوة الحب لحسب
بل كانت ترى كذلك إلى أن تلتقم من
الرجال ، فتقتلهم بحبها .

٢٩٦ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشا .

*



دار الكاتب المصري قسم النشر بإشراف الدكتور طه حسين بك

• شارع قنطرة الدكة - القاهرة

جودة



اكسليور

EXCELSIOR

بابار

القلم الذي لا يبارى

يشتاع في المحلات الكبرى
الزعمرة: المكتبة المصرية ش.م.م

أصدرت دار الطالب المصري بأشراف الدكتور طه حسين بك

مذونة جوستنيان في الفقه الروماني

INSTITUTES DE JUSTINIEN

نقله إلى اللغة العربية معالي عبد العزيز فهمي باشا

٢٨ + ٤٠٩ صفحة

ثمن النسخة المجلدة ١٥٠

العقيدة والشريعة في الاسلام

للمستشرق الكبير اجناس جولدتسيهر

نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر،
عبد العزيز عبد الحق المدرس بكلية الشريعة بالجامع الأزهر، على حسن عبد القادر دكتور في
العلوم الاسلامية، مدير المركز الثقافي الاسلامي بلندن

١٦ + ٣٨٨ صفحة

الثنى ٨٥

كتاب البخلاء للجاحظ

حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري مدرس الأدب العربي بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

٥١ + ٤٦٨ صفحة

الثنى ١٠٠

تاريخ قضاة الأندلس

ألفه الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي وسماه كتاب
المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر إ. ليثي بروفسال أستاذ اللغة والحضارة
العربية بالسربون ومدير معهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس

٢٤ + ٢٨٤ صفحة

الثنى ٧٥

قطوف لعبد العزيز البشري

مع مقدمة لطله حسين

الجزء الأول ١٦ + ١٩٦ صفحة، الجزء الثاني ٨ + ١٩٦ صفحة ثمن الجزء ٢٠

تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط

تأليف الأستاذ يوسف كرم مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

٨ + ٢٦٦ صفحة

الثنى ٥٠